المكتبة العربية فى تنظيم المعرفة
الكتاب الأول

تنظيم المعرفة

مدخل عام وقضايا رئيسية فى التنظيم والتصنيف

الدكتور عبد الوهاب عبد السلام أبو النور

عالم الكتب

تنظيم المعرفة: مدخل عام
وقضايا رئيسية فى التنظيم والتصنيف

الناشر
عالم الكتب
٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة
نشر ★ توزيع ★ طباعة

الإدارة :

١٦ شارع جواد حسنى
تليفون : ٣٩٢٤٦٢٦
فاكس : ٣٩٣٩٠٢٧

المكتبة :

٣٨ ش عبد الخالق ثروت
تليفون : ٣٩٢٦٤٠١
ص.ب : ٦٦ محمد فريد
الرمز البريدى : ١١٥١٨

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع ١٥٧٣٠ / ٩٩
I.S B.N. 977-232-192-0

المكتبة العربية فى تنظيم المعرفة
الكتاب الأول

تنظيم المعرفة

مدخل عامّ وقضايا رئيسيّة فى التّنظيم والتّصنيف

الدكتور عبد الوهّاب عبد السّلام أبو النور
قسم علوم المكتبات والمعلومات
كلية الآداب - جامعة الملك سعود

الناشر
عالم الكتب
٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

موعظة حسنة

قال تعالى وهو أصدق القائلين:

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾.

سورة الرعد

وقال عز من قائل:

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤) وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾

سورة فصلت

صدق الله العظيم

المحتويات

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصبحه وسلم، أما بعد

منذ مدة طويلة ونفسى تلحُّ عَلَىَّ فى أن أكتب سيرتى الذاتية، كيف لا، وقد عشت فترة ليست قصيرة، عشتها بأحداثها الجسام وآمالها وآلامها وإحباطاتها وهمومها وأحزانها. وقد عاش جيلى كله هذه الفترة كما عشتها. فقد ولد جيلى أثناء الحرب العالمية الثانية، وتفتحت عيوننا على النكبة الكبرى: اغتصاب فلسطين وزرع جسم غريب فى جسد الأمة العربية والإسلامية، يستنزف طاقاتها ويمتص جهود أبنائها فى نزاع لا ينتهى، ولن ينتهى إلا بعودة الحق إلى أهله. ثم ما تلا ذلك من حروب شغلت الأمة عن نفسها، فتواضعت أحلامها، وقنعت بمكانة لا تليق بها باعتبارها خير أمة أخرجت للناس، أكرمها الله، وشرفها بالإسلام وبكتابه وبنبيه صلى الله عليه وسلم، وببيته العتيق؛ بل وبكل رسالات السماء، فكل أنبياء الله ورسله أرسلوا إلى شعوب هذه المنطقة، وكل الحضارات من هنا نبتت وأورقت وأينعت وأزهرت وأثمرت، ثم ضاعت واضمحلت.

عشنا هذه الحياة وتفاعلنا مع أحداثها، وكثيرا ما يضيق الصدر ولا ينطلق اللسان. إذا، فلماذا لا يفرغ ما يحيك بالنفس، ويكدر الخاطر على الورق، شهادة على العصر، وعبرة وعظة للأجيال القادمة. وقد زكى هذا أننى كنت محبا لكتب السيرة وكتب التاريخ منذ وقت مبكر. ولكن كتابة السيرة الذاتية بكل تجاربها وتفاعلاتها أمر

جسيم. وهو يحتاج إلى وقت ومقدرة وبراعة وصياغة. خاصة وأن الأحداث لابد أن تتعرض للأشخاص. وأنا كمسلم لا أحب أن أخوض مع الخائضين، فكيف السبيل إلى أن تكتب دون أن تلمز أو تجرح. إن هذا يحتاج إلى قدرة هائلة على التجريد، وتناول الموضوعات والقضايا دون الأشخاص .

وهذه كلها أمور تحتاج إلى وقت طويل، وإلى صفاء ذهن، وفراغ بال. ثم إن السيرة الذاتية لابد أن تكون شهادة على العصر بكل ما فيه، وبكل تفاعلاته ومعنى ذلك أن مثل هذه السيرة الذاتية حينما تكتب من شأنها أن تتناول قضايا كثيرة، فصاحبها قضى حياته كلها فى التعليم الجامعى وفى مجال البحث والتأليف والترجمة وغيرها من الأعمال العلمية، وكانت له علاقة وثيقة مع عالم الكتاب والنشر. كما أنه عاش قضايا أمته وعصره، وهو حريص أشد الحرص على هذه الأمة يتفاعل مع أحداثها ويسعده ما يسعدها، ويسوءه ما يسوءها، ويحب لها الخير، ويكره أن يراها فى حالة الضعف والتشرذم الذين آلت إليهما. فالكتابة فى هذه الأمور جميعا أمر جسيم، وبحر لا ساحل له، ولامفر من التأجيل، ولكن إلى متى؟ علم ذلك كله عند ربى.

ما أتناوله هنا فى بعض صفحات الكتاب، إذا، ليس سيرة ذاتية، ولكن لمحات خاطفة تلقى شيئا من الضوء على التكوين الفكرى والثقافى للكاتب، وتبين أهم المنعطفات والمنحنيات الفكرية فى حياته، وذلك فى إيجاز شديد.

البداية فى إحدى قرى محافظة الغربية بدلتا مصر فى أسرة يحفل كبراؤها بالتعليم، والتعليم الأزهرى بصفة خاصة، كيف لا وقد خرّجت أحد المتفوقين والنابهين من علماء الأزهر الشريف، وهو خالى وصهرى مدّ الله فى عمره. وهو فضلا عن علمه ودينه وخلقه، شخصية فذة كياسة وعقلا وحصافة ورزانة ومواهب وملكات، وبعدا عن المظاهر، وعزوفا عن المناصب، أعطى حياته للتعليم، فكان قدوة حسنة لتلاميذه، ولنا جميعا. وقد تعلمت منه ولازلت أتعلم الكثير.

والتعليم فى القرية يبدأ بالكُتّاب، حيث يتعلم الطفل الكتابة والقراءة ويحفظ القرآن الكريم: كله أو بعضه، فإذا كان يريد الالتحاق بالأزهر استمر فى الكُتّاب، حتى تحين

سن الالتحاق بالأزهر، وهى اثنتا عشرة سنة. ولما كان صاحبنا سريع الحفظ، وكانت سنه صغيرة، فقد آثرت الأسرة أن توفر عليه سنوات من عمره، فألحقته بالمدرسة الإلزامية فى يناير ١٩٥٠، وما هى إلا شهور قليلة حتى اجتاز امتحان القبول للمدرسة الإبتدائية فى طنطا، والتحق بالسنة الثانية الإبتدائية، حيث كان التعليم الإبتدائى وقتها أربع سنوات. وكانت هذه هى النقلة الأولى فى حياته. وما هى إلا سنوات قليلة حتى حصل على الثانوية العامة سنة ١٩٥٨. وحان وقت الإلتحاق بالجامعة.

وهنا أقف وقفة، ففى خلال سنوات التعليم الابتدائى والثانوى أتيح لصاحبنا بيئة علمية دينية لغوية أدبية أسهمت فى التكوين الأول. كما أتيحت له قراءة كتب كثيرة جدا دينية وأدبية وتاريخية، كانت تكون فى ذلك الوقت القراءات الأساسية لجيله، مثل مجلة الرسالة التى كان يصدرها أحمد حسن الزيات وهو إمام فى البلاغة. وكانت أعدادها موجودة فى منزله، وكتابات المنفلوطى والعقاد وطه حسين والحكيم، وغيرهم من رجال الفكر، وكتب كثيرة من التراث مثل الأغانى للأصفهانى والكامل فى الأدب للمبرد. كما أن حفظ جانب كبير من القرآن الكريم فى الصغر أسهم فى ضبط اللسان، وضبط مخارج الحروف، وسلامة اللغة، كل ذلك ساهم فى التكوين العلمى الأول.

والتعليم حينئذ كان لا يزال بخير، فالأساتذة متفرغون للعملية التعليمية، والدروس الخصوصية غير موجودة على الاطلاق، والأساتذة يبذلون قصارى جهدهم فى تعليم تلاميذهم، ويأخذون بأيدى الطلبة ويشجعونهم، وكان بعضهم موهوبين فى الشعر، فكانوا يقدحون الزناد، حتى يكتشفوا المواهب، وهكذا. وخلاصة القول إن الحياة كانت سهلة والبيئة فى البيت والمدرسة بيئة صالحة تساعد على التفوق والتحصيل والقراءة.

وكان المنحنى المهم الثانى عند دخول الجامعة، فقد كانت الرغبة الأولى عند دخول كلية الآداب جامعة القاهرة، هى قسم التاريخ، فصاحبنا يحب التاريخ وأيام العرب فى الإسلام، والفتوحات الإسلامية وأبطالها، وفوق هذا كله سيرة الرسول

المصطفى صلى الله عليه وسلم. والتاريخ هو مادة التخصص فى السنتين الثانية والثالثة الثانوية، وهو مادة التفوق فى شهادة الثانوية. ولكن الله سبحانه وتعالى اختار لى أن ألتحق بقسم الوثائق والمكتبات، الذى كان دراسة حديثة فى ذلك الوقت، والخيرة فيما اختار جل وعلا.

ومضيت فى دراستى بالقسم حتى وصلت إلى السنة الثالثة ١٩٦٠/١٩٦١. حيث درست فى تلك السنة ـ ضمن ما درست ـ التصنيف، والمراجع العربية. وأحببت المقررين، خاصة وأن أستاذنا الدكتور محمد كفافى رحمه الله، كان أستاذاً مثقفاً بالمعنى الواسع، وكانت علوم المكتبات هى الدراسة الثانية له، أما التخصص الأول، فقد كان الأدب الفارسى، وهو مرتبط بطبيعة الحال بالأدب العربى والثقافة العربية فى العصور الأولى. ولذلك طلب منا فى تلك السنة، إلى جانب دراسة المراجع، أن ندرس كتاب أحمد أمين: ضحى الإسلام، وهو جزء من مجموعة تؤرخ للحياة العلمية عند المسلمين منذ بزوغ الحركة العلمية عندهم حتى قمة نضجها فى القرن الرابع. وهكذا أتاح لى كتاب ضحى الإسلام، ثم قراءة السلسلة كلها فيما بعد: فجر الإسلام، وضحى الإسلام، وظهر الإسلام، أتاح لى أن أطلع وبصورة موسعة على الحركة العلمية عند المسلمين، وتابعت ذلك فيما بعد بدراسة الكتب الأخرى فى الموضوع، وتلاقى هذا وذاك مع حب أصيل للموضوعات العربية والإسلامية وأسهم فى تكوينى العلمى والفكرى فيما بعد، خاصة مع اشتراكى فى تحقيق كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم فيما بعد وهو من أهم كتب التراث.

أما فى التصنيف فقد كان أستاذنا متأثراً بأستاذه فى لندن، برويك سايرز، وهو أحد أعلام المدرسة التقليدية فى التصنيف، التى تمثل المرحلة الأولى من مراحل البحث والتفكير فيه، وهو أستاذ للكثيرين فى بريطانيا وخارجها، حيث درّس الموضوع فى مدرسة المكتبات بجامعة لندن طيلة أربعين سنة. ومن تلاميذه رانجاناثان وكل أعضاء جماعة البحث فى التصنيف فى بريطانيا الذين أثروا مجال التصنيف واسترجاع المعلومات على مدى خمسين سنة. وتنتهى هذه المرحلة بتخرجى سنة ١٩٦٢،

والعمل بدار الكتب المصرية، حيث بدأت مرحلة التخصص والبحث والتأليف والترجمة، وغيرها، وهى مرحلة تتداخل فيها الخبرات المختلفة بالعمل العلمى ويصعب فصلهما. ولذلك أتوقف الآن عن ذلك الحديث، لأتابعه فى الفصل الأول.

أما سبب الحرص على إنجاز الأعمال التى طال انتظارها، ومنها العمل الذى بين أيدينا، فهناك أسباب كثيرة منها: أنه قد مضى من العمر أكثره، والأعمار بين يدى الله سبحانه وتعالى. وأخشى أن تخترمنى الشواغل أو يدركنى المنون قبل أن أنجز تلك الأعمال، وهى كثيرة. ففى خطتى التى تنتقل من عام إلى عام: هذا العمل الشامل، الذى شرعت فيه الآن، وفيها كتاب شامل عن التاريخ الأدبى للتراث العربى، وفيها استئناف العمل فى الخطة العربية للتصنيف، واستئناف العمل فى الببليوجرافيا الموضوعية لعلوم الدين الإسلامى، وهى أعمال لم يبارحنى التفكير فيها لحظة من عمرى ويسبب لى ذلك أرقاً شديداً وهماً عظيماً، لإيمانى بأهميتها للأمة ولذلك فلأحاول فيما تبقى من عمر أن أنقذ ما يمكن إنقاده، فإن كتب الله لى إكمال هذه الأعمال كلها أو بعضها فبها ونعمت، وإن أدركنى الأجل المحتوم الذى لا راد له، أكون تركت بذوراً وبدايات لعلها تجد تربة صالحة، ولعل الله أن يقيض لها من الأجيال القادمة من يرعاها ويتعهدها ويستكملها، وما ذلك على الله بعزيز؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

صدق الله العظيم

سورة إبراهيم

ولعل ما يقدر الله لى أن يُكتب ويتسع له العمر أن يكون وصايا للأجيال القادمة.

ومن الأسباب كذلك الرغبة فى نشر العلم: من علم علما فكتمه ألجمه الله بلجام من النار. وتلاميذ الإنسان الذين يدرس لهم المرء مهما زاد عددهم فهم قليل. ولذلك فمن الضرورى أن تسجل الأفكار وأن تظهر الأعمال للجمهور الأوسع من التلاميذ والقراء والزملاء سواء منهم الموجودون حاليا أو الذين يأتون بعد.

ومنها أن الأمة الآن أحوج إلى جهود أبنائها وإلى عملهم أكثر من أى وقت مضى. فقد تكالبت عليها الأمم، وتضافرت العوامل لإضعافها: يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره. ولذلك فيجب أن نعى هذا جيدا وندرك أن الأمة ترقى بجهد أبنائها وبتوحد إرادتهم وعزيمتهم وبتعاونهم على البر والتقوى. لقد بنى أجدادنا حضارتهم بالعلم والإيمان، وما أحرانا أن نفعل مثلما فعلوا:

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

ومنها أننى وجدت الناس، ومنهم الأساتذة الجامعيون، يتكالبون على الأعراض ويزجون بأنفسهم فى سفاسف الأمور، فحمدت الله سبحانه وتعالى أن عافانى مما ابتلى به غيرى، وأردت أن أعكف على الجواهر لا الأعراض، وعلى العلم الذى ينتفع به، لأن من أول من يقذف به فى النار عالم يتعلم ليقال علمت، فقد قيل ثم يقذف به فى النار، ورجل أنفق ليقال كريم، فقد قيل ثم يقذف به فى النار، ورجل قاتل ليقال شجاع، فقد قيل، ثم يقذف به فى النار. هؤلاء طلبوا العلم للدنيا فأخذوا ثوابهم فيها ونالوا حظهم منها وليس لهم فى الآخرة من خلاق.

﴿ ومن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الأخرة من خلاق. ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾.

علماؤنا يجب أن يجعلوا أعمالهم خالصة لله لا لطلب دنيا والأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى. نحن لسنا مثل علماء الغرب نفصل الدين عن الدنيا. فالعلم دين وخلق وفضيلة ومبادئ وسلوك. ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة:

﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾.

وكان صلى الله عليه وسلم أعظم معلم لأفضل تلاميذ وكان قرنهم خير القرون، وذلك لتأسيهم برسول الله صلى الله عليه وسلم واقتدائهم به وتمسكهم بأهداب الدين والخلق والفضيلة.

والعلماء هم ورثة الأنبياء، ومكانتهم فى الإسلام مكانة عالية، ومنزلتهم منزلة سامية. ولذلك فيجب أن يترفعوا عن الدنايا وأن يكونوا قدوة لتلاميذهم، لأن الطالب حينما يرى أستاذه يقول مالا يفعل ويفعل ما لا يقول تنهار أمامه القيم، ويظن أن أستاذه هو النموذج وأن أسلوب أستاذه ـ وهو الأسلوب المعوج ـ هو سبيل النجاح فى الحياة، فيصبح المجتمع الجامعى غابة، مثله مثل أى مكان. الأستاذ قدوة ومعلم وعطاء ومرب وموجه، فكيف يفعل ذلك من لا خلاق له:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾.

وشاعرنا يقول:

يا أيها الرجل المعلم غيره   هلاَّ لنفسك كان ذا التعليم

فهذه رسالة إلى إخوانى المربين أن يراقبوا الله عز وجل فيما يقولون وما يفعلون وأن يكونوا أهلا للأمانة، الأمانة الكبرى التى عرضها الله سبحانه وتعالى على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان. وقد تواترت الأنباء فى الصحف والمجلات عن الأمانة العلمية وعن سلوكيات تتنافى مع الأمانة العلمية، وسلوكيات أخرى تتنافى مع الأخلاق الفاضلة، وأنا عن الأمانة العظمى أتحدث، فلا أمان لمن لا دين له. الأخلاق لا تتجزأ، لا يمكن أن أتصور أستاذاً يكذب ويزور ويلوى الحقائق ويتآمر على زملائه، بل على أساتذته، لا يمكن أن يكون لهذا الأستاذ أمانة لا علمية ولاخلقية لأن هذه جزء من تلك، وفاقد الشىء لا يعطيه، ثم يتحدثون عن القيم العلمية وينتقدون غيرهم

والأخلاق والعلم منهم براء. وهذا يجعلنا لا نتساءل عن الأمانة العلمية، بل عن أهلية الأستاذ للتعليم أصلاً:

يا لائم الناس قد أصبحت متهما

إذ عبت منهم أموراً صرت تأتيها

إن من شأن انتشار القيم المقلوبة التى يمتلكها هؤلاء الذين يحسبون على العلم وأهله أن تنتج أجيالاً هزيلة ضعيفة لا مبادئ عندها ولا أخلاق، لأنه لو فسدت الأخلاق فلا تنتظر خيراً:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولو تركت العنان لخواطرى وشجونى فلن أتوقف. ولهذا أكتفى بالإشارة ولعل الله سبحانه أن يغير حالنا إلى الأحسن والأفضل لأن التربية والتعليم هما مفتاح الإصلاح.

مقدمات العلوم عند المسلمين

ولا أريد أن أختم هذه المقدمة دون أن أشير إلى مقدمات العلوم عند المسلمين، حتى أبين كما هى عادتى جذور الأفكار فى تراثنا الإسلامى الذى لم ينصفه أهله، ولا أعداؤه.

هذه المقدمات ليست من ابتكار العصر الحديث، بل كان المسلمون أول من عنى بوضعها، ووصلت عندهم إلى درجة عالية من الرقى لا نجدها عند علماء الغرب.

وللمقدمة فى اصطلاح المتقدمين معنيان:

فهى إما مقدمة علم

أو مقدمة كتاب

ويقصدون بالأولى، أى مقدمة العلم، ما يتوقف عليه الشروع فى العلم من المعلومات؛ أى مدخل إلى العلم.

ويقصدون بالمعنى الثانى: طائفة من الكتاب تقدمت أمام المقصود لارتباط له بها أو الانتفاع بها فيه. ويلاحظ هنا استخدام كلمة المقصود، وفى بعض المصادر تستخدم كلمة المقصد (إرشاد القاصد إلى أى أسنى المقاصد) وهى تساوى ما يطلق عليه فى الاصطلاح الحديث كلمة Core والتى حار الكثيرون فى وجود مقابل عربى مناسب لها، مع أن المصطلح العربى أسبق وأدق وأفضل، وهو بين أيدينا، وهو مقصد.

وقد أطلق على كتب مقدمات العلوم أسماء أخرى كذلك منها: موضوعات العلوم، ومبادئ العلوم. والاسم الأول: موضوعات العلوم، أخذته من عنوان كتاب: مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم. وهو يعبر بدقة عن هذا النوع من المؤلفات. أما التسمية الثانية فقد وجدتها فى مؤلفات علماء الأزهر الشريف فى العصر الحديث، وهى تسير على النهج القديم.

لقد كان أول كتاب فى سلسلة موضوعات العلوم هو كتاب: إحصاء العلوم للفارابى: أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان (ت ٣٣٩هـ). وهو ينسب إلى فاراب بلدة فى بلاد الترك. وقد عرف الفارابى بالمعلم الثانى، حيث أنه من أكبر شراح أرسطو الذى يعرف فى الغرب بالمعلم الأول، فهو الذى نقل مؤلفاته إلى العربية وشرحها. وهو واحد من فلاسفة الإسلام، مثله مثل ابن سينا وابن رشد وغيرهما. وفلسفتهم لا تمثل الفكر الإسلامى الحق. ولكن هذا لا يعنينا الآن، وإنما الذى يعنينا فى هذا السياق محاولته لوضع مقدمات العلوم فى كتابه السالف الذكر. كذلك لن نتناول علاقة هذا الكتاب وغيره من كتب موضوعات العلوم ـ بالتصنيف عند المسلمين فليس هذا مكانه الآن، يقول الفارابى فى مقدمته:

«قصدنا فى هذا الكتاب أن نحصى العلوم المشهورة علما علما، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها، وأجزاء ماله منها أجزاء، وجمل ما فى كل واحد من أجزائه...

«وينتفع بما فى هذا الكتاب لأن الإنسان إذا أراد أن يتعلم علما من هذه العلوم وينظر فيه، علم على ماذا يقدم وفى ماذا ينظر، وأى شى سيفيد بنظره، وما غناء ذلك، وأى فضيلة تنال به، ليكون إقدامه على ما يقدم عليه من العلوم على معرفة وبصيرة لا على عمىً وغرر».

«وبهذا الكتاب يقدر الإنسان على أن يقايس بين العلوم، فيعلم أيها أفضل وأيها أنفع وأيها أتقن وأوثق وأقوى، وأيها أوهن وأوهى وأضعف».

«وينتفع به أيضاً فى تكشيف من ادعى البصر بعلم من هذه العلوم، ولم يكن كذلك، فإنه إذا طولب بالإخبار عن حملة ما فيه وبإحصاء أجزائه وبجمل ما فى كل جزء منه فلم يضطلع به، تبين كذب دعواه وتكشف تمويه».

«وبه يتبين أيضا فيمن يحسن علما منها هى يحسن جميعه أو بعض أجزائه وكم مقدار ما يحسنه».

«وينتفع به المتأدب المتفنن الذى قصده أن يشدو جمل ما فى كل علم، ومن أحب أن يتشبه بأهل العلم ليظن أنه متهم»[1].

وقد نقلت هذه الفقرات الطويلة نسبيا لكى أوضح هدف الفارابى من تأليف كتابه كما عبر عن ذلك هو نفسه. ومن ذلك يتضح أنه هدف تعليمى: رسم معالم العلوم المختلفة، ليبين للطالب الذى يريد دراستها فائدة كل علم، وأجزاءه ومباحثه، والعلاقة بين العلم وغيره من العلوم، ومرتبة العلم من حيث القيمة ومرتبته عند التحصيل، حتى يترقى من علم إلى علم، وكل هذه بطبيعة الحال أمور تعليمية.

وقد جاءت كتب أخرى بعد الفارابى، فألف السنجارى الأكفانى فى القرن الثامن كتاب: إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، ثم كتب ابن خلدون الباب السادس من مقدمته: «فى أصناف العلوم الواقعة فى العمران لهذا العهد». وكتب السيوطى فى القرن التاسع كتابيه: النقاية المتضمنة خلاصة أربعة عشر علما، وكتاب الدراية لقراء النقاية، وهو يزيد فيه على العلوم التى تناولها فى فى الكتاب الأول: النقاية.

يأتى بعد ذلك أهم كتب تلك السلسلة وهو كتاب طاشكبرى زادة، الذى ألفه عام ٩٤٨هـ (ت ٩٦٨هـ) ، وهو كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى

---

(١) الفارابى: أبو النصر محمد بن محمد بن أوزلغ. احصاء العلوم، ١٩٤٧. ولاحظ استعماله للفظ المقاصد جمع مقصد التى أشرنا إلينا آنفا، وغرضه واضح.

موضوعات العلوم. وقد أعطى كتابه هذه السلسلة اسمها، وهو: موضوعات العلوم، كما سبق أن ذكرت[1].

وإذا كان صاحب مفتاح السعادة قد أطلق على كتابه: موضوعات العلوم، والذى يمكن كما ذكرت آنفا أن يكون اسما لهذا النوع من المؤلفات، فإن علماء الأزهر الشريف فى عصر أحدث قد أطلقوا على هذا النوع من المؤلفات: مبادئ العلوم، وألفوا فيه عدداً كبيراً من المؤلفات. وهى كتب حديثة نسبيا من حيث الزمن إلا أنها تسير على النمط القديم فى التأليف. وهى مفيدة جدا فى معرفة المنهج التعليمى عند المسلمين، وفى معرفة المقدمات التى يجب أن يبدأ بها المؤلف أو القارئ.

المبادئ عندهم هى تعاريف الموضوعات. وهم يعرفون العلم، والموضوع، والمسائل،والغاية، والغرض، والفائدة، وهدفهم من ذلك تعليمى أيضاً.

ومن تقاليد المتقدمين كذلك أنهم كانوا يذكرون فى أوائل كتبهم ما يسمونه: الرؤوس الثمانية، وهى مقدمات الشروع فى العلم، وهى الغرض، والمنفعة، والسمة (الاسم)، والمؤلف، ومن أى علم هو ليطلب ما يليق به، وفى أى مرتبة هو ليتقدم عما يجب، ويتأخر عما يجب، والقسمة (أقسامه) ليطلب فى كل باب ما يليق به، والأنحاء التعليمية؛ وهى: التكثير من فوق (التقسيم)، والتحليل وهو عكسه، والتحديد أى فعل الحدود (التعاريف)، والبرهان أى الطريق إلى الوقوف على الحق والعمل به. وقد شرحوا المقصود بهذا كله.

وهناك أمور كثيرة يمكن دراستها والخروج بها من هذه الكتب وهى دراسة شيقة ومفيدة، ولكن حتى لا نخرج عن حدود عملنا هذا أركز على أمرين:

١ ـ علاقة هذا النوع من المؤلفات ـ مقدمات أو موضوعات أو مبادئ العلوم ـ بما نحن بصدده الآن من دراسة مقدمات تنظيم المعرفة، وما الأمور التى يجب أن يركز المؤلف عليها أو بمعنى آخر يجب أن يتناولها عند الشروع فى التأليف. وهذه العلاقة واضحة جلية.

٢ . علاقة هذه الأعمال بالتصنيف بصفة عامة وبالتصنيف عند المسلمين بصفة

---

(١) تناولت هذا الموضوع بالدراسة المفصلة فى مقدمة الكتاب فلا داعى للإطالة هنا.

خاصة. وهذا الموضوع أرجىء تناوله إلى الجزء الخاص بالتصنيف عند المسلمين. وقد أعود إلى العلاقة بين التعريف والتصنيف عند تناول تعريفات التصنيف.

وقبل أن أترك هذه الصفحات الموجزة عن مقدمات العلوم عند المسلمين لا يفوتنى أن أشير إلى أمر مهم جدا وجذوره أيضا فى كتابات المسلمين، وهو أن الطالب للعلم والمعرفة بعد أن يقرأ التعاريف والمسائل والرؤوس التى أشرنا إليها ويشرع فى التحصيل فسوف يجد أمامه فى كل علم من العلوم ثلاثة أنواع من الكتب:

١ . **الكتب البسيطة**: وهى التى تقابل عندنا الآن المقدمات أو المداخل، وهى كتب أولية Elementary، وتسمى فى العصر الحديث Introductions ، وأحيانا تسمى Elements of، الخ. وهى كتب شاملة فى الموضوع.

٢ . **الكتب الوسيطة**: وهى الكتب التى تعالج الموضوعات بصورة أوفى من كتب المقدمات، وهى وسط بين المقدمات introductions والكتب المتقدمة advanced. ويطلق على هذا النوع فى العصر الحديث Intermediate وهى كتب شاملة أيضا وتسمى كثيرا: Manuals.

٣ . **الكتب المبسوطة**: وهى الكتب المفصلة، أو المتقدمة، وهى أوفى من الكتب الوسيطة، ولكنها تميل إلى معالجة جانب واحد من الموضوع أو عدة جوانب ولا تكون شاملة لكل جوانب الموضوع فى الأعم الأغلب. وتسمى فى العصر الحديث Advanced.

هذا النوع الثالث وإن كان لا يعالج موضوعات العلم كافة فى العصر الحديث إلا أنه فى التراث الإسلامى كان يعالج فروع علم من العلوم كافة. وربما كان ذلك لأن المعرفة تخصصت فى العصر الحديث وأصبح من الصعب أن يعالج كتاب واحد بالتفصيل فروع علم من العلوم.

بعد هذه المقدمة المختصرة عن مقدمات العلوم، نذكر أن المؤلفات العربية فى العصر الحديث، قد عرفت الأنواع الثلاثة من المؤلفات فى العلوم المختلفة. وقد استخدمت

كلمة مقدمة أو مدخل للكتب البسيطة، وهى مداخل أو مقدمات العلوم. كما استخدم مصطلح: البسيط، ولكن بدرجة أقل من مقدمة أو مدخل، كذلك استخدم لفظ الرائد فى العربية: Primer فى الإنجليزية. كذلك استخدام مصطلح الموجز والوجيز.

أما مصطلح: الوسيط، فقد استخدم وخاصة فى كتب القانون. وقد استخدم مصطلح: المبسوط فى التراث الإسلامى بكثرة، ومن أشهر الكتب المبسوطة: المبسوط للسرخسى فى الفقه الحنفى. والكتب فى مفتاح السعادة تقسم على هذه الأنواع الثلاثة. فتحت كل علم من العلوم، يبدأ بذكر الكتب البسيطة، ثم الكتب الوسيطة، ثم المبسوطة، وأحيانا لا يذكرها كذلك، وإنما يقول: ومن المصنفات... وفى معظم الأحيان لا يوجد لفظ البسيط، الخ، فى العنوان، وإنما هى سمة للكتاب.

والسلسلة التى نقدم لها الآن هى عمل شامل يعالج كل جوانب موضوع تنظيم المعرفة، وهى ليست عملاً واحداً وإنما هى سلسلة تتألف من عدة أعمال يخصص كل منها لموضوع متفرد. الكتاب الأول فيها مدخل عام وقد تناولت ذلك فى ختام الفصل الأول: التمهيد.

وأختم هذه المقدمة بحديثين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل فيهما عبرة لأولى الألباب:

«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

وفى رواية: وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله فقد ضاد الله، عز وجل، ومن

خاصم فى باطل، وهو يعلم، لم يزل فى سخط الله حتى ينزع، ومن قال فى مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال، حتى يخرج مما قال.

صدق الرسول المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم

حالت: منعت؛ شفاعة: توسل من أجل أمر؛ حد: عقوبة، ضاد: عادى، سخط: غضب، ينزع: يدع ما هو فيه؛ ردغة: طين ووحل، وردغة الخبال: النار وما فيها؛ يخرج مما قال: يتخلص منه.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذا هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد.

الفصل الأول

تمهيد

ذكرت فى المقدمة أننى عرفت التصنيف لأول مرة، وكذلك المراجع العربية فى السنة الثالثة بقسم الوثائق والمكتبات. والحق أننى خصصت هذين المقررين بالذكر لأن اهتماماتى فيما بعد تبلورت حول التصنيف والتراث وكان لدراستى بالجامعة فى هذين المقررين امتداد فيما بعد فى حياتى العلمية والعملية. وقد وقفت فى المقدمة عند تخرجى من الجامعة فى سنة ١٩٦٢، وعملى بدار الكتب المصرية. وقد عين معى فى نفس الوقت مجموعة من زملائى، كما وجدنا زملاء آخرين أسبق منا تخرجا. وكانت دار الكتب فى ذلك الوقت محط آمال الكثيرين من الخريجين، حيث كانت المكتبة الوطنية لمصر وفى تلك الفترة بالذات وضعت أساسات المبنى الجديد لدار الكتب، الذى كان مخططاً له أن يكون مبنى راقياً جداً كما قيل لنا آنذاك.

وقد عملت بدار الكتب سنة وبضعة شهور حتى انتقلت للعمل معيداً بقسم الوثائق والمكتبات الذى تخرجت فيه، وهى الفترة التى استغرقتها عملية التعيين بالجامعة التى كانت تتم عن طريق الإعلان فى الصحف،. وتستغرق وقتاً طويلاً وتنطوى على إجراءات كثيرة. وكانت هذه آخر دفعة (١٩٦٢) يتم تعيينها بهذه الطريقة، أما فى السنوات التالية، فقد أصبح التعيين يتم عن طريق التكليف مباشرة، وهو ما أعفى الزملاء فى السنوات التالية من تلك الإجراءات الطويلة.

بدأت عملى بدار الكتب مديرا للمكتب الفنى لوكيل الدار. وكان ذلك من فضل الله علىّ، فقد كان وكيل الدار فى تلك الفترة (أصبح مديراً بعد ذلك) هو الأستاذ صلاح الحفنى رحمه الله، وهو من أنقى وأتقى وأطهر الشخصيات التى عرفتها فى حياتى، وأكثرها شفافية وورعاً. وقد استمرت علاقتى به بعد تعيينى بالجامعة وانتقالى إليها، وحتى وفاته سنة ١٩٧٧.

لقد كان لعملى بدار الكتب، رغم قصر المدة التى قضيتها، أثر كبير فى حياتى بعد، وكان فيها أحد المنحنيات المهمة فى حياتى على ما سأحكى.

والمفروض أن عملى بالمكتب الفنى كان دراسة التقارير الفنية التى ترد من الأقسام المختلفة للدار وإبداء الرأى فيها قبل عرضها على الوكيل ثم المدير. ولم تكن هذه التقارير كثيرة، بل كانت قليلة جداً بل نادرة. ولذلك كان عندى فراغ كثير. وحتى لا يضيع الوقت هباء كنت أستفيد منه بطريقة بناءه. فقد كنت أذهب كثيرا إلى قسم المراجع والببليوجرافيا، والذى كان يعد «النشرة المصرية للمطبوعات» والببليوجرافيات الموضوعية. ثم انتقلت بعد ذلك نهائيا إلى ذلك القسم لاكتساب الخبرة العملية الحقيقية. وكان لذلك أثره الكبير، حيث اكتسبت خبرة طيبة فى مجال العملى الببليوجرافى ومجال خدمة المراجع.

عملت مع زملائى فى إعداد «النشرة المصرية للمطبوعات» وهى تسجل الإنتاج الفكرى الذى يدخل إلى دار الكتب بموجب قانون الإيداع. ومن ثم فهى تمثل كل الإنتاج الفكرى المصرى تقريبا. وقد أتاح لى العمل فى النشرة خبرة طيبة فى مجال الفهرسة والتصنيف، ومن ثم فى التفاعل مع مشكلات فهرسة وتصنيف الكتاب العربى، وخاصة التصنيف، الذى وجدت نفسى مشدوداً إليه ومهتماً به اهتماماً كبيراً. فالتصنيف يعالج المعرفة، ومن ثم فهو يعطى الفرصة لإعمال الفكر وإدراك العلاقات، والفروق بين الموضوعات وتصب فيه كل قراءات وثقافة المرء، خلافا لبعض فروع علم المكتبات الأخرى التى لا يتوافر فيها هذا النوع من إعمال الفكر.

والخطة التى كنا نستخدمها فى تصنيف النشرة كانت التصنيف العشرى الموجز الذى ترجمه معدلا للمكتبات العربية اثنان من الرواد هما: الدكتور محمود الشنيطى والدكتور أحمد كابش. وقد أعداه تنفيذاً لتوصية الحلقة التى عقدت عن المكتبات فى بيروت سنة ١٩٥٩، وهى من أوائل الحلقات فى هذا الصدد.

هذه الترجمة المعدلة هى للطبعة الثامنة الموجزة من التصنيف العشرى الأصلى التى صدرت سنة ١٩٥٩ والتى هى مختصر من الطبعة ١٦ الكاملة من التصنيف العشرى التى صدرت سنة ١٩٥٨. وقد كانت تلك الفترة على قصرها غنية

بالخبرات. فمن ناحية أفادنى عملى فى الفهرسة والتصنيف فى اكتساب الخبرة، وكذلك فى التفاعل مع قضية الركائز الفنية. وقد جعلنى هذا اتجه إلى قراءة كتب التصنيف التى كانت توجد بدار الكتب، ومنها: كتاب سايرز المشهور Manual of Library classification، وكذلك كتب رانجاناثان ومنها كتاب كان قد صدر حديثا وهو Elements of Library Classification (١٩٦٢). وتزامن هذا مع دراستى للسنة التمهيدية للماجستير بقسم المكتبات. وكان من المتطلبات التى كلفنا بها أستاذنا الشينطى وبعض زملائى - البدء فى ترجمة دائرة معارف مهنة المكتبات أو فن المكتبات: Encyclopedia of Librarianship التى حررها توماس لانداو Thomas Landau والتى كانت طبعتها الجديدة قد صدرت حديثاً جداً فى سنة ١٩٦٢. وقد اخترت ترجمة المواد الخاصة بالتصنيف. حدث هذا التفاعل إذا بين العمل والدراسة والقراءة، وكان له أثره الكبير فى توجهى الدراسى والعلمى.

فى تلك الفترة أيضاً اشتركت فى ترجمة أكثر من كتاب من كتب التصنيف، وهى محاولات لم تر النور:

1. Fandamentals of Library Classification, 1951.
2. Sayers' Manual of Classification, 1959.
3. Primer of Book Classification, 1961.

والكتاب الأول ألفه كل من برنارد بالمر، وولز. وهو أول كتاب بريطانى يؤلف عن نظريات ومنهج رانجاناثان. والثانى وهو كتاب سايرز عمدة فى التصنيف، خاصة فى النظرية التقليدية، وفى تاريخ التصنيف. والثالث من تأليف فيلليبس، وهو أيضا عمل شامل فى التصنيف، ولكنه أقل من سايرز تركيزاً على التاريخ والنظريات.

هذه المحاولات جميعا لم تظهر إلى الوجود. وفى سنة ١٩٦٣ أيضاً درست لأول مرة كتاب ملز: Modern outline of Library Classification

فلما أخفقت محاولاتى السابقة، عقدت العزم على ترجمة كتاب ملز، وقد تم ذلك، ونشر فى سنة ١٩٦٦. وكان أول كتاب مهم يترجم إلى العربية فى موضوع التصنيف. وكان ذلك أيضا من المنحنيات المهمة. وهو استطراد جعلنى أسبق الأحداث قليلا، ولكنى سوف أعود إلى هذه النقطة فيما بعد.

أتاحت لى هذه الخبرات وتلك القراءات، ثم الترجمات، أن أطلع على عالم التصنيف الواسع بنظمه ونظرياته وقضاياه ومشكلاته، وجدلياته التى لم تنته إلى الآن. ودرست فيما درست نظرية التصنيف التقليدية ونظرية التصنيف عند المدرسة الحديثة، والخطط الأخرى، مثل بليس ورانجاناثان ومكتبة الكونجرس، فضلاً عن تعميق دراستى لديوى علماً وعملاً. هذا كله أتاح لى نظرة شاملة لقضايا التصنيف ومشكلاته. وتواكب هذا كله مع رغبتى فى اختيار موضوع لدراسة الماجستير، حيث كنت قد انتهيت من السنة التمهيدية للماجستير فى سبتمبر سنة ١٩٦٣.

وكان من الطبيعى وقد اكتشفت ميولى فى تلك الفترة أن أتجه إلى التصنيف. ولكن أى موضوع اختار. لقد كان هناك إحساس متجدد مع العمل اليومى فى تصنيف النشرة المصرية للمطبوعات ـ بعدم الراحة مع تصنيف ديوى، وبعدم كفاية هذه الخطة. وفى إحدى الليالى، وفى ومضة من ومضات الفكر هدانى الله سبحانه وتعالى إلى الموضوع الذى أعددته لرسالة الماجستير، وكانت الفكرة هى: لماذا لا ندرس إمكانية إنشاء خطة عربية للتصنيف. وهكذا أخذت أركز قراءاتى وأبلور أفكارى، إلى أن تم إعداد مخطط الدراسة فى مايو ١٩٦٤ وسجلت فى يوليو، وكانت فى موضوع:

دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف الببليوجرافى لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف. وقد انتهيت من تلك الدراسة فى سبتمبر ١٩٦٧.

فى تلك الرسالة درست خمسة أنظمة هى: التصنيف العشرى، والتصنيف العشرى العالمى، وتصنيف مكتبة الكونجرس، والتصنيف الببليوجرافى لبليس، وتصنيف الكولون لرانجاناثان. كما درست الطرق المتبعة فى ترتيب بعض المكتبات العربية، وبعض التعديلات العربية للتصنيف العشرى لديوى. وأخيراً درست نظريات التصنيف سواء نظرية المدرسة التقليدية، أو المدرسة العملية أو المدرسة الحديثة. وخلصت إلى ضرورة وجود خطة عربية للتصنيف تلبى احتياجات المكتبات العربية، وتبنى على الأسس الحديثة التى وضعتها المدرستان الهندية والبريطانية مع الأخذ فى الاعتبار حاجات الموضوعات العربية.

فى تلك الأثناء ألقت إلىّ المقادير بعمل يمثل أحد المنحنيات الرئيسية فى حياتى أيضا، وهو الاشتراك فى تحقيق كتاب: **مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم**. وهو من عيون كتب التراث، ويتسم بسمات لا توجد فى غيره من كتب التراث العربى: فهو موسوعة فى موضوعات العلوم العربية، وهو كتاب ببليوجرافى مهم، وهو موسوعة مصنفة وفق أرقى ما وصل إليه التصنيف عند المسلمين، وهكذا وهكذا من السمات. وقد كتبت له مقدمة درست فيها كل جوانبه فى إطار واسع من الحركة العلمية عند المسلمين. وهكذا كان لهذا الكتاب فضل كبير فى أن أعطى للتراث تحقيقا ودراسة وتكشيفاً فيما بعد ما يليق به، وتبلور حبى للتراث فى الكتاب ومقدمه.

ويمكن القول إنه فى الفترة من ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨ تبلورت اهتماماتى ونشاطاتى فى العمل العلمى بصورة واضحة وانسابت فى المجالات الآتية:

أولاً: فى مجال الخطة العربية للتصنيف.

١ . رسالة الماجستير وقد تحدثت عنها من قبل. وللأسف فإنها لم تطبع.

٢ . رسالة الدكتوراة، وهى فى موضوع: **التصنيف الببليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى**. وقد نوقشت فى ١٩٧٢ . وطبعت فى السنة التالية (١٩٧٣). ونفذت منذ مدة طويلة. وتحت الإعداد الآن الطبعة الثانية من خطة تصنيف علوم الدين الإسلامى، ولكنها ستصدر بحول الله ومشيئته فى إطار جديد بعد خبره هذه السنين.

٣ . مقال بعنوان: التصنيف الببليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى. نشر فى أول عدد من مجلة الثقافة العربية (يناير ١٩٧٣).

٤ . البحث الذى تقدمت به للمؤتمر الأول للإعداد الببليوجرافى للكتاب العربى، الذى عقد بالرياض سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م. وهو بعنوان: **نظم التصنيف فى الوطن العربى: المشكلات والحلول المقترحة**. وقد صدر ضمن أعمال المؤتمر، ثم أعيد طبعه.

٥. بحث عن: **التعديلات العربية للتصنيف العشرى لديوى**

٦. بحث عن: **تجريب الخطة العربية للتصنيف.**

٧. بحث عن: **البيبليوجرافيا الموضوعية العربية: علوم الدين الإسلامى،** وعلاقتها بتجريب الخطة العربية للتصنيف.

٨. **الخطة العربية للتصنيف:** الأسس والإطار العام.

٩. **الخطة العربية للتصنيف:** تصنيف التربية والتعليم وعلم النفس التربوى.

والأبحاث من ٥ ـ ٩ قدمت إلى المؤتمر الثانى للإعداد البيبليوجرافى للكتاب العربى الذى عقد فى بغداد ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. وقد صدرت ضمن أعمال وبحوث المؤتمر. ولما اشتكى الزملاء من عدم توفر هذه البحوث، أصدرتها فى كتاب شامل وأضفت إليها بحث مؤتمر الرياض، ومقدمة طويلة عن التصنيف فى مؤتمر بغداد، وكشافا لتصنيف التربية. وقد ظهرت جميعا فى العمل التالى:

١٠. **الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين:** الرياض ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، بغداد ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. ـ الرياض: دار العلوم، ١٩٧٨.

وقد اشتكى الزملاء من عدم وجود بعض الأعمال فى مصر، فبدأت فى إعادة طبع بعض الأعمال، ومنها:

(أ) **نظم التصنيف فى الوطن العربى:** المشكلات والحلول المقترحة. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦. وقد قدمت له بمقدمة طويلة عن:

التصنيف فى مفترق الطرق، وهو بحث مستقل.

(ب) **الخطة العربية للتصنيف:** الإطار العام ونظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦.

وقد صدر الكتابان ضمن سلسلة: الخطة العربية للتصنيف، التى أنوى أن أصدر تحت اسمها كل ما يتعلق بهذه الخطة بحول الله وقوته.

أما الأعمال الأخرى فى مجال الخطة، فهى:

١١ . **نحو نظرية إسلامية لتنظيم المعرفة**. مجلة الدارة (الرياض).

وقد أعيد طبعه فى كتاب: **بحوث فى المكتبات العربية**.

١٢ . **مستقبل الخطة العربية للتصنيف**. مجلة التربية (الكويت).

وقد أعيد طبعه ضمن كتابنا: **دراسات فى علوم المكتبات والتوثيق والببليوجرافيا**، ١٩٩٦ . وهناك بحث واحد باللغة الإنجليزية وهو:

13. Asuggested classification System for the Arabic Information Society.

وهو بحث تقدمت به إلى مؤتمر:

The Infrastracture of an Information Society.

وقد عرض على المؤتمر ثم صدر ضمن أعماله، التى صدرت عن:

Elsevier Science Publishers B.B.(North Holland)1984.

أما المؤتمر نفسه فقد عقد بالقاهرة، نوفمبر ١٩٨٢ .

ومن الصعب أن نتحدث عن الجهود التى بذلت فى مجال الخطة العربية للتصنيف فى هذا الفصل التمهيدى، أو أن نوجز كل ما اشتملت عليه الأعمال السابقة ولكن سوف يكون لها مكان إن شاء الله فى هذه السلسلة.

وفيما يتعلق بالوضع الراهن للخطة فخلاصة القول إن العمل الذى بدأته وجد ترحيبا من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وكان المأمول أن تستمر الجهود الطيبة لهذه المنظمة بالنسبة لهذا المشروع وغيره من المشروعات العلمية الكبيرة. ولكن ظروف المنظمة حالت دون ذلك. وآمل أن أستأنف جهودى على قدر الطاقة البشرية والله المستعان.

ثانيا: الأعمال فى مجال: الببليوجرافيا الموضوعية العربية

لما كنت من طائفة المتخصصين فى علوم المكتبات، ولما كنت أيضا باحثًا وخاصة فى مجال إعداد خطة عربية، فقد كان إحساسى بالمدخل الموضوعى وأهمية توفيره إحساساً قوياً، وكان إحساسى بأهمية التنظيم الموضوعى للإنتاج الفكرى

العربي قوياً جداً إلى حد الأرق؛ إذ يؤرقني فعلاً ما عليه حالة الإنتاج الفكرى العربى من عدم تنظيم. وقد عانيت بنفسى كباحث هذا الأمر حينما كنت أعد رسالة الدكتوراة. وقد تحول هذا الأرق وتلك المعاناة إلى رغبة ملحة فى توفير سلسلة من الببليوجرافيات الموضوعية العربية، خدمة للباحث العربى وخاصة فى العلوم العربية والإسلامية. أما فى العلوم الأخرى كالطب والكيمياء والجيولوجيا، فهى ليست أحسن حالاً. وهناك أعمال عربية كثيرة فى هذه المجالات باللغة العربية وغيرها من اللغات لا يعرف عنها الباحثون شيئاً.

ولهذا تقدمت إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى إبريل سنة ١٩٧٣ بمشروع يهدف إلى إعداد سلسلة من الببليوجرافيات الموضوعية العربية، تتناول كل حلقة منها موضوعاً من الموضوعات. وتقديراً من المنظمة لقيمة الببليوجرافيات الموضوعية فى خدمة البحث العلمى والثقافة العربية، وهى التى أنشئت لخدمتها، ونظرا لافتقار الإنتاج الفكرى العربى الشديد إلى مثل هذه العمل وهو الأمر الذى يؤثر سلبا على الثقافة العربية، ويعوق البحث العلمى ـ نظرا لذلك فقد وافق المؤتمر العام للمنظمة (يناير ١٩٧٤) على تنفيذ الخطة التى قدمتها، واتفق على أن يبدأ المشروع بعلوم الدين الإسلامى، وأن تنفذ حلْقةٌ من الحلقات كل عامين.

وقد توافق العمل فى المشروع مع البدء فى تنفيذ توصيات مؤتمر الرياض، والتى كانت تقضى باستكمال الخطة العربية للتصنيف، والبدء بتجريب خطة تصنيف علوم الدين الإسلامى، التى وافق عليها المؤتمر. واندمج المشروعان فى عمل واحد، حيث كانت الخطة أن تصنف الببليوجرافية وفق تصنيف علوم الدين الإسلامى، وأن تكون ـ إلى جانب كونها مشروعاً مستقلاً ـ جزءاً من تجريب الخطة العربية للتصنيف ومعملاً لهذا التجريب. وقد أثمر العمل فى الببليوجرافيا عن إعداد:

١٤. **الببليوجرافيا الموضوعية العربية: علوم الدين الإسلامى.** ـ القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٦ ـ ١٩٧٨. ٧ مج.

وللأسف الشديد فإن الميزانية التى رصدت للمشروع لم تتسع لنشر العمل، وإنما

طبعت منه على الأوفست نسخ محدودة ذهب معظمها إلى الجهات المختلفة كإهداءات، ودون خطة معينة، حتى أنه من النادر أن تجد نسخة واحدة كاملة فى مكتبة واحدة، حيث أن المنظمة كانت ترسل النسخ إلى اللجان الوطنية للمنظمة فى الدول المختلة وهى التى تتولى إهداءها إلى المكتبات، وآخر مجلد وهو مجلد ضخم عن علم الكلام، وعن حركات الإحياء والإصلاح والتجديد لم يطبع منه إلا مائة نسخة فقط. وعلى هذا فإن الفائدة المرجوة من هذا العمل لم تتحقق ويظل الأمر فى حاجة إلى دفعة قوية حتى يرى العمل النور فى طبعة جديرة بأن يستفيد الناس من العمل.

ولما انتقلت المنظمة إلى تونس، أصبح حال المشروع مثل حال الخطة العربية للتصنيف. وإلى الله المشتكى وهو سبحانه المستعان.

وقد أعددت عن المشروع بحثاً مهماً نشر فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض خلال مدة عملى بها (١٩٧٨) ثم أعدت طبعه فى عمل آخر، وهو: بحوث فى المكتبة العربية. ـ الكويت: مكتبة الثقافة، ١٩٨٥. وهذا البحث هو:

١٥. الببليوجرافيا الموضوعية العربية: علوم الدين الإسلامى.

ثالثا: الأعمال فى مجال التراث العربى:

إن حب التراث العربى: موضوعاته وأهله محفور بعمق فى كيانى كله لأننى أؤمن إيماناً راسخاً لا يتزعزع بأن هذا التراث بما اشتمل عليه من علوم وقيم هو أهم ما تملكه الأمة الإسلامية والعربية، وأن هذا التراث هو الذى يمثل شخصية الأمة، وهو الذى كان السبب فى قوتها، وأن الابتعاد عنه ـ علوما وقيما ـ هو السبب فيما آل إليه حالنا من ضعف وتخاذل، وأنه إذا أردنا أن نعود إلى ما كنا عليه من قوة وعزة ومنعة، وإذا أردنا أن نحافظ على شبابنا وأجيالنا من التيارات الفكرِية الوافدة، ومن العولمة، ومن الإنترنت، ومن الفضائيات، إذا أردنا ذلك فلابد أن نعضَّ على تراثنا بالنواجذ، وأن نبعث قيمه الراقية لكى تكون سلوكا لنا، حتى يصير حيًّا يمشى بين الناس، أو يمشى به الناس.

ولحرصى على الأمة العربية والإسلامية، وغيرتى عليها، ورغبتى أن تكون كما أراد الله لها: خير أمة أخرجت للناس، لم آل جهدا فى الدعوة إلى حصر التراث العربى ونشره وخدمته وتكشيفه. وإذا نظرنا إلى الصورة من جميع زواياها، فإننا يمكن أن نقول إن المشروعين الكبيرين اللذين نذرت لهما حياتى، هما الخطة العربية للتصنيف، والببليوجرافيا الموضوعية العربية، هما عملان كبيران لخدمة التراث العربى، لا بالمفهوم الضيق ولكن بالمفهوم الواسع الذى ينظر إلى كل العلوم على أنها عربية إسلامية ما دامت تؤدى دورها فى المجتمع الإسلامى. هذه الأعمال كلها تصب فى خدمة التراث العربى بجميع علومه، وتصب فى خدمة العلوم العربية ـ بالمعنى الواسع ـ وفى خدمة البحث العلمى، وفى خدمة الثقافة العربية والإسلامية، ومن ثم فهى تؤدى حين تتم على الوجه الأكمل إلى رفعة المجتمع الإسلامى وتقدمه، وإلى أن يقوم الإسلام والمجتمع الإسلامى بدورهما فى تقديم رسالة الإسلام إلى العالم باعتباره دعوة عالمية. ولا يمكن للمجتمع الإسلامى أن يقدم رسالة الإسلام إلى العالم، والمسلمون على هذا النحو من التشتت والتشرذم والضعف. إن المجتمع الإنسانى لا تقنعه النماذج الهزيلة، وإنما يقتنع بالنماذج القوية، ولا يمكن أن يكون مجتمعنا الإسلامى الآن ممثلاً للإسلام القوى العزيز: دين الله الذى اختاره لهداية البشر ورفعتهم وتقدمهم:

﴿ إن الدين عند الله الإسلام﴾.

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾.

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾.

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيراً ﴾.

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾.

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾.

إلى غير ذلك من الآيات التى تبين عموم رسالة الإسلام ودور الأمة الإسلامية باعتبارها الأمة الوسط. والتراث يمثل ذلك كله. ومن ثم فلا يمكن لنا أن ننهض إلا بحصره وخدمته ودراسته واستخراج ما فيه من قيم وأخلاق وحكم وعظات وسلوكيات جميلة.

إذا فالأعمال تتكامل فيما بينها فى خدمة التراث الإسلامى والفكر الإسلامى. وأقصد هنا بهذه المجموعة التى تلى من الأعمال، الأعمال التى كتبت أو اهتمت بالتراث بصورة مباشرة، وهى:

١٦. ماذكرته من اشتراكى فى تحقيق:

مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم. (١٩٦٨).

١٧. **أربعة كتب ببليوجرافيةعربية**. القاهرة، مجلة الكتاب العربى، إبريل ١٩٧٠. أعيد نشره فى بحوث فى المكتبة العربية.

١٨. بحث فى مجلة الثقافة العربية (المنظمة العربية ١٩٧٤) بعنوان: **مقترحات لجمع وخدمة التراث العربى**.

١٩. بحث فى مجلة مكتبة الإدارة (الرياض، ١٩٧٦) بعنوان:

الخطة العربية للتصنيف والببليوجرافيا الموضوعية العربية ودورهما فى خدمة التراث العربى.

٢٠. بحث فى مجلة الدارة (الرياض ١٩٧٩) بعنوان: **قضية التراث**. وقد أعيد طبعه فى كتاب: بحوث فى المكتبة العربية.

٢١. كشافات مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ٣ مج.

وقد أعد بمناسبة الأسبوع الذى عقدته الجامعة عن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وأعدت له بجمع مؤلفاته كلها فكانت فى اثنى عشر مجلداً. وقد قمنا بإعداد هذه الكشافات المفصلة، والتى تمثل النموذج الأول للتكشيف الدقيق للكتب العربية، وهو أمر حتمى إذا أردنا خدمة هذا التراث.

ثم كتبت عن التكشيف أيضاً البحث التالى:

٢٢ ـ **تكشيف كتب التراث.** مجلة عالم الكتب (الرياض) ع٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

رابعاً: جهود فى مجال التأليف

ومن الواضح أن الجهود فى مجال البحث والببليوجرافيا وخدمة التراث، بل وحتى الترجمة تطغى على الجهود فى مجال التأليف. لقد كان الكاتب فى المراحل المختلفة مشغولاً بدور أو أدوار معينة ولم يلتفت إلى تأليف الكتب والدراسية منها بصفة خاصة. ومهما دافعنا عن هذا الموقف إلا أنه جعل هناك فراغاً ملأته الكتب، سواء فى ذلك الغث والسمين منها.

ولعل التفاتى إلى هذا العمل الحالى فى المرحلة الراهنة أن يسد هذا الفراغ، وأن يصلح الخلل، ولعل أحد الدوافع هى إحساس بالتقصير فى حق القراء والطلبة والأساتذة والمكتبيين العرب، وسوف أعود إلى ذلك بعد. وبطبيعة الحال أقصد بالتأليف: الكتب، وليست الأبحاث.

وفى هذا المجال فليس للكاتب إلا عمل واحد هو:

٢٣. **التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات.** ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦. ثم جزء أو قسم من كتاب:

٢٤. **التصنيف العملى والتكشيف.** ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦. والقسم الأول من الكتاب هو عن قواعد التصنيف العمل. أما القسم الثانى فهو كتاب مترجم كامل.

أما الكتب الأخرى، فهى إما أبحاث أكاديمية، مثل رسالة الدكتوراه؛ أو مجموعة أبحاث مثل: الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين، والكتابان اللذين أعدت نشرهما من تلك البحوث، ومجموعات أبحاث ومقالات؛ مثل بحوث فى المكتبة العربية؛ أو مجموعة أعمال مثل: دراسات فى علوم المكتبات والتوثيق والببليوجرافيا.

خامساً: بحوث عن الكتاب العربى وعن ثقافة الطفل: وهنا نجد بحثين:

٢٥. **الخدمات المكتبية للطفل العربى وسبل تطويرها.** وقد قدم إلى: ندوة ثقافة الطفل فى المجتمع العربى الحديث، التى عقدت بالكويت، ١٩٨٣، وصدر ضمن أعمال الندوة. ثم أعيد طبعه، ضمن: بحوث فى المكتب العربية، ١٩٨٥.

٢٦. **مشكلات الكتاب العربى من التأليف إلى القراءة.**

وقد نشر لأول مرة فى مجلة عالم الكتب (الرياض)، الجماديان ١٤١٣، ديسمبر ١٩٩٣. ثم أعيد نشره ضمن: دراسات فى علوم المكتبات والتوثيق والببليوجرافيا.

سادساً: جهود فى مجال الترجمة:

٢٧. **نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات/** تأليف ج. ملز. ـ القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦. أعيد طبعه ١٩٨٢.

٢٨. **الفهرس المصنف: أسسه وتطبيقاته/** تأليف جيسى شيرا، مرجريت إيجان. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦.

٢٩. **تنظيم المعلومات فى المكتبات ومراكز التوثيق/** تأليف أ.س، فوسكت. ـ الرياض: دار العلوم، ١٩٨٠. ٢ مج.

٣٠. **الببليوجرافيا النسقية/** تأليف لوين روبنسون. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦. ضمن كتاب: دراسات فى علوم المكتبات والتوثيق والببليوجرافيا.

٣١. **التحليل الموضوعى:** الأسس والإجراءات/ تأليف. لانجريدج. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦ القسم الثانى من كتاب: التصنيف العملى والتكشيف.

٣٢. **التحليل الموضوعى فى فهارس البحث المباشر/** تأليف راو ألورى، د. ألاسدير كمب، جون بول. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨.

واهتمام الكاتب بالترجمة أساسى جداً وذلك لتوفير مصادر المعرفة وتوطئة أكناف

العلم للقارئ العربى. وقد عبّر عن اهتمامه بقضية الترجمة وتعريب المصطلحات وتكوين مكتبة عربية، الخ، مراراً وتكراراً. وقد أفرد فصلاً فى الكتاب الأول من السلسلة ـ الكتاب الحالى لقضية الترجمة والتعريب والمصطلحات، فلا داعى للإطالة هنا.

تلكم هى الأعمال التى تعبر عن شخصية الكاتب. وليست هى كل الأعمال بطبيعة الحال، ولكن يمكن اعتبارها أهم الأعمال.

ولعله قد حان الوقت الان للحديث عن السلسلة.

سلسلة المكتبة العربية فى تنظيم المعرفة

منذ بدأت خطواتى الأولى فى العلم وأنا أعمل على توفير كتاب فى موضوع التصنيف يكون شاملاً للموضوع. وقد حاولت ذلك فى الكتب الأولى: سايرز وفيلييس وبالمر. وكان من الطبيعى أن يتجه تفكيرى فى البداية إلى الترجمة، باعتبار أن المجال كان لايزال خاليا من الأعمال المهمة والرائدة، وأننى بدأت تلك الأعمال فى وقت مبكر من عمرى، ولم تكن الخبرة تكفى للقيام بعمل شامل مهم فى الموضوع، فضلاً أن مثل هذا العمل هو مشروع علمى كبير وكنت وقتها أعْطى الأولوية لاستكمال الدراسة الأكاديمية. وقد تحدثت فى الصفحات السابقة عن المحاولات الأولى وكيف أنها لم تر النور لسبب أو لآخر، حتى وصلت إلى كتاب جاك ملز: Modern Outline of Library Classification, 1960

هذا الكتاب هو الذى حل محل كتاب سايرز فى مدرسة المكتبات بجامعة لندن، وكان بالمر يدرسه ويقول إنه أفضل كتاب فى الموضوع، عرفت ذلك من الإخوة الذين درسوا فى جامعة لندن، وأولهم هو الأخ الدكتور عبد الحليم محمد وهو أخ من السودان، حصل على بكالوريوس التجارة من جامعة الإسكندرية (١٩٥٨)، ثم درس علوم المكتبات فى جامعة لندن وحصل على الدبلوم (١٩٦٣)، وكانت رسالته تحت إشراف بيرسون Pearson محرر Index Islamicus، الذى تتلمذ عليه أيضا الأخ

والصديق د. عبد الستار الحلوجي فيما بعد. المهم أن الأخ أحمد عبد الحليم (هو الآن سفير السودان بالقاهرة) حضر إلى اقاهرة صيف ١٩٦٣ لكي يستكمل بعض البيانات والمعلومات المتعلقة برسالته حتى يتسنى له نشرها. والتقينا، وعرفت منه ما ذكرته الآن عن ملز، واستعرت نسخته وقرأتها فوجدت هذا الكتاب هائلاً، يختلف عن الكتب السابقة التي قرأتها، أو حاولت ترجمتها، فأسررت في نفسي أن أترك الكتب السابقة وأن أترجمه عندما تحين الفرصة. وقد حانت الفرصة في السنة التالية (١٩٦٤) فقد كنت مرشحا في بعثة إلى الولايات المتحدة، وفيما أنا أكمل إجراءات السفر، عرفت أن هناك نقصا في التمويل، وأن هناك محاولات لتحويل البعثة إلى منحة على هيئة الفولبرايت، مع عدد من المبعوثين. وبدأنا في الاستعداد للسفر، وكان من ذلك ضرورة اجتياز الامتحان المعروف TOEFL، وهو يعقد لأول مرة خارج الولايات المتحدة، المهم أن السفر تأجل أكثر من مرة، وتعثرت البعثة. في تلك الفترة وفي مدة الانتظار التي طالت شهوراً ترجمت كتاب ملز عن نسخة الصديق الدكتور الحلوجي. وقد جعلت هذه الترجمة شغلي الشاغل حتى انتهى منها قبل السفر!!!. فلما اتضحت الصورة ويئست من السفر كنت قد انتهيت من الترجمة وكان ذلك في أوائل ١٩٦٥، ثم أخذت في مراجعته وتبييضه، ليدخل المطبعة في ديسمبر ١٩٦٥، ويتم صدوره في أكتوبر ١٩٦٦، بعنوان:

نظم التصنيف الحديثة في المكتبات: أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية

والكتاب معروف للدارسين والطلبة العرب في كل مكان، وقد سد فراغاً كبيراً في الموضوع طوال فترة الستينات والسبعينيات في العالم العربي. وقد كان كتاب الستينات في بريطانيا، وقرظه كل أساتذة الموضوع بمن فيهم فيكرى وفوسكت. ولا يزال هذا هذا الكتاب إلى الآن ضمن قوائم القراءات في الكتب المهمة، من أمثال أ. س. فوسكت، ووراينر، ومارسيلا ريتا، وراولى، ودافيسون، وغيرهم، رغم أنه لم يطبع

فى لغته الإنجليزية بعد ذلك، إلا أنه قد صدرت منه طبعة هندية ولكنه أعيد إصداره عدة مرات.

وبعد ملز شغلت فى الانتهاء من رسالة الماجستير، فلما وفقنى الله لذلك فى ١٩٦٧، شرعت فى ترجمة كتاب الفهرس المصنف: أسسه وتطبيقاته The Classified Catalog: Principles and practices. 1956 تأليف جيسى شيرا، ومرجريت إيجان.

وكانت وجهة نظرى هى أن كتاب ملز يتيح للطلبة والمكتبيين دراسة أنظمة التصنيف المختلفة، ونظريات التصنيف، وهذا يساعد فى اختيار النظام الذى تصنف به المكتبة. وبعد أن تختار المكتبة النظام فلابد أن تعد الفهرس المصنف. ولذلك فقد رأيت أن أترجم كتاب الفهرس المصنف حتى يكون دليلاً للمكتبة عند بناء الفهرس المصنف وصيانته.

وقد ترجمت الكتاب لتبدأ قصة نشره، والتى حكيتها فى مقدمة، بل فى مقدمات، الإصدارات المختلفة، وأسميته: الكتاب العجيب لأنه تعرض لظروف عجيبة فى كل مرة ينشر فيها. وأخيراً نشر نشرة غير منكوبة فى سنة ١٩٩٦.

وكتاب الفهرس المصنف هو الكتاب الوحيد فى الموضوع. ومؤلفاه، وخاصة شيرا من علماء مجالنا ومنظريه ومؤرخيه. ولذلك فإن وجوده بالعربية مهم جداً للأستاذ والطالب والمكتبى. وقد ترجم إلى ستة عشرة لغة آخرها العربية (وقت الترجمة). وقد سعد بترجمته مؤلفه حينما أخبره د. محمد فتحى عبد الهادى بذلك، وأرسلت إليه ثلاث نسخ من الترجمة (١٩٧٦).

وأثناء عملى فى الدكتوراة فيما بين السنوات ١٩٦٧ ـ ١٩٧٢، أتيح لى أن أقرأ كتاباً جديداً فى الموضوع، هو كتاب أ. س. فوسكت.

The Subject Approach to Information, 1st ed. 1969.

وقد وجدته كتاباً كبيراً فى محتواه وفى معالجته، وهو يمثل مرحلة جديدة من

مراحل تطور مجال تنظيم واسترجاع المعلومات هى مرحلة التكامل بين طرق الوصول إلى المعلومات من خلال الموضوع: التصنيف ورؤوس الموضوعات والتكشيف. وقد عزمت بعد قراءة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩، عزمت على ترجمته. ولما كنت منهمكاً وقتها فى إعداد رسالة الدكتوراه، فقد تأجّل العمل إلى حد ما بعد الانتهاء منها. فلما تم لى ذلك بدأت فى ترجمة الطبعة الثانية منه، والتى كانت صدرت بسرعة بعد انتهاء الطبعة الأولى فى سنة ١٩٧١.

وقد سارت الترجمة بطيئة بسبب انشغالى فى مشروع الببليوجرافيا الموضوعية العربية، والخطة العربية للتصنيف، والكتاب كتاب كبير يحتاج إلى وقت وتفرغ لم يتاحا لى فى تلك المرحلة.

وفى غضون ذلك عملنا فى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على إصدار سلسلة دراسات عن المعلومات، وكان من نصيبى الكتاب الثالث فى السلسلة، وهو: التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات، الذى تم إعداده فى سنة ١٩٧٦، ونشر فى سنة ١٩٧٧. والكتاب ليس كتاباً شاملاً فى الموضوع، ولكنه يعطى إطاراً عاماً، ثم يركز على مباحث حديثة فى الموضوع. وقد يعتبره البعض من الزملاء نواة لكتاب شامل، ومنهم الأخ والصديق د. محمد فتحى عبد الهادى الذى كان يُلحُّ على دائما فى إعداد عمل شامل فى موضوع التصنيف.

وفى سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م أُعرتُ للعمل بقسم المكتبات بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وخلال السنة الأولى من عملى أتممت ترجمة كتاب فوسكت، ودفعت به إلى المطبعة سنة ١٩٧٧، لأفاجأ بظهور الطبعة الثالثة من العمل الأصلى سنة ١٩٧٧ أيضاً، وتصلنى نسخة منها، ولم أتردد، فسحبت الكتاب من المطبعة، واستغرق العمل فيه عاماً آخر، ثم استغرق طبعه وقتاً طويلاً بسبب أنه كان يطبع فى مصر وأنا فى الرياض، ليظهر أخيراً فى سنة ١٩٨٠.

وخلال تلك الفترة، وخاصة بعد الانتهاء من الدكتوراه، كان تأليف عمل عربى شامل فى التصنيف شاغلاً دائماً لفكرى، يلحُّ علىَّ، وكنت أمنّى النفس باستمرار أن

أجد الوقت والفراغ اللازمين لإنجاز مشروع كبير كهذا. كنت أُرضّى نفسى وأقنعها بأن الأعمال التى أترجمها، والأبحاث التى أنجزها، كلها تصب فى قناة إنجاز هذا العمل، حيث تمكن من استكمال أدواته. وكلما طالت المدة زاد التردد. ولا أدرى لماذا كنت أتهيب هذا العمل، رغم أننى لم أكن أفتقر إلى الجرأة فى اختياراتى وفى مشروعاتى العلمية فكلها مشروعات طموحة تحتاج إلى فرق أو إلى جيش من الباحثين والببليوجرافيين، وإلى مؤسسات كبيرة لإنجازها. ولكن لماذا ترددت كثيراً قبل هذا العمل، لا أدرى. ربما لأن التصنيف هو تخصصى، وأمانة الكلمة تفرض عَلَىَّ أن هذا العمل يجب أن يخرج فى الصورة التى ينتظرها الزملاء، قد يكون هذا حقاً ولكن من المؤكد أنه كانت هناك أسباب أخرى.

فالإنسان منا مهما كانت عزيمته يتأثر أحياناً بالظروف التى تحيط به، تصيبه أحياناً فترة بسبب ما يراه من اختلال للقيم، سواء القيم الأخلاقية أو القيم العلمية وهى قيم أخلاقية أيضاً. والوسط العلمى فى كثير من الحالات تشوبه شوائب بسبب تصرفات أناس محسوبين على العلم والتعليم وهو منهم براء، تصرفات أناس أخطأوا طريقهم إلى العلم، وهم ليسوا من أهله، وهى تصرفات تسمم الوسط العلمى، وتشغل المرء بتوقى الضربات حتى والله لقد تكسرت النصال على النصال. وقد قال لى مسئول ما فى مكان ما فى زمن ما، وقد كنت أهدى إليه بعض أعمالى: كيف تنتج وتعمل فى هذا الجو المسموم؟ والحق أن الرجل قد صدقنى مع أنه كذوب، لأن الجو فعلاً كان مسموماً، ولكنه أحد المسئولين عن ذلك، باعتبار منصبه، فقد كان بوسعه أن يوقف التصرفات التى تسمم الجو، وأن يتصدى للظلم والظالمين، ولكنه لم يفعل. وبهذا يكون شريكاً لهم. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: انصر أخاك ظالما أو مظلوماً، فقالوا: يا رسول الله: ننصره مظلوماً، فيكف ننصره ظالما، فقال صلى الله عليه وسلم: بأن تمنعه من أن يظلم، اما أن يعرف المسئول الظلم ويسكت عنه ولا يمنع الظالم أو يرده فهو شريك له فى ظلمه فالساكت عن الحق شيطان أخرس، والله سائل كل امرئ عما استرعاه أحفظه أم ضيعه. وقد والله ضيعت الأمانة، ووسد الأمر إلى غيره، فلننتظر الساعة. كيف يعيش الباحث فى جو من

المؤامرات والدسائس التى يترفع عنها بسطاء الناس بله علماؤهم. وماذا يفعل المرء وهو يرى هذا الضياع الأخلاقى الذى ينقص من رصيد الأمة ويضيع وقتها فيما لا طائل من ورائه؟

وقد بلغت المأساة ذروتها فيما فعله صدام العراق حين اعتدى على الكويت: الأرض والشعب والمقيمين، وفعل بالجميع ما يترفع الأعداء عن فعله بأعدائهم. ماذا جناه هؤلاء جميعا لكى تنتهك حرماتهم وتسرق بيوتهم ويعتدى عليهم ممن ينتسبون إلى الأمة ويحسبون منها، وهم أنكى عليها من أعدائها، إن طعنة الصديق تصيب القلب:

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة　　على النفس من وقع الحسام المهند

لقد كانت صدمة الثانى من أغسطس ١٩٩٠ هى النكبة الثانية التى أصابت الأمة بعد نكبة اغتصاب فلسطين، وهى التى انتقصت رصيد الأمة إلى الصفر أو ما دونه. ما ذنب الأجيال العربية والإسلامية حتى تدفع ثمن أخطاء رجل واحد أفقد الأمة ما لم تفقده على يد رجل واحد فى تاريخها. هل يمكن أن يكون هذا الرجل مسلما؟ وما الفكر الذى أنجب مثل هذا الرجل. من الضرورى أن تدرس الأمة من خلال تخصيص مركز أبحاث متخصص أفكار هذا الرجل والطغمة الفاسدة التى تقف معه والذين جعلوا الأمة تفقد حاضرها وربما مستقبلها، وتعود إلى الوراء مائة سنة، فى حين كان المطلوب أن تتوحد وتتفق ويكون لها كيان كبير وقوى تواجه به الكيانات القوية والكبيرة فى العالم. ولا زال هذا الرجل ومن حوله ينعقون ويسومون شعبهم سوء العذاب.

لقد ألقيت محاضرة فى نوفمبر ١٩٨٩ فى الموسم الثقافى بكلية التربية الأساسية بالكويت، عن مشكلات الكتاب العربى من التأليف إلى القراءة، وتحدثت فيها عن معوقات العمل العلمى، ومن ثم تأثير ذلك على الكتاب العربى تحقيقاً وترجمة وتأليفاً وبحثا، ووجم الحاضرون، وطلب منى أحدهم فى نهاية المحاضرة ألا أتركهم على هذه الحالة من التشاؤم والقتامة، وأن أومئ إلى الحل، وقلت لهم إن هذا ليس

تشاؤما، وإنما هو حديث عن المشكلات، وهى حقيقية، وأنه لا يأس مع الحياة، ولاحياة مع اليأس، وأن الأمل فى التربية: تربية المجتمع الإسلامى والعربى وتعليمه، ولكن من يعلم من؟.

كان هذا فى سنة ١٩٨٩ ، مع أن الصورة كانت أفضل كثيراً.

فقد كانت الحرب العراقية الإيرانية التى أشعلها أيضاً هذا الصدام قد وضعت أوزارها، وعادت مصر إلى الصف العربى بعد أكثر من عشر سنوات، وبدت الصورة أكثر إشراقاً، وأكثر أملا، لنفاجأ بعد شهور قليلة بأن هذا الصدام يدوس كل القيم والأعراف العربية والإسلامية والإنسانية ويهدر كل معانى الخير والحق، ويفقد الأمة تضامنها ويقسم صفها. كل هذا لمصلحة من؟ لمصلحة الشيطان واسرائيل بطبيعة الحال. هل يمكن أن يكون هذا المخلوق إلا خائنا متآمراً على الأمة وعلى الإسلام والمسلمين.

إن هذه الصدمة قد تركت جراحا فى نفسى، وتركت أثراً فى أولادى لا يزالون يعانون منه إلى الآن، بعد أن انتهبت سيارتهم وبيتهم، وسرقت طفولتهم، وانتقلوا فى يوم وليلة من حال إلى حال، وهى صدمة لا يتحملها الكبير فكيف بالغض الصغير؟ حسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد.

والمصيبة أن المدرسة الصدامية موجودة فى أماكن كثيرة، ربما ليست بهذه الحدة فى كل مكان بطبيعة الحال، ولكن الأخلاق نفس الأخلاق والمفاسد نفس المفاسد. فبالله عليك قل لى: كيف يعمل المرء فى هذه الأجواء، أجواء المؤامرات والدسائس والزور والكذب، وتالله ما أنا بمبالغ فيما أقول، وربى على ما أقول شهيد.

وعلى كل حال، فإن دوام الحال من المحال، أسأل الله سبحانه أن يكشف الغمة عن الأمة، وأن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا وأن يغيرحالنا إلى أحسن حال، وأن يرفع مقته وغضبه عنا إنه ولى ذلك والقادر عليه، وهو سبحانه خير الراحمين، وخير الناصرين، وخير الحافظين، وخير الماكرين، وخير الرازقين، وخير الوارثين، وخير

الفاصلين وخير المسئولين، وخير الحاكمين وخير الفاتحين، وخير المعطين، يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء:

﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾.

صدق الله العظيم

ونسألك يا أرحم الراحمين أن تفرج عن الأمة ما هى فيه إنك سميع مجيب.

وعفوا أخى القارئ فلم أستطع أن أمنع نفسى من هذه السطور وما يجيش فى النفس أكثر بكثير، ولكن هذا المقام ليس مقام انطلاق الخواطر، وإنما هو فقط مقام التذكير. وإنما هى نفثة مصدور بعد أن فاض الكيل وبلغ السيل الزبى.

ولكن لا محل للقنوط واليأس، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، ورحم الله شاعرنا إذ يقول:

ما بين طرفة عين وانتباهتها ... يغير الله من حال إلى حال

وشاعرنا الآخر:

ولَرُبَّ نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكنت أظنها لا تفرج

والأفضل منهم دعاء ذى النون عليه السلام: **﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين﴾.**

ودعاء الخليل عليه السلام حين ألقى به فى النار:

﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾.

وبعد تفكير وتأمل وبعد أن أفقنا من الصدمة، وجدت أن الحل لا يكون بالفتور

والانزواء، وإنما يكون بالعمل والبناء، وأن المرحلة تتطلب من أبناء الأمة المخلصين أن يعملوا أكثر وأكثر وأن يكافحوا ويجاهدوا، ورحم الله شوقى إذ يقول:

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

ولذلك فقد أخذت ألملم شتات نفسى، وأستجمع قواى، وأرتب أوراقى، وأستأنف نشاطى بعون من الله وتوكل عليه سبحانه، وتوفيق منه. بدأت بإعادة طبع بعض الأعمال، وترجمة أعمال أخرى، مثل الببليوجرافيا النسقية، والتحليل الموضوعى: الأسس والإجراءات، ثم التحليل الموضوعى فى فهارس البحث المباشر.

وكان هذا يسير جنبا إلى جنب مع أعمال أخرى أهمها استئناف العمل فى إنجاز هذا المشروع الكبير: العمل الشامل فى موضوع التصنيف.

وحينما أخذت أراجع أعمالى السابقة لم أجد من بينها عملاً يصلح أن يكون مثل هذا العمل الشامل. وإن سمات كل عمل مسجلة فى مقدمته كما أننى قد ذكرت متطلبات دراسة وتدريس الموضوع فى الفصل السادس. ومنعا للإطالة، فقد قررت أن أنجز عملاً شاملاً، يكن مرجعاً للأستاذ والطالب والمكتبى والمصنف. وقد بشرت به فى مقدمة كتابى الأخيرين.

وحينما أخذت أرتب مادتى، وجدت أن العمل لا يمكن أن يكون كتابا وسيطا وإنما يحتاج إلى أن يكون مرجعاً شاملاً. وقد أشار على أخى وصديقى د. سيد حسب الله، أن أجعله موسوعة، ومع احترامى لرأيه، إلا أننى وجدت أن كلمة موسوعة قد ابتذلت واستهلكت بعد أن وضع البعض هذا الاسم على أعمال لا هى موسوعة ولا هى حتى كتاب جيد. وهدانى الله إلى أن أجعل الأعمال حلقات تنتظمها سلسلة واحدة يخصص كل كتاب منها لموضوع منفرد.

وحتى تشتمل السلسلة على كل المعلومات وحتى يكون هناك إطار واضح للعمل، فقد رأيت أن تكـون السلسلة شاملة بحيث تعكس حالة الفن State of the art.

بالنسبة لتكامل طرق الوصول إلى المعلومات ، أى أن تكون سلسلة فى تنظيم المعرفة، وليس فى التصنيف فحسب.

والكتاب الأول فى السلسلة يتعرض للقضايا والأمور العامة بما فى ذلك المفاهيم والمصطلحات. وسوف أتحدث عنه فيما بعد إذ ليس من المعقول أن يسبق الجزء الكل. ولكن أريد فقط أن أقول إن السلسلة شاملة لكل جوانب تنظيم المعرفة، بالمفهوم الذى عرفته فى الفصل الثانى من هذا الكتاب. وقد تضمن الكتاب أيضًا فصلاً عن تعليم التصنيف، وفيه خطة مقترحة تشمل كل موضوعات التصنيف ومباحثه وقضاياه. وحتى لا أكرر نفسى، وحتى لا تطول الصفحات أكثر مما طالت، فإن الإطار العام الذى رسمته هذه الخطة هو الإطار العام الذى سوف أسير عليه فى هذه السلسلة. وأتصور أن تكون أجزاء هذه السلسلة بالنسبة للقضايا العامة ثم بالنسبة للتصنيف على النحو الآتى:

اسم السلسلة

المكتبة العربية فى تنظيم المعرفة

أما كتبها فأتوقع أن تكون على النحو الآتى:

١ . الكتاب الأول، وهو الكتاب الذى بين أيدينا:

تنظيم المعرفة: مدخل عام وقضايا رئيسية فى التنظيم والتصنيف.

٢ . الكتاب الثانى: دور التصنيف فى المكتبات ومراكز المعلومات بين الوظائف التقليدية والاسترجاع المبنى على الحاسب.

٣ . الكتاب الثالث: تاريخ التصنيف وتطوره.

٤ . الكتاب الرابع: نظريات التصنيف ومدارسه.

٥ . الكتاب الخامس: المدرسة العربية الإسلامية.

٦ . الكتاب السادس: انشاء نظام التصنيف.

٧. الكتاب السابع: نظم التصنيف: التصنيف العشرى وتعديلاته العربية
٨. الكتاب الثامن: نظم التصنيف: نظم التصنيف ماعدا ديوى.
٩. الكتاب التاسع: نظم التصنيف المتخصصة.
١٠. الكتاب العاشر: الخطة العربية للتصنيف.
١١. الكتاب الحادى عشر: التصنيف العملى.
١٢. الكتاب الثانى عشر: إدارة التصنيف.
١٣ الكتاب الثالث عشر: التصنيف وتكنولوجيا المعلومات.

وهذه دعوة صادقة للأخوة الزملاء المهتمين بموضوعات تنظيم المعرفة من فهرسة وصفية وتصنيف ورؤوس موضوعات وتكشيف وببليوجرافيا ـ دعوة صادقة لهم أن يسهموا فى هذه السلسلة لتكوين مكتبة عربية فى تنظيم المعرفة وليس التصنيف فقط. ومن ناحيتى فإننى سوف أسهم كذلك فى بقية فروع التنظيم، ولكننى سوف أترك أرقام الكتب على النحو الذى سجلته آنفا حتى لا يقطع التسلسل. وأى إضافة ستكون بعد رقم (١٣) إن شاء الله.

وليس بوسعى الآن أن أعطى تفاصيل وفصول كل كتاب، وإن كانت جاهزة ولكنى أتركها لكل كتاب على حدة إيثاراً للاختصار ومنعا للتكرار والفصل السادس على كل حال يلقى ضوءاً كاشفاً على مجلدات الموضوع، والتى كما ذكرت سوف تكوّن الإطار العام للعمل ككل. وأى خصوصية تتعلق بأى كتاب من الكتب سوف تكون مع الكتاب.

الكتاب الأول:
تنظيم المعرفة:
تنظيم المعرفة مدخل عام
وقضايا رئيسية فى التنظيم والتصنيف

يتألف هذا الكتاب من ستة فصول:

١ . الفصل الأول:

تمهيد، وهو الفصل الذى بين أيدينا الآن ويتناول أموراً عامة، وأموراً خاصة بالسلسلة كلها.

٢ . الفصل الثانى:

تنظيم المعرفة، وهو الموضوع الأعم الذى يمثل التصنيف جزءا منه. وهو فصل ضرورى لأن السلسلة فى تنظيم المعرفة وقد كان ولابد من شرح المفاهيم والمصطلحات الخاصة بتنظيم المعرفة، وعناصر هذا التنظيم حتى تكون صورة السلسلة واضحة، ومجالاتها معروفة. فضلاً عن أن الفصل مدخل عام للموضوع ككل. ويمكن اعتبار هذا الفصل أيضا وحدة من الوحدات الدراسة فى موضوع التصنيف أو أى موضوع من موضوعات التنظيم باعتبار أن أى واحد من هذه الموضوعات هو جزء من موضوع أعم هو تنظيم المعرفة.

٣ . الفصل الثالث:

قضية الركائز والعمليات الفنية فى المكتبات العربية. وهو يتناول قضية مهمة من

قضايا العمل فى المكتبات العربية، وكذلك من قضايا تنظيم المعرفة، حيث أن تلك الركائز هى التى تكون أدوات وتقنيات العمل فى التنظيم، ومن ثم فهى أساس الممارسة. ومن ثم فقد كان من الضرورى دراسة القضية فى مستهل دراستنا لموضوعات تنظيم المعرفة.

٤ . الفصل الرابع:

قضية المصطلحات بين الترجمة والتعريب والتأصيل والتوحيد. ولها تأثيرها أيضاً على العلوم بصفة عامة، ومن ثم على مجال المكتبات ومجال تنظيم المعرفة بصفة خاصة كما أوضحت ذلك. ولذلك تناولت القضية فى إطارها العلمى الأعم ثم فى الإطار الخاص بتنظيم المعرفة.

٥ . الفصل الخامس:

وهو عن تدريس التصنيف فى أقسام المكتبات فى الوطن العربى والحقيقة أن قضية التدريس أيضاً من القضايا المهمة. ولعل ما كتبته هنا عن تدريس التصنيف يمثل أنموذجا بالنسبة لمقررات أخرى فى أية خطة دراسية، خاصة وقد تناولنا بعض الأهداف والأسس العامة التى يمكن أن نجدلها مثيلاً فى مقررات أخرى.

كذلك فإن هذا الفصل يرسم إطاراً شاملاً لموضوع التصنيف يفيد فى التدريس وفى التأليف. وهو الإطار الذى سوف تحاول السلسلة أن توفره فى صورة كتب يتناول كل منها موضوعاً من الموضوعات. وهو يتناول أيضاً الأسباب التى تجعلنا ندرس المباحث والوحدات المختلفة، ومن ثم فهو يعفينا من ذكر هذه الأمور فى هذا الفصل التمهيدى.

٦ . الفصل السادس:

وهو عن المفاهيم والمصطلحات والتعريفات الأساسية فى موضوع التصنيف. وهو يعطى التعريفات والمفاهيم والمصطلحات التى تمثل بداية أساسية لدراسة الموضوع. وهو يعد الوحدة الدرسية الثانية فى منهج دراسى مقترح للتصنيف حيث من الضرورى أن نبدأ المصطلحات والتعريفات، فبدأنا بالفصل الثانى عن تنظيم المعرفة

بصفة عامة، ثم الفصل السادس عن التصنيف بصفة خاصة، وذلك حتى تبدأ الكتب التالية فى السلسلة بموضوعات مخصصة.

وقد يبدو أن هناك شيئا من التكرار بين الفصلين الخامس والسادس، ولكن هذا التكرار يمليه أمران:

أ. تكامل المعالجة، حيث لا يجوز أن أقسم معالجة موضوع واحد أو مبحث أو تعريف واحد هنا وهناك.

(ب) الغرض من كل فصل. فالفصل الخامس يتناول قضية التدريس وهى قضية تهم الأستاذ أولاً، ومن ثم فهى تتناول حواراً ومناقشة للموضوعات التى يجب أن تدرس ولماذا تدرس، فى حين أن الفصل الخامس هو وحدة دراسية للطالب أساسا أى أن فيه مادة دراسية. ومن ثم فإن قدراً من التكرار قد يكون أحياناً ضروريا ولا يمكن تجنبه، حتى لا تبتر المعالجة هنا أو هناك.

ويلاحظ أن الفصل الخامس يتناول مبررات تدريس كل مبحث من المباحث وبالتالى: المباحث التى يجب أن يشتمل عليها هذا العمل بأجزائه وكتبه وهذا يعفينا من تبرير هذا العمل، حيث أن الكتب التى ظهرت فى الموضوع سواء كانت مترجمة أم مؤلفة لا تغطى هذه المباحث جميعا. وتظل هناك حاجة ماسة إلى عمل عربى لحما ودما يجمع شتات الموضوع ويوفر المعلومات والتفاصيل التى يحتاجها الأستاذ والطالب والمكتبى فى الوطن العربى. والتى يمكن أن تمثل نقطة بداية للباحث فى هذه الموضوعات فهى ترسم خريطة شاملة يظهر على قسماتها وملامحها كل جزء من الموضوع فى مكانه الصحيح.

وأخيراً، فإن خطة العمل ككل، ثم خطة الكتاب الأول، قد كتبتها عدة مرات حتى تستقيم على الصورة المبتغاة، وأسأل الله سبحانه وتعالى لهذا العمل القبول، وأن يعيننا علـى إتمام بقية أجزائه وأن يجعل عملنا كله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعل ثوابه الجنة: ﴿ **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾.

الفصل الثانى

تنظيم المعرفة

إن أول من استخدم المصطلح: تنظيم المعرفة Organization of Knowledge فى العصر الحديث ـ فيما نعلم ـ هو هنرى إفيلين بليس Henry Evylin Bliss حيث جعله موضوعا لأول كتبه الرئيسية وجزءا من عنوان هذا الكتاب، الذى نشر فى سنة ١٩٢٩[١].

وقد تخرج بليس فى الجامعة وعمره عشرون عاما، وكان ذلك فى سنة ١٨٩٠، وكان موضوع دراسته الجامعية هو الفلسفة، وعمل بعد تخرجه مباشرة فى الكلية التى تخرج فيها وهى: City University of New York

وظل يعمل فيها طيلة حياته العملية حتى تقاعد ١٩٤٠ وعمره سبعون عاماً.

ومن المرجح أننا سوف نذكر بليس كثيراً سواء فى هذا الفصل أو غيره من الفصول، وكذلك فى الكتب الأخرى من هذه السلسلة. وذلك لأن بليس هو أحد اثنين من العمالقة فى تاريخ التصنيف، والعملاق الثانى هو رانجاناثان. وكل منهما مؤسس مدرسة وصاحب نظرية وصاحب نظام شامل للتصنيف، وصاحب مؤلفات وأعمال مؤثرة.

أراد بليس أن يعد نظاماً جديداً للتصنيف، حيث لم يكن راضياً عن النظم التى سبقته، وهى التصنيف العشرى، والتصنيف العشرى العالمى، وتصنيف مكتبة الكونجرس. أما تصنيف كتر، وقد سبق بليس أيضاً، فلم يكن قد اكتمل، ولم يكتمل أبداً بعد موت صاحبه.

ولكى يكون عمل بليس على أساس علمى سليم عمل أولا على أن يؤسس نظرية كاملة للتصنيف. ولذلك انكب على دراسة التصانيف الفلسفية والتصانيف العلمية التى ظهرت على مر العصور، لكى يخرج من الدراسة بنظرية أو اتجاه عام لتنظيم تصنيف الكتب. وجاءت خلاصة نظرياته بعد ذلك لتؤكد أن تصنيف الكتب ما هو

إلا تصنيف للمعرفة، مع إجراء بعض التعديلات الضرورية التى تحتمها طبيعة الكتب كوحدات مادية[٢].

وليس من شأننا هنا الآن أن ندرس تصانيف المعرفة، أى التصانيف الفلسفية والعلمية، وسوف يكـون لهـا مكان آخـر إن شاء الله ولكـن الذى يعنينا الآن هـو أن بليس هـو أول مـن قـدم لعالم المكتبات مصطلح تنظيم المعرفة فى العصر الحديث، وأنه بسبب تكوينه العلمى، حيث كان من دراسى الفلسفة، وبسبب جذوره الثقافية التى كانت عميقة فى ثقافة القرن التاسع عشر، بسبب هذا وذاك، قد قصر المصطلح: تنظيم المعرفة، على التصنيف، سواء كانت التصانيف تصانيف للمعرفـة أو تصانيف للكـتب. وكذلك فإنـه كما رأينا قد ربط ربطاً وثيقاً بين تصنيف المعرفة ونظام العلوم، وبين تنظيم المعرفة والمدخل الموضوعى. وبعد أن تتبع بليس التصانيف الفلسفية والعلمية خلـص إلى نتيجة مؤداها أن هناك اتفاقا أو إجماعا على تنظيم العلوم أطلق عليه بليس: الاصطلاح (الإجماع) العلمى والتربوى Scientific and Educational Consensus.

ويقصد، بليس أن التربويين فى معاهدهم العلمية وفى جامعاتهم والعلماء فى معاملهم وتجاربهم وبحوثهم ينزعون إلى تنظيم العلوم بطريقة معينة على مر العصور، وأن هذه الطريقة هى الأنسب بالنسبة لتصنيف المكتبات، وهى أكثر بقاء ودواما.

وليس هدفنا الآن أن ندرس هذه النظرية وغيرها من نظريات بليس، فلهذه الدراسة مكان آخر[٣].

وبعد أن انتهى بليس من دراسة تصانيف المعرفة فى كتابه الأول انتقل فى كتابه الثانى إلى تصانيف الكتب[٤]. وقد استخدم هنا أيضاً مصطلح تنظيم المعرفة ولكنه ربطه بمصطلح جديد قدمه لأول مرة أيضاً إلى عالم المكتبات والكتب، وهو مصطلح Subject approsach. والحقيقة أن هذا المصطلح من المصطلحات التى أتعبت المترجمين فى مجالنا كثيراً. وقد ترجمه البعض إلى المأتى (الموضوعى). والحقيقة أنه يعنى المدخل الموضوعى، أو طرق الوصول إلى الموضوع، ويعنى المعالجة الموضوعية وسوف نعود إليه فيما بعد.

وقد أردت من تلك البداية أن يكون استخدام بليس للفظ تنظيم المعرفة مدخلا إلى الموضوع، وأن أبين أن استخدام بليس للفظ هو فى أضيق معانيه، وهو يساوى عنده التصنيف فقط، لأن بليس كما رأينا لم يكن يعترف إلا بالترتيب العلمى المقنن Systematic والذى يتمثل فى التصنيف، أما الطرف الألفبائية فلا يعترف بها.

وهنا نود أن نشير إلى أمرين:

١. أن لفظ التصنيف أقدم بكثيرجداً من لفظ تنظيم المعرفة.

٢. أن لفظ تنظيم المعرفة قد اتسع مدلوله فيما بعد بحيث لم يعد يقتصر على التصنيف وحده، وإنما تعداه إلى الطرق الموضوعية الألفبائية من رؤوس موضوعات وتكشيف، ثم تجاوز ذلك إلى الوصف البيليوجرافى متمثلا فى الفهرسة الوصفية، فأصبح يعنى كل طرق الوصول إلى المعلومات.

ولذلك فقد كان من الضرورى بالنسبة لنا أن نبين بداية استعمال اللفظ فى عالم المكتبات وأن نَشْرحَ مدلوله ثم نعود بعد ذلك إلى النسق العام للمفاهيم فنتناولها كلا على حدة.

ونبدأ فى هذا السياق بلفظ التصنيف لأنه أقدم هذه الألفاظ.

التصنيف Classification

نتناول فى هذا الكتاب مفاهيم التصنيف فى فصل كامل هو الفصل السادس، وحتى لا يكون ثمة تكرار فإننا نحيل القارئ إلى ذلك الفصل. ولكننا نكتفى الآن بالإشارة إلى بعض النقاط استكمالاً للمعالجة وحتى لا تكون مبتورة:

١. أن التراث العربى الإسلامى قد عرف لفظ التصنيف ومفهومه، وجعله علما من العلوم سماه علم تقاسيم العلوم. وقد عالجنا ذلك بالتفصيل فى الفصل السادس.

٢. مما درسناه عن التصنيف عند المسلمين يمكن القول إن معرفة العصر الحديث فى أوربا بالتصنيف قد انتقلت إليهم عن طريق المسلمين، وأن استعمالات التصنيف فى العصر الحديث هى امتداد لاستعمالاته ومفاهيمه عند المسلمين.

مفاهيم التصنيف ورؤوس الموضوعات والفهرسة فى العصر الحديث

إذا تركنا التصنيف عند المسلمين إلى العصر الحديث، فسوف نجد أن تاريخ التصنيف فى العصر الحديث يبدأ فى سنة ١٨٧٦، وهى السنة التى صدرت فيها الطبعة الأولى من التصنيف العشرى لديوى(٥)، وهى السنة التى صدرت فيها أيضاً قواعد الفهرس القاموسى التى أصدرها كتر.(٦) أى أن تلك السنة تمثل بداية الموضوعين معا فى العصر الحديث(٧).

وقد يسأل سائل: وماذا عن مفاهيم التصنيف ومصطلحاته فى العصور الوسطى الأوربية، وهى التى تقابل عصر الحضارة الإسلامية الزاهر. وأقول: إن ذلك يدخل فى تاريخ التصنيف، وسوف يكون له مكانه بحول الله(٧).

ونحن نعرف أن التصنيف هو أساس الفهرس المصنف، وأن رؤوس الموضوعات هى أساس الفهرس الموضوعى الألفبائى، وأن القواعد التى وضعها كتر هى الأساس الذى بنيت عليه فيما بعد كل من الفهارس القاموسية، والفهارس الموضوعية الهجائية، وقوائم رؤوس الموضوعات الهجائية.

كذلك أود أن أوضح هنا، أنه بدأ التأليف فى هذين المجالين ثم استمر زمناً طويلاً بصورة مستقلة، فكانت الكتب التى تتناول التصنيف تقتصر عليه وكذلك التى تعالج رؤوس الموضوعات لا تعالج التصنيف.

كذلك مما يجدر الإشارة إليه أن التصنيف العشرى وقواعد كتر قد سبقا وضع تقنين موحد للفهرسة، حيث أن أول طبعة من ذلك التقنين الموحد كانت سنة ١٩٠٨، وإن كانت القواعد التى وضعها كتر أساسا بنت عليه قواعد ١٩٠٨(٨). ونعيد إلى الأذهان أن مصطلحات: التصنيف، ورؤوس الموضوعات، والفهرسة، أقدم بكثير من مصطلح تنظيم المعرفة، ولكن لأن مصطلح تنظيم المعرفة يستخدم الآن بمفهومه الشامل بدأت به.

ونستمر الآن فى دراسة المفاهيم والاستعمالات، فنجد أن أول كتاب مهم يتناول بالدراسة موضوع التصنيف فى العصر الحديث، هو كتاب ريتشاردسون عن التصنيف نظرياً وعملياً، والذى صدرت طبعته الأولى فى عام ١٩٠١(٩).

وينتمى ريتشاردسون من حيث التفكير إلى المدرسة التقليدية أو العلمية والتى تضم أيضاً كلا من كتر وسايرز وبليس. ومع أن كتر هو صاحب أول قواعد للفهرس القاموسى، إلا أنه ينتمى من حيث التفكير فى التصنيف إلى المدرسة التقليدية، وله نظام تصنيف عام هو ثانى الأنظمة ظهوراً بعد التصنيف العشرى، حيث أصدر التوسيع السادس منه سنة ١٨٩١ . ولكن كتر لم يعش ليتمه، فمات بموته. ومن ثم لم يشتهر كتر بتصنيفه الواسع، وإنما اشتهر بقواعده للفهرس القاموسى، لأنها هى التى عاشت واستمرت بعده، ولا تزال ذات قيمة إلى الآن[١٠]. وقد ظلت الكتب القياسية فى التصنيف تدرس تصنيفه لبعض الوقت، ثم أخذت تتجاهل تخصيص فصل مستقل له شيئاً فشيئاً، ولكن قواعده للفهرس القاموس ظلت تدرس[١١].

أما العضو النشط الثانى فى المدرسة التقليدية وهو سايرز، فهو أستاذ التصنيف المعروف الذى ظل يدرسه فى مدرسة المكتبات بجامعة لندن:

.School of Librarianship

منذ إنشائها فى سنة ١٩١٩ وحتى وفاته فى ١٩٦٠، وهو كذلك صاحب الكتب القياسية المعروفة فى التصنيف، والتى كان لها تأثير كبير فى دراسة وتدريس الموضوع لمدة طويلة. وقد اقتصرت كتبه عن التصنيف عن هذا الموضوع فقط[١٢].

وربما كان أول كتاب يتناول الفهرسة والتصنيف معا هو كتاب مارجريت مان، الذى عرفناه فى طبعته الثانية التى صدرت فى سنة ١٩٤٣[١٣]. وكان فى زمنه من أشهر وأهم الكتب الدراسية فى الولايات المتحدة. ولسنا نظن أن كتاب مان حينما جمع الفهرسة والتصنيف ورؤوس الموضوعات فى كتاب واحد كان ينطلق من فكر معين، أو صدر عن تطور معين أفضى إلى ما عرف بعد باسم التكامل، فلم تكن التطورات التى أدت إلى التكامل قد نضحت بعد.

استمر التأليف ينحو منحى الانفصال، وكانت الكتب التى تؤلف فى التصنيف تنتصر للفهرس المصنف، وتعدد مزاياه، وتعدد عيوب الفهرس الموضوعى الألفبائى، وعيوب ذلك النوع من الترتيب. هذا فضلاً عن أنه فيما عدا كتاب مان الذى أشرنا

إليه توا لم تؤلف كتب أخرى تجمع العناصر أو المداخل الثلاثة معا، بل كان ينظر إلى كل من عناصر التنظيم على أنه موضوع مستقل: التصنيف، ورؤوس الموضوعات، والفهرسة والوصفية، ونضيف: والتكشيف.

في غضون ذلك كان التصنيف يسمى تصنيف الكتب Book Classification أو تصنيف المكتبات Library classification، أو التصنيف الببليوجرافي Bibliographic: Classification، أو التصنيف المكتبي Bibliothecal فأما تسميته بالتصنيف الببليوجرافي فلتمييزه عن تصنيف المعرفة. وأما تسميته بتصنيف الكتب فلأن تصنيف المكتبات حينما نشأ كان الكتاب هو الشكل الببليوجرافي السائد، ولم تكن الأشكال الأخرى للنشر قد أخذت مكانها بعد في عالم النشر والبحث.

فلما اتسعت دائرة النشر وأخذت الدوريات والتقارير مكانها في عالم النشر والبحث، لم تعد التسمية: تصنيف الكتب، تصلح للتعبير عن الأشكال الجديدة، خاصة وأن علم المكتبات نفسه قد استخدم لفظاً جديداً لكي يعبر عن هذا التطور، وهو الوثيقة Document، واشتق منها التوثيق Documentation؛ ومن ثم أصبح من الضروري أن ينعكس هذا التطور في التصنيف، فوجدناه يطلق عليه: التصنيف لأغراض التوثيق Classification for documentation.

وليس معنى هذا التطور أن المؤلفين قد توقفوا عن التأليف على نفس النمط السابق، أو أنهم قد توقفوا عن إطلاق لفظ التصنيف أو تصنيف المكتبات، بل لقد استمر ذلك حتى وقتنا هذا، وإن اختلفت المعالجة. وقد قادت التطورات الحديثة في النهاية إلى اختفاء نظرة المقارنة والتضاد والتفاضل وحلت محلها المعالجة المتكاملة Integrated approach، كما سيأتي في حينه.

استرجاع المعلومات Information Retrieval

من التطورات المهمة في مجالنا أيضا ظهور مصطلح استرجاع المعلومات. وقد عرفه كالفن مورز في سنة ١٩٥٠ بأنه: «بحث واسترجاع المعلومات بعد اختزانها مخصصة حسب موضوعاتها»[١٥] ومن البديهي أن المعلومات لكي تسترجع فلابد

أولاً من تنظيمها، ومن ثم فإن استرجاع المعلومات لابد أن يعنى تنظيم المعلومات واسترجاعها وليس الاسترجاع فقط، كما أن التنظيم يكون بغرض الاسترجاع، ومن ثم فإن أيا من المصطلحين يكمله الآخر: تنظيم واسترجاع المعلومات. ولكن اللفظ: استرجاع المعلومات هو الأكثر تداولاً وشيوعًا فى الإنتاج الفكرى للموضوع.

وقد واكب استخدام لفظ استرجاع المعلوات دخول الحاسب الإلكترونى إلى المجال، وظهور أشكال لا وثائقية أو لا ورقية، فأصبحت كلمة وثيقة غير صالحة للتعبير عن هذا التطور الجديد، كما أن اسم علمنا نفسه قد تغير ليصبح : علم المكتبات والمعلومات أحيانا، وعلم المعلومات فى أحيان أخرى. وقد انعكس ذلك فى أسماء معاهد .وكليات وأقسام المكتبات والمعلومات، وأسماء الجمعيات العلمية، والمؤلفات فى الموضوع، إلخ، وانعكس ذلك فى اسم التصنيف فأصبح:

Classification for information retrieval

التصنيف لأغراض استراجاع المعلومات

وهذا هو الاسم الذى اخترته لعنوان كتابى فى الموضوع الذى صدر فى سنة ١٩٧٧ : التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات.

والذى يهمنا أكثر فى هذا السياق، هو أن استرجاع المعلومات وفق تعريف كالفن مورز يعنى استرجاع المعلومات «حسب موضوعاتها»، أى أنه لا يقتصر على التصنيف وحده، ولا على التكشيف الموضوعى وحده، وإنما يشمل كل طرق الاسترجاع الموضوعى، أى التنظيم الموضوعى.

وربما جاء هذا الاستعمال فى مستهل مرحلة جديدة من التطور بلغت أوجها على يد جماعة البحث فى التصنيف (جبت) Classification Research Group (DRG).

وقد تأسست هذه الجماعة فى لندن فى فبراير ١٩٥٢، بهدف البحث فى التصنيف، كما هو واضح من اسمها. والهدف النهائى لها كان إنشاء خطة عامة للتصنيف، انطلاقا من عدم رضاها عن جميع الخطط التى كانت موجودة آنذاك.

وليس من شأننا هنا أن نتحدث عن جهود الجماعة بالتفصيل، ذلك أن جهودها أكبر بكثير أن نتناولها فى هذا السياق المحدود.

وقد سبق لى تناولها فى أكثر من مكان[١٦]. ونركز هنا فقط على أن جهود الجماعة قد أسهمت فى التطورات التى شهدها مجال استرجاع المعلومات بشكل واضح.

بدأت الجماعة فى المرحلة الأولى من عملها بالبحث فى ماهيات الأشياء. ويذكر د.ج. فوسكت عن تلك المرحلة أن: «هذه ربما كانت أول فرصة يجتمع فيها المكتبيون وغيرهم من المهتمين بتنظيم المعرفة معا ويناقشون المشكلات كفريق ولفترة زمنية طويلة[١٧].

ويلاحظ هنا أن فوسكت قد استخدم مصطلح: تنظيم المعرفة، ومعنى ذلك أن المصطلح الذى بدأ استخدامه على يد بليس قد عاد للظهور ولكن ليس بمفهوم بليس ولكن بمفهوم أوسع، وفى سياق جديد هو: استرجاع المعلومات.

المهم أن الجماعة قد خلصت فى تلك المرحلة إلى مجموعة من الخلاصات أو النتائج صدر بها بيان أو تقرير إلى مهنة المكتبات، نشر فى سنة ١٩٥٥، وهو يمثل خلاصة جهودها فى تلك المرحلة[١٨].

ويعد هذا البيان أو التقرير من أهم الوثائق فى تاريخ التصنيف بصفة خاصة وفى تاريخ استرجاع المعلومات بصفة عامة، كما أن الخلاصات التى تضمنها قد أسهمت إسهاماً كبيراً فى تطور هذا المجال وقد تناولت مضامين البيان بشىء من التفصيل فى مكان آخر[١٩]، ولذلك اكتفى هنا بخلاصة مركزة لما لذلك من علاقة بتطور استرجاع المعلومات.

يعالج بيان الجماعة أربعة أنواع من نظم الاسترجاع: الكشاف الموضوعى الألفبائى، ونظام التكشيف المترابط Co-ordinate indexing، والكشاف المصنف، والالتقاط الآلى. ومن الواضح أن بحث الجماعة قد خلا من دراسة التكشيف الوصفى: أى الفهرسة الوصفية، ويركز على الاسترجاع الموضوعى. وبعد تحليلات طويلة ليس هنا مكانها تخلص الجماعة إلى:

١ . ليس هناك تعارض بين الطرق الألفبائية والطرق المصنفة لاسترجاع المعلومات.

٢. التصيف أساسى فى كل أنواع وطرق استرجاع المعلومات من خلال الموضوع، إذ لابد أن تعتمد طرق الاسترجاع على التصنيف فى ثلاثة جوانب:

(أ) رسم خريطة للمعرفة واستمداد رؤوس الموضوعات والمصطلحات.

(ب) تحديد الاسبقيات فى الموضوعات المركبة.

(جـ) ربط الموضوعات بعضها ببعض فيما يعرف بالعلاقات الشاملة.

٣. التصانيف العامة الحاصرة من النمط التقليدى لا تصلح لأداء هذه المهمة لأنها تقتصر على علاقة واحدة هى علاقة الجنس ـ النوع، أو علاقة العام ـ الخاص فقط، وهى علاقة فى بعد واحد Unidimensional والمعرفة الحديثة بما تضمه من موضوعات مخصصة Specific بالغة التعقيد والتشابك تضم عناصر متعددة، فهى معرفة متعددة الأبعاد Multidimensional فإذا أردنا أن يكون التصنيف ناجحا فلابد أن ينى على أسس مشابهة لتلك التى تنمو بها المعرفة وترتبط. والنوع الوحيد القادر على ذلك هو التصنيف المتعدد الأبعاد أو المتعدد الأوجه Faceted Classification.

٤. نظام التصنيف المتعدد الأبعاد يكمله كشاف ألفبائى يمكن أن يجيب كل الأسئلة ويلبى جميع الاحتياجات، فهو يقدم النوعين من الترتيب: المصنف والألفبائى اللذين يحتاج إليهما أى باحث.

وقد عرضت أفكار الجماعة ومفاهيمها عن التكامل على نطاق أوسع حينما أسهمت بجهد ملحوظ فى عقد المؤتمر الأول لدراسة التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات فى لندن (١٩٥٧)، وأسهمت فى بحوثه بنصيب وافر[٢٠]. وفى هذا المؤتمر حظيت أفكار الجماعة عن التحليل الوجهى وعن التكامل بين طرق الاسترجاع الموضوعى ـ حظيت بالاتفاق، خاصة وأنه كان مؤتمراً دولياً حضره علماء كثيرون من بريطانيا والهند وأمريكا، والاتحاد الدولى للتوثيق.

وقد دعم هذا الاتجاه جهد آخر هو تجربة الأسليب كرانفيلد[٢١]، التى أجريت لاختبار فاعلية نظم أو لغات التكشيف. وهنا نلاحظ ظهور هذا المصطلح الجديد:

لغات التكشيف، ويعد ظهوره نتيجة لاتجاه التكامل بين طرق الاسترجاع، فكل طرق الاسترجاع هي لغات للتكشيف أي لموضوع واحد.

إن جهود جماعة البحث في التصنيف وكتاباتها وأنظمتها المتخصصة التي أعدتها، ونتائج تجربة الأسليب كرانفيلد قد أثرت في تطوير مجال استرجاع المعلومات تأثيراً كبيراً، بحيث أن لغة الكتابات في بريطانيا وفي أماكن أخرى أي اللغة الاصطلاحية ـ قد أصبحت هي لغة الجماعة وأخذت كثيراً من مصطلحات هذا المشروع البحثي الكبير، الذي كان أول مشروع معملي لقياس فاعية أنظمة الاسترجاع، حيث أنه يعتمد على تجربة معملية فعلية. وقد فتح الباب واسعا أمام تجارب أخرى كثيرة فيما بعد.

ومما يجدر ذكره أن الجماعة قد أسهمت إسهاماً كبيراً في هذا المشروع من خلال عضوين من أعضائها، هما ج. ملز، وسيريل كليفردون، كما أنها هي التي أعدت نظام تصنيف لموضوع: علم الملاحة الجوية الذي كان أحد النظم التي طبقت في التجربة[٢٢].

ونمضي في هذا التتبع فنجد أن بعض أعضاء الجماعة قد أعدوا أيضاً تصنيف علم المكتبات والمعلومات (كليس)

A Classification of Library and Information Science (CLIS)

وقد أعدوه بتكليف من ثلاث هيئات مهنية كبيرة، وهي: مدرسة الفنون والصنائع بشمال لندن (حيث كان يعمل ملز) وجمعية المكتبات البريطانية، وجماعة البحث في التصنيف. كما أنه يستخدم لتنظيم واحد من أهم المطبوعات المهنية وهو: ليزا:

Library and Information Science Abstracts (LISA).

وهو يستخدم كذلك لتصنيف مجموعات كلية المكتبات في ويلز. ويهمنا تعريف أو مجال استرجاع المعلومات في هذا التصنيف: «العمليات التي توجه نحو استرجاع الوحدات (المواد) المتصلة (بالبحث) من خزانة أو مجموعة أخرى من الوثائق أو أي بديل آخر (مثل إصدار مجلة تكشيف أو ببليوجرافية)»[٢٣].

ومن استعراض الأجزاء المخصصة لاسترجاع المعلومات فى هذا التصنيف يتبين لنا أن استرجاع المعلومات يضم كل عمليات التنظيم سواء كانت متعلقة بالشكل المادى (الفهرسة الوصفية)، أو كانت متعلقة بالمدخل الموضوعى بشقيه: الألفبائى والمصنف. وهو بهذا المفهوم يشمل فى الحقيقة كل أنواع التكشيف والكشافات.

وربما كان من المفيد عند هذه النقطة أن أتناول معالجة ولفرد لانكستر لمفهوم استرجاع المعلومات، هذا مع ملاحظة أن لانكستر يعد من أعمدة هذا المجال.

الحقيقة أن لانكستر قد تناول فى كتابه المهم(٢٤)، قضية الاسترجاع وقضية التحليل الموضوعى فى أكثر من موضع. وقد عرض لمفهوم: استرجاع المعلومات فى بداية كتابه حينما تناول: فئات الحاجة إلى المعلومات، وهذه الفئات عنده تندرج تحت اثنتين كبيرتين:

١. الحاجة إلى العثور على وثيقة معينة نعرف اسم مؤلفها أو عنوانها، والحصول على نسخة من هذه الوثيقة.

٢. الحاجة إلى العثور على الوثائق التى تتناول موضوعا بعينه، أو يمكن أن تجيب على سؤال بعينه.

وقد أسمى لانكستر الفئة أو الحاجة الأولى «الحاجة إلى وثيقة معروفة» ويقصد بها بطبيعة الحال الحاجة إلى وثيقة يعرف المستفيد مؤلفها أو عنوانها. أما الفئة الثانية فقد أطلق عليها «الحاجة الموضوعية».

يعتبر لانكستر أن قدرة مركز المعلومات على استرجاع الوثائق المتخصصة فى موضوع معين، هى قدرته على «استرجاع المعلومات». ويعتبر لانكستر أن النشاطين: الحصول على وثيقة مخصصة أو معينة معروفة، واسترجاع المعلومات، مرتبطان أشد الارتباط، لأن كثيرا من طلبات الحصول على الوثائق المعروفة يمكن أن تكون ناشئة وبشكل مباشر عما سبقها من أنشطة استرجاع المعلومات(٢٥).

يعود لانكستر بعد ذلك وعند تناوله لقضية «التحليل الموضوعى للوثائق»، ولاحظ هنا أنه يستخدم مصطلحاً سوف نعـود إليه بعد قليل، إلى القول بأن الوثائق تحتاج

«بمجرد اقتنائها إلى أن تنظم ويتم التعريف بها... وتشمل أنشطة التنظيم والتعريف كلا من التصنيف والفهرسة والتكشيف الموضوعى والاستخلاص»[٢٦]. لقد توسع لانكستر هنا فى مفهوم التنظيم حتى أدخل فيه كل طرائقه الوصفية والموضوعية: المصنفة، والألفبائية، فضلاً عن الاستخلاص. ورغم أننا معنيون هنا بمفهوم استرجاع المعلومات إلا أننا اضطررنا إلى التوضيح السابق لأن لانكستر فى الحقيقة استخدم فى كتابه، وفى أماكن مختلفة عدة مصطلحات، ويصعب فصل المعالجة عن بعضها. والآن نعود إلى استرجاع المعلومات، ويهمنا مفهوم لانكستر له لأنه أضاف إلى مفهوم اللفظ عناصر جديدة.

يقول لانكستر: «فاسترجاع المعلومات كما يستعمل فى الغالب الأعم من الحالات مرداف «للبحث فى الإنتاج الفكرى» فهو عملية البحث فى مجموعة من الوثائق (وفقا لأوسع معانى المصطلح «وثيقة») للتحقق من تلك الوثائق التى تتناول موضوعاً بعينه...»[٢٧].

كذلك يعنى استرجاع المعلومات عنده نشاطا آخر هو «الرد على الاستفسارات والذى يمكن النظر إليه على أنه أحد أشكال استرجاع المعلومات، حيث تنطوى الخطوة الأولى على استخدام أحد أنواع نظم استرجاع المعلومات كالفهرس الموضوعى للمكتبة أو أحد الكشافات المطبوعة، أو ربما كشاف نهاية الكتاب، وذلك للتحقق من الوثائق التى يمكن أن تقدم الإجابة على سؤال معين...»[٢٨].

وأرنى مضطراً هنا إلى شىء من الاستطراد، ربما يخرج عن العنوان الفرعى الذى استخدمته هنا، وهو استرجاع المعلومات، وهو استطراد مفيد تدعو إليه الضرورة، فضلا عن أنه يمس لب مشكلة المصطلحات والمفاهيم والدلالات التى هى قلب هذا الفصل والمقصد منه.

يقول لانكستر: «ومما يدعو للأسف أن المصطلحات التى تستخدم عادة للدلالة على مختلف جوانب المعالجة الموضوعية فى إطار مهنة المكتبات، لا تتفق تماما والمصطلحات التى يستخدمها الآخرون، كناشرى مراصد البيانات الوراقية مثلاً، وأحيانا مانجد فى الإنتاج الفكرى للمكتبات وعلم المعلومات تمييزاً بين مصطلحات «الفهرسة الموضوعية» و«التكشيف الموضوعى» و«التصنيف». الثلاثة»[٢٩].

«ويدل مصطلح: الفهرسة الموضوعية عادة على استعمال رؤوس الموضوعات للتعبير عن المحتوى الإجمالى للوحدات الوراقية الكاملة (كالكتب والتقارير والدوريات، إلى آخر ذلك من أنواع أوعية المعلومات) فى فهرس المكتبة.

«أما مصطلح التكشيف الموضوعى: فيستخدم بأكثر من معنى، فمن الممكن أن يستخدم للدلالة على التعبير عن المحتوى الموضوعى لأجزاء من الوحدات الوراقية الكاملة، كما هو الحال فى كشاف نهاية الكتاب أو كشاف المقالات التى تصدر فى الدوريات. وهكذا يمكن للمكتبة أن تفهرس الكتاب تحت رأس موضوع «المكتبات» للدلالة على إجمال المحتوى الموضوعى، ولا يتم الكشف عن دقائق محتويات الكتاب إلا فى الكشاف الموضوعى.

«وهذا التمييز بين مصطلحى «الفهرسة الموضوعية» و«التكشيف الموضوعى» حيث يدل الأول على الواحدات الوراقية الكاملة، والثانى على أجزاء الوحدات، تمييز مصطنع ومضلل وغير مطرد. فالعملية التى يتم بها التعبير عن المحتوى الموضوعى لأوعيـة المعلومات فـى مـراصد البيانـات المنشورة، طباعـة، أوفـى شكل قابل للقراءة بواسطة الآلات، غالبا ما يعرف وبشكل مطرد بالتكشيف الموضوعى سواء كان الأمر يتعلق بالأوعية الكاملة أو بأجزاء منها. وهكذا فإن الكشاف الموضوعى لمرصد Chemical Abstracts مثلاً يمكن أن يشير إلى الكتب الكاملة وتقارير البحوث الكاملة فضلاً عن أجزاء الأوعية...»[٣٠].

كذلك يرفض لانكستر الفصل المصطنع بين التصنيف والفهرسة الموضوعية ويعتبره تمييزاً ساذجاً إلى أبعد الحدود، حيث أن «التصنيف بأوسع معانيه يدخل فى نسيج جميع الأنشطة المتصلة باختزان المعلومات واسترجاعها. ويرجع جانب من الخلط المصطلحى إلى العجز عن التمييز بين تحليل المحتوى أو تحليل المفاهيم، ومراحل الترجمة فى التكشيف»[٣١].

والحقيقة أن المعالجة السابقة تشير إلى قضية مهمة جدا فى التصنيف العملى والتكشيف، وهى قضية: تحديد موضوع الكتاب أو الوثيقة فهذه العملية هى المرحلة

الأولى فى التصنيف العملى وكذلك فى رؤوس الموضوعات والتكشيف، وهى تتم من الوثيقة نفسها وليس من النظام، فإذا ما تم للمكشف الموضوعى تحديد الموضوع فإن هناك مرحلة أخرى تتم من النظام، سواءكان خطة تصنيف، أو قائمة رؤوس موضوعات أو كشافاً، أو مكنزا، الخ. وهى مرحلة ترجمة الموضوع إلى لغة التكشيف.

والحقيقة أن هذه العملية من الأهمية بحيث أفرد لها لانجريدج كتابه: التحليل الموضوعى: الأسس والأجراءات. سوف أعود إلى هذه النقطة بعد قليل حيث أنها تنقلنا تلقائياً إلى مصطلحات أخرى من بينها التحليل الموضوعى، والذى استخدمه لانكستر ـ كما استخدمه لانجريدج، وغيرهما[٣٢].

ومن الواضح أن لانكستر هنا قد تأثر ـ كما تأثر غيره ـ بأفكار جماعة البحث فى التصنيف عن التكامل بين طرق استرجاع المعلومات والتى تأثر بها كل كاتب فى الموضوع تقريباً.

المدخل الموضوعى، والتحليل الموضوعى، وتنظيم المعرفة

نستخدم هنا: المدخل الموضوعى كمقابل عربى لمصطلح Subject Approach والذى ذكرت أن بليس كان أول من استعمله فى عنوان كتابه الثانى، وذكرت كذلك أنه مصطلح متعب للمترجم. وإلى جانب المدخل الموضوعى، فقد استعمل بمعنى المعالجة الموضوعية، وطرق الوصول إلى المعلومات من خلال الموضوع. وقد ترجمته إلى مصطلح لعله يعبر عن محتواه تعبيراً دقيقاً، وهو: تنظيم المعلومات، وذلك حينما ترجمت كتاب أ.س. فوسكت: The Subject Approach to Information

فقد نقلته إلى العربية بعنوان: **تنظيم المعلومات فى المكتبات ومراكز التوثيق**

ونشر بالرياض عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

ولعل هذه أول مرة يستخدم فيها مصطلح تنظيم المعلومات عنوانا لكتاب باللغة العربية.

وقد ذكرت منذ قليل أن بليس هو أول من استعمل اللفظ، وذلك فى سنة ١٩٣٣، مقترنًا بمصطلح تنظيم المعرفة:

The Organization of Knowledge in Libraries and the Subject Approach to Books.

وذكرت أنه استعمل المفهومين بمعنى التصنيف الذى كان يعتبره بليس هو النوع الوحيد المقبول من التنظيم الموضوعى. هذا هو أقدم استخدام للفظ.

ثم استعمله ويلليس رايت فى سنة ١٩٥٢ فى بحث عنوان:

[٣٣]Subject Approach to Knowledge.

وقد كان بحث ويلليس رايت ضمن كتاب ضم مجموعة من البحوث التى قدمت إلى مؤتمر عن: التحليل (الموضوعى Subject Analysis. أى أن المصطلح: Subject Approach قد عاد إلى الظهور فى سنة ١٩٥٢، ولكن بمفهوم يختلف عن مفهوم بليس، وهو مفهوم موسع للفظ، يشمل التصنيف ورؤوس الموضوعات، والببليوجرافيات الموضوعية، أى فى الحقيقة «كل... الطرق التى تستخدم لإيجاد المحتوى الموضوعى...»[٣٤].

فى نفس العمل (أعمال المؤتمر) استخدم شيرا مصطلح: التحليل الموضوعى Subject Analysis، كما أن عنوان المجلد كله استخدم مصطلح التحليل الموضوعى[٣٥]. ويمكن أن نستنتج من هذا أن المصطلحين: المدخل الموضوعى، والتحليل الموضوعى، قد استخدما بمفهوم واحد فى هذا العمل بحيث يعنى: كل طرق الوصول إل المعلومات من خلال الموضوع. وظهر ذلك جليا فى المقدمة التى كتبها تاوبر للعمل. بل إن رايت ـ كما ذكرت آنفا قد زاد على المفهوم الذى نعرفه: الببليوجرافيات الموضوعية.

ونمضى فى تتبع المصطلحين بعد ذلك، ونبدأ بالمدخل الموضوعى.

ذكرت منذ قليل أن أ. س. فوسكت قد استخدم: المدخل الموضوعى للمعلومات عنوانا لكتابه، وأننى قد نقلته إلى العربية بعنوان: تنظيم المعلومات فى المكتبات ومراكز التوثيق.

والحقيقة أننى أريد أن أتناول هذا الاستعمال كجزء من قضية أعم أشرت إليها من قبل فى سياق الحديث عن جهود جماعة البحث فى التصنيف، وهى قضية التكامل بين طرق الوصول إلى المعلومات، والتى انعكست فى التأليف والتدريس.

يذكر أ. س. فوسكت أنه فى سنة ١٩٦٤ أدخل منهج جديد لامتحانات جمعية المكتبات البريطانية (British) Library Association . كان المنهج السائد قبل ١٩٦٤ يضع خطًا فاصلاً بين التصنيف (AI)، والفهرسة (AII)، وكان هذا الخط يفصل استعمال رؤوس الموضوعات، على اعتبار أنها فهرسة، عن استعمال خطط التصنيف، والتى فصلت بدورها عن الفهرس المصنف.

أما فى المنهج الجديد فقد أصبحت هناك ورقة واحدة تغطى الفهرسة والتصنيف معا، وهذا يمكن المدرسين والطلبة من تجنب التقسيم الثنائى السابق وغير المفيد.

هذه المعالجة المتكاملة للموضوع والتى أدت إلى تغيير مناهج الدراسة هى التى أغرت أ. س. فوسكت بتأليف كتابه السابق الإشارة إليه لكى يكون كتاباً دراسياً يقدم معالجة متكاملة لمشكلات استرجاع المعلومات عن طريق الموضوع، رغم كثرة الكتب التى تعالج كلا منها على حدة. وقد جاء كتابه ليفى بهذه الحاجة(٣٦). ويلاحظ أيضاً أن فوسكت يستخدم مصطلح المعلومات وليس الكتب أو المكتبات.

وقد سبق نيدام فى التأليف فى الموضوع، إذ ألف كتابه:

Organizing Knowledge in Libraries

فى سنة ١٩٦٥(٣٧). وكان تأليفه للكتاب بعد إقرار المنهج مباشرة، كما أنه يغطى جوانب لم يتطرق إليها فوسكت، وهى الخاصة بالفهرسة الوصفية، وإن لم يكن فى المعالجة الموضوعية بمثل شمول وعمق فوسكت، وهذا شيء طبيعى لأن الكتاب مسطح تسطيحاً كبيراً.

والمهم هنا هو أنه لأول مرة يستخدم مصطلح: تنظيم المعرفة بالمفهوم الشامل لكل عناصر التنظيم من وصفية وموضوعية، وأن ذلك جاء نتيجة لتطورات طويلة أفضت إلى تغيير فى المفاهيم والمناهج كما رأينا.

ويذكر دافيسون فى سنة ١٩٦٦ أن أكثر ما يثبت العلاقة بين الفهرسة والتصنيف

أنهما قد اعتبرا أجزاء فى موضوع متشابك هو: تنظيم المعرفة[٣٨]. وهو نفس المصطلح الذى اتخذه نيدام عنوانا لكتابه. وهكذا نرى أن مصطلح تنظيم المعرفة الذى بدأ عند بليس بمعنى التصنيف قد وصل عند نيدام إلى أوسع معنى له، وهو كل طرق الوصول من ألفبائية ومقننه وشكلية.

وينحو هذا المنحنى مؤلفون آخرون سوف أعود إلى بعضهم بعد دراسة مصطلح: التحليل الموضوعى.

رأينا أن التحليل الموضوعى قد استخدم عند تاوبر وشيرا بمعنى طرق الوصول الموضوعية، وهو فى هذا يتطابق مع مفهوم أ. س. فوسكت الذى رأيناه فى كتابه: تنظيم المعلومات، وإن لم يكن استعمال الأولين نتيجة للتطورات التى حدثت فى مجال استرجاع المعلومات. المهم أن التحليل الموضوعى يستخدم هنا بالمعنى الواسع. ونفس المعنى الواسع نجده عند كل من:

راو ألورى

ألا سدير كمب

جون بول

فى كتاب حديث بعنوان: Subject Analysis in Online Catalogs, 1991.

وقد ترجمته إلى اللغة العربية، وظهر بعنوان: التحليل الموضوعى فى فهارس البحث المباشر[٣٩].

وهو يتناول التحليل الموضوعى فى علاقته بفهارس البحث المباشر.

وهناك كتب أخرى تنحو هذا المنحى، فنجد لانكستر يستخدم المصطلحين: الاسترجاع الموضوعى، والتحليل الموضوعى[٤٠]، وقد تناولنا لانكستر من قبل تحت: استرجاع المعلومات.

وقد استخدم ملز لفظ التحليل الموضوعى كعملية فى إعداد التصنيف، وهو يراوح فى استخدامه بين: التقسيم، أى تقسيم الموضوعات عند إعداد نظم التصنيف، وبين التحليل الوجهى Facet Analysis. وهو بهذا يعكس وجهة نظر كل من المدرستين: التقليدية، والحديثة فى عملية إعداد التصنيف. فالعملية عند المدرسة التقليدية هى عملية: تقسيم، وعند المدرسة الحديثة عملية: التحليل الوجهى[٤١].

ونصل فى هذا التتبع إلى مفهوم محدود جداً للتحليل الموضوعى، ذلك الذى نجده عند ديريك لانجريدج فى كتابه: التحليل الموضوعى: الأسس والإجراءات[٤٢]. والذى عرضت له بالإشارة من قبل.

وهو يعنى بالتحليل الموضوعى المرحلة الأولى من التصنيف العملى والتكشيف، وهى مرحلة تحديد موضوع الكتاب أو الوثيقة، ويسميها لانجريدج: التلخيص، ونظرا لأهمية هذه العملية، ولأنها لم تعط الاهتمام الكافى لدى المؤلفين الآخرين، فقد أفرد لها لانجريدج هذا الكتاب.

ونفس المفهوم العملى تقريبا نجده عند كل من أ.ج. براون وجاك ملز وديريك لانجريدج[٤٣] فى كتاب ألفوه معا، ويهدف إلى تعليم المهارات الأساسية المطلوبة فى التكشيف الموضوعى العملى: Practical Subject Indexing

. ورغم أن واينر ومن بعده إيرين تايلور قد عالجا الموضوع بنظرة شاملة فى كتاب: An Introduction to Cataloging and Classification حيث يضم كل جوانب التنظيم، وليس الفهرسة والتصنيف فقط، إلا أن الكتاب حينما يستخدم مصطلح: التحليل الموضوعى يقصد به الجانب العملى فقط، وهو عملية التلخيص، أو تحديد موضوع الكتاب أو الوثيقة، على النحو الذى وجدناه عند لانجريدج.

ونأتى أخيراً إلى راولى، والتى يستخدم عندها مصطلح: تنظيم المعرفة فى أوسع معانيه. وسوف نعود إليها بعد قليل[٤٤].

وبعد هذا التتبع المفصل لمفاهيم المصطلحات التى استخدمت فى مجال التنظيم يمكن أن نخلص إلى ما يأتى:

١. أن هناك من يتوسع جدا فى مفهوم التنظيم (تنظيم المعرفة أو تنظيم المعلومات) بحيث يشمل التنظيم كل طرق الوصول أو الإتاحة سواء كانت وصفية، أو موضوعية، أى: الفهرسة الوصفية، والتصنيف، ورؤوس الموضوعات، أو التكشيف. بل إن لانكستر يضيف إليها الاستخلاص.

٢. فى الطرف الآخر يقصر البعض المفهوم على التصنيف وحده، وقد ظهر ذلك جليا فى الكتب التى ظهرت فى المرحلة الأولى من تاريخ التصنيف، وهى مرحلة

المفاضلة بين الطرق الألفبائية والطرق المصنفة. وكان طبيعيا أن تقتصر الكتب المؤلفة على أحدهما.

٣. هناك من وقفوا موقفاً وسطا فقصروا مفهوم تنظيم المعلومات على طرق الإتاحة الموضوعية فقط: التصنيف، ورؤوس الموضوعات، والتكشيف. وهى معالجة تعكس التكامل الذى حدث بين لغات التكشيف الموضوعية.

٤. يقتصر لانجريدج فى كتابه: التحليل الموضوعى: الأسس والإجراءات، على مفهوم ضيق جدا للتحليل الموضوعى، وهو عملية التلخيص، كما أن غايته غاية عملية محضة وليست دراسة كاملة للموضوع. وخاصة إذا عرفنا أن له كتبا أخرى فى موضوع التصنيف:

* Approach to Classification, 1973.

* Classification and indexing in the Humanities.

* Classification: its Kinds, Systems and Applications, 1992.

٥. أن المؤلفين قد استخدموا مصطلحات متعددة للتعبير عن مفاهيمهم، وقد استخدم مصطلح التحليل الموضوعى Subject Analysis بمفهوم واسع عند كل من شيرا (١٩٥٢)، وألورى (١٩٩١)، ولانكستر (١٩٩٢)؛ كما استخدم بمعنى ضيق جداً عند لانجريدج (١٩٨٩). كما أشرت إلى ذلك توا.

كذلك استخدم مصطلح المعالجة الموضوعية، أو طرق الوصول الموضوعية، بمعان مختلفة، فهو عند بليس يعنى: التصينف فقط، لكنه عند أ.س. فوسكت يعنى كل طـرق الوصول أو الإتاحة الموضوعية. كـذلك استخـدام المصطـلح نفسه Subject approach مع الكتب مرة (بليس)، ومع المعلومات (أ.س. فوسكت)، ومع المعرفة (ويليس رايت).

وبطبيعة الحال استخدمت ألفاظ أخرى، مثل: لغات التكشيف، وهى تعنى إما المعالجة الموضوعية (بالمعنى الواسع) أو تعنى كل طرائق التنظيم بما فى ذلك الطرائق الوصفية، واستخدمت أيضاً المصطلحات المخصصة: التصنيف، التكشيف، رؤوس الموضوعات. واستخدم مصطلح: التكشيف الموضوعى (براون)، لانكستر.

أما مصطلح تنظيم المعرفة، فقد استخدمه مؤصله بليس (١٩٢٩، ١٩٣٣) بمعنى التصنيف فقط، حيث أنه كان يعتمد التصنيف على أنه المدخل الموضوعى الوحيد ولا يعترف بالطرائق الألفبائية.

ثم استخدم المصطلح كما رأينا فى أوسع معانيه عند كل من نيدام (١٩٦٤، ١٩٧٣) وراولى (١٩٩٢)، والحقيقة أن استخدام راولى للمصطلح هو استخدام فريد Organizing Knowledge : Introduction to Information Retrieval:

فهو توحد فى المفهوم بين تنظيم المعرفة وبين استرجاع المعلومات[٤٥].

ولعلنا نتوقف قليلاً عند كتاب راولى، بسبب هذا التوحيد بين تنظيم المعرفة وتنظيم المعلومات، كما أنه يوسع جدا من مفهوم الوثيقة ومفهوم المعلومات كما سنرى بعد قليل. وعلى هذا فهو مفهوم جديد ومفيد.

عند راولى أن الهدف من تنظيم المعرفة، هو بألفاظ عامة، أن نتيح إيجاد هذه المعلومات أو المعرفة فى مناسبة أو ظرف آخر.و هكذا نرى أن تنظيم العرفة، ثم استرجاعها فيما بعد، والذى يعرف أحيانا باسترجاع المعلومات، هما جزء من نفس العملية[٤٦].

والتنظيم الضعيف يجعل من الصعب أن نجد أى شيء فيما بعد، فى حين أنه إذا أخذ كل شيء مكانه وعرف موضعه، فإنه عند طلب أى مادة فسوف يكون من الممكن التقاطها فوراً[٤٧].

ثم تورد راولى تعريفات لغوية أو معانى لغوية للمصطلحات الأربعة فى عنوانها، نقلا عن قاموس أكسفورد، وهى: ينظم to organize المعرفة، Knowledge يسترجع to retrieve وأخيراً المعلومات Information وتلاحظ أن: المعلومات والمعرفة لصيقان جدا فى تلك المعانى اللغوية[٤٨].

ثم تذكر راولى أن الكتاب معنى بتنظيم المعرفة واسترجاع المعلومات فى سياق مخصص، فهو معنى بصفة خاصة بتلك الأساليب التى تهم مديرى المكتبات والمعلومات. وتشتمل هذه على الأساليب والأدوات التى تستخدم فى المكتبات، كما تشتمل كذلك على الطرائق التى تستخدم فى إدارة المعلومات فى المؤسسات. وجدير

بالذكر أن واحدة من السمات المهمة التى يجب أن نذكرها عن أمثال هذه النظم هى أن بعضها لا ينظم ـ فى الحقيقة ـ المعرفة أو يسترجع المعلومات. إن بعضها يهتم بالفعل بتنظيم واسترجاع الوثائق أو الإحالات إلى الوثائق.

ثم يتساءل الكتاب: ما الوثيقة؟ ويجيب: الوثيقة هى سجل للمعرفة أو المعلومات، أو تعبير إبداعى. إن مؤلف الوثيقة يسجل الأفكار أو الأحاسيس، أو الصور، أو الأعداد، أو المفاهيم والتصورات لكى يشترك فيها مع الآخرين. وقد كانت المكتبات وبصورة تقليدية معنية بالكتب، ولكن المجموعات Collection، فى معظم المكتبات تتجاوز الكتاب.

ويحاول الكتاب فى هذا السياق أن يحدد مفهوم الوثيقة بلغة المواد المكتبية: فهى تشمل إلى جانب الكتاب، أعمال المؤتمرات، والتقارير، والأشكال المصغرة، والمسلسلات، والخرائط، وشرائط الفيديو، والشرائح، والشرائح الفيلمية وبرامج الحاسب. ويضيف إلى هذه الوثائق فى شكل السجلات أو الملفات والتى قد تحتوى على الرسائل والفواتير والوثائق الشخصية أى الوثائق الأرشيفية(٤٩).

وكل هذه الوثائق تحتاج إلى التنظيم بحيث يمكن استرجاع محتوياتها عند الحاجة.

وهناك ثلاثة مجالات تطورت فى خطوط مختلفة أو مستقلة ولكنها تتحرك تجاه التقارب والتكافل؛ ويمكنها جميعا أن تستفيد من كثير من الأدوات التى تستخدم لتنظيم المعرفة. وهذه المجالات هى:

* الفهارس والببليوجرافيات، التى تستخدم فى المكتبات لتسجيل الوثائق فى مجموعة ما أو فى موضوع مخصص.
* خدمات التكشيف والاستخلاص، التى يستخدمها علماء المعلومات لتحديد ذاتية الوثائق التى نحتاج إليها للإجابة على الاستفسارات الموضوعية.
* نظم إدارة السجلات، التى هى مسئولية مديرى السجلات والأرشيفيين وذلك لصيانة مجموعة مرتبة من السجلات.

ويحاول كتاب راولى أن يقدم نظرة واسعة. ورغم أن التخصص المهنى هو أمر لا يمكن تجنبه فإن المعلومات المهنية الجديدة تحتاج إلى آفاق واسعة (جمع

أفق). والتقسيمات القديمة تتجه إلى التقارب، وهذا ما جعل من المهم أن تقدم فى كتاب كهذا إطاراً متكاملاً (٥٠).

يتناول الكتاب بعد ذلك أدوات تنظيم المعرفة. فيذكر أنه لأغراض تنظيم المعرفة ابتكر المكتبيون والعاملون فى حقل المعلومات أدوات كثيرة. وهذه الأدوات هى بشكل تقليدى: الفهارس، والببليوجرافيات والكشافات المطبوعة. والآن أصبحت قواعد البيانات المحسبة وكشافاتها مركزية بالنسبة لتنظيم المعرفة. ولم تحل النظم المبنية على الحاسب محل الأدوات التقليدية بصورة كاملة (٥١).

ثم يعطى الكتاب بعض التعريفات للمصطلحات الشائعة التى تهتم بأدوات تنظيم المعرفة. وهذه التعريفات هى العناصر الأولى للغة تهتم باسترجاع المعلومات واستخدمها الكتاب بكثرة.

* الفهرس Catalogue هو قائمة بالمواد أو الوحدات فى مكتبة ما (أو هو بصورته التقليدية قائمة بالكتب فى مكتبة ما»، هذه القائمة تشمل المداخل التى تمثل المواد مرتبة بطريقة منهجية ما. ويمكن أن يكون الفهرس فى شكل بطاقى، أو فى شكل فهرس ميكروفيليمى، أو فى شكل قاعدة بيانات محسبة.

* البيليوجرافية bibiography هى قائمة بالمواد أو الوحدات التى تقتصر فى تغطيتها أو تحدد فى تغطيتها بواسطة بعض الصفات الأخرى غير المواد التى تجمعها مجموعات مكتبة واحدة. والببليوجرافية قد تسجل المواد الصادرة فى قطر معين، أو عن موضوع معين أو فى شكل معين، أو قد تقيد تغطيتها بعوامل أخرى. وقد تكون الببليوجرافيات مطبوعة أو قواعد بيانات محسبة.

* الكشاف Index هو مؤشر أو دالة، أو بصورة أكثر كمالاً، هو دليل مقنن إلى المواد التى تشتمل عليها مجموعة أو قاعدة بيانات معينة، أو المفاهيم المشتقة من تلك المجموعة أو القاعدة. وهناك تعريف معجمى آخر هو أن الكشاف هو قائمة هجائية بالإشارات أو الإحالات، التى توجد عادة فى نهاية كتاب ما.

* قاعدة البيانات المخزنة فى الحاسب Computer - held database هى أصعب قليلاً فى تعريفها سواء من حيث بساطة التعريف أو فعاليته. وقاعدة البيانات هى مجموعة من التسجيلات records المتشابهة، مع العلاقات بين التسجيلات. وحسب هذا التعريف، فإن الفهارس والكشافات هى قواعد بيانات. وهذه هى الحال فعلاً. أما قاعدة البيانات المخزنة فى الحاسب فهى تخزن فى شكل مقروء للآلة. والفهرس قاعدة البيانات هو نوع واحد من قواعد البيانات المخزنة فى الحاسب. وهناك أيضاً أنواع أخرى من قواعد البيانات الببليوجرافية.

وتشتمل قاعدة البيانات الببليوجرافية على مجموعة من التسجيلات التى تحيل إلى الوثائق (مثل الكتب، أو الأفلام، أو مقالات الدوريات، أو التقارير). وهناك قواعد بيانات أخرى تخزن الحقائق والنصوص. وقد تشتمل قواعد البيانات على إحالات إلى الوثائق أو معلومات حقيقية عن موضوعات متنوعة. وإن الوصول أو الإتاحة إلى قواعد البيانات يكون عن طريق بعض أساليب البحث فى الحاسب، وهى غالبا ما تستخدم محطة عمل للحاسب.

* الملف File هو مجموعة من الرسائل أو الوثائق التى تعالج و تختص بمؤسسة واحدة، أو شخص واحد، أو مجال واحد أو موضوع واحد. وقد تحتفظ الملفات بالوثائق الورقية أو تكون قاعدة بيانات محسبة.

يتناول الكتاب بعد ذلك الخصائص الأساسية لأدوات استرجاع المعلومات التى أجملناها فيما سبق، وهى الفهارس المطبوعة بأنواعها: فهرس المؤلف، وفهرس العنوان وفهرس المؤلف/ العنوان، والفهارس الموضوعية بنوعيها: الفهارس الموضوعية الهجائية، والفهارس الموضوعية المصنفة، ثم يتناول بعد ذلك الكشافات المطبوعة والببليوجرافيات المطبوعة، وقواعد البيانات المحسبة(٥٢).

وجدير بالذكر أن كتاب راولى يستخدم لطرق الوصول الموضوعية مصطلح: Sub-ject Approach وهو فى ذلك مثل كتب أخرى لعل أبرزها كتاب أ.س. فوسكت، كما سبق أن أشرت.

ولعلنا قد وقفنا هذه الوقفة المتأنية أمام كتاب راولى لسببين:

١. أنه يستخدم تنظيم المعرفة واسترجاع المعلومات (تنظيم واسترجاع المعلومات) بمعنى واحد وأنه يوسع مفهوم المصطلح إلى أقصى حد بحيث يشمل كل طرائق التنظيم، ويدخل فيها الأجزاء الأخرى للجهاز البيليوجرافى كله: فهارس المكتبات، والببليوجرافيات والكشافات، قواعد البيانات، الخ.

كما أنه يوسع جداً من مفهوم مصادر المعلومات أو الوثائق بحيث تشمل كل الوثائق التى تحمل معلومات حتى المواد الأرشيفية.

٢. أنه يعالج قضية التنظيم بصورة متكاملة، وبمدخل متكامل واحد، وبعد أن يتناول أساسيات نظم الاسترجاع، يبدأ فى تناول كل عنصر من عناصر التنظيم على حدة. وهذا هو نفس المنحى الذى سبق إليه أ.س. فوسكت منذ ١٩٦٩، وقبله نيدام (١٩٦٤)، ولكن راولى تناوله بالمفهوم الأوسع.

أهمية التنظيم

إن أهمية تنظيم المعلومات مساوية لقيمة المعلومات نفسها. فالمعلومات غير المنظمة، أو التى نظمت تنظيماً غير فعال، لا تؤدى وظيفتها بفاعلية، ومن ثم تهدر موارد المكتبات ولا يتم الاستفادة منها على الوجه الأمثل. وربما تتضح أهمية التنظيم بصورة أكبر، إذا نحن تناولناها فى ضوء عناصر تعريف علم المكتبات والمعلومات.

ومما يجدر ذكره أننا نتحدث هنا الآن عن أهمية تنظيم المعلومات بصفة عامة، وأما وظائف التصنيف فى المكتبات ومراكز المعلومات فقد خصصنا لها فصلاً كاملاً فى الكتاب الثانى من هذه السلسلة[٥٣].

يمكن القول أن علم المكتبات والمعلومات هو مجموع القضايا والعمليات التى تهدف إلى توصيل المعلومات المناسبة للمستفيد المناسب فى الوقت المناسب وبالقدر المناسب. وهذا تعريف عام يصدق على كل أنواع المكتبات ومراكز المعلومات وكل أنواع المواد. وهنا تبرز عدة عناصر مهمة:

١. فنحن نتحدث عن المعلومات المناسبة للمستفيد المناسب. وهذا يؤكد ارتباط المعلومات بالمستفيد ويركز على وظيفة الاقتناء وأهم عناصرها اختيار المواد التى تدخل إلى المكتبة. ونجد فى هذا الصدد أن دور التنظيم يبدأ هنا فى هذه

المرحلة وقبل أن تدخل مصادر المعلومات إلى المكتبة، حيث أن اختصاصيى التزويد الذين يناط بهم عملية الاختيار سوف يلجأون إلى الببليوجرافيات والموضوعية منها بصفة خاصة، وذلك لاختيار المواد التى تخدم جمهور المكتبة التى يناط بهم بناء مجموعاتها. وعلى هذا فإن التنظيم يلعب دوره حتى قبل أن تبنى مجموعات المكتبة ولا شك أن عملية الاختيار فى الغاية من الأهمية بالنسبة للمكتبة، لأنها هى التى تحدد مصير مجموعات المكتبة من حيث القوة أو الضعف. وهذه العملية تعتمد اعتماداً كبيراً على الببليوجرافيات المنظمة.

٢. إن الهدف من اقتناء مصادر المعلومات ليس المواد فى ذاتها ولكن ما تشتمل عليه من معلومات. فالمعلومات هى المضمون الفكرى الذى من أجله تؤلف الكتب وغيرها من المصادر، وهو الهدف الذى أنشئت من أجله المكتبات ومراكز المعلومات أصلاً. وحتى إذا طلب القارئ كتابا لمؤلف معين فإنه يختار ذلك المؤلف دون غيره لأنه يقدم إليه معلومات معينة لا يجدها عند غيره.

٣. يلعب تنظيم المعلومات دوراً مهما فى البحث العلمى، فالبحث عبارة عن ثلاثة عناصر: باحث، وموضوع أو بحث، ومعلومات. وتلعب المعلومات دورها فى مرحلتين:

مرحلة اختيار البحث

مرحلة إعداد البحث

فإذا ما وقع اختيار الباحث على موضوع معين لدراسته، فمن الضرورى أن يتحقق من أمرين:

(أ) هل سبقت دراسة هذا الموضوع؟

(ب) هل هذا الموضوع قيد الدراسة أو البحث؟

وهذه مهمة الخدمات الببليوجرافية والتكشيفية، التى هى جزء من جهاز التنظيم الشامل.

فإذا ما تأكد للباحث أن بوسعه دراسة هذا الموضوع فإن أول خطوة بعدذ لك هي جمع بيليوجرافية البحث، وهذه مرحلة تعتمد اعتماداً كاملاً على الببليوجرافيات والكشافات التي هي أدوات ضرورية في المكتبات ومراكز المعلومات.

٤ . هذا ينقلنا إلى نقطة مهمة جدا وهى عنصر الوقت المناسب.

والوقت المناسب هو الوقت المخصص لإجراء البحث. فإذا مثلنا الوقت الذى يقوم فيه الباحث ببحثه بنقطين أى طرفين، فإنه كلما حصل الباحث على المعلومات فى وقت قصير، أى كلما كان قريبا من طرف البداية، كلما توافرت أمامه الفرصة لإجراء البحث، والعكس، فكلما أنفق وقتا فى الحصول على المعلومات كلما ضاعت عليه فرصة الدراسة المتأنية والكاملة لموضوعه.

ويرتبط الوقت المناسب ارتباطا وثيقا بالتنظيم لأن التنظيم الفعال يوفر المعلومات المناسبة فى أقل وقت ممكن وبأيسر الطرق الممكنة، كما أنه يرتبط بعنصر القدر المناسب.

٥ . القدر المناسب هو القدر الذى يتطابق مع موضوع البحث. وهذه عبارة عامة مختصرة، ولكن انعكاساتها كبيرة جداً. حيث أن مصادر المعلومات المتصلة بالبحث من العناصر المهمة جداً. وقد أجريت أبحاث كثيرة جداً تناولت عنصر الصلة Relevance. وهى أساس مهم من أسس فاعلية نظام الاسترجاع. وليس من شأننا الآن أن نتحدث عن هذه الموضوعات فسوف تأتى فى حينها إن شاء الله. ولكن الذى يهمنا الآن أن القدر المناسب أو المواد ذات الصلة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفاعلية التنظيم، وأنها تؤثر على الوقت المخصص للبحث أيضاً.

المراجع والهوامش

(1) Bliss, H.E. The organization of knowledge and the system of the siences. New York,: Henry Holt, 1929. 433P.

(٢) لمعرفة آراء بليس بالتفصيل فهناك مؤلفاته وأولها المصدر السابق، ثم أعمال أخرى سوف نشير إليها بعد قليل. وتصنيف بليس فصل فى أى كتاب قياسى عن التصنيف. وفيما يلى بعض المصادر العربية التى عالجت آراء ونظريات بليس:

(أ) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف البيليوجرافى لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف، القاهرة: كلية الآداب، ١٩٦٧. رسالة الماجستير. الفصل الرابع، وهو عن تصنيف بليس.

(ب) فوسكت، أ.س. تنظيم المعلومات فى المكتبات ومراكز التوثيق؛ ترجمة عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. الرياض: دار العلوم، ١٩٨٠. الفصل التاسع عشر، وهو عن تصنيف بليس.

(جـ)ملز، جاك. نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات: أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية؛ ترجمة عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٨٢. الفصل الثانى عشر وهو عن تصنيف بليس أيضاً.

(٣) لمعرفة العلاقة بين تصنيف الكتب وتصنيف المعرفة، انظر: عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف البيليوجرافى... ص ص ٢١٣ ـ ٢٣٢.

(4) Bliss, H.E. The organization of knowledge in libraries and the subject approach to books. New York: H.W. Wilson, 1933. 347p.

(5)Dewey, M. Aclassifecation and Subject index, 1876.

(6) Cutter, Charles Ammi. Rules for a dictionary catalogue, 1876.

(٧) أنظر فى ذلك مثلا:

- Richardson, E.C. Classification: theoritical and practical. Hamden, Conn: Shoestring Press, 1964.

(الطبعة الأولى ١٩٠١).

- LaMontagne, Leo E. Historical background of classification (in: Tauber, M. ed. The subject analysis of library materials. New York: Columbia University School of Library Service, 1953. pp. 16 - 27.

(٨) يعتبر تقنين كتر أول تقنين شامل للفهرس القاموسى (أنظر المرجع (٦) أعلاه. وهو يغطى مداخل المؤلفين والعناوين والموضوعات. وعلى هذا يمكن القول إن المداخل وما يقابلها من أنواع الفهارس قد وضعت أسسها فى سنة واحدة هى سنة ١٨٧٦. وقد ساعدت قواعد كتر على انتشار وشيوع الفهرس القاموسى بالولايات المتحدة، كما كان لها تأثيرها على «قواعد الفهرسة» الأنجلو ـ أمريكية (١٩٠٨) وعلى قواعد جمعية المكتبات الأمريكية (١٩٤٩) للمداخل.

(٩) كان كتر كما ذكرنا آنفا معاصراً لديوى وشريكا له فى حركة المكتبات فى الولايات المتحدة الأمريكية وأسهم فى الأعمال التى تمت فى غضون تلك الفترة. وحينما صدر التصنيف العشرى لديوى فى سنة ١٨٧٦ لم يرض كتر، وانتقده من زاويتين:

الترتيب غير العلمى

الأقسام غير الكافية

ولذلك أعد كتر تصنيفه الواسع Expansive classification، واستعمل لترقيمه حروف الهجاء حتى يوسع الأساس الرمزى (الحروف ٢٦ مقابل ١٠ فى الأعداد). كذلك رتب كتر تصنيفه ترتيبا علميا جيدا. ولكنه لم يعش حتى يكمل تصنيفه. ومع أن تصنيفه أفضل كبيراً من ديوى إلا أن موته قبل أن يتمه قد حال دون انتشاره.

(١٠) تمت دراسة تلك القواعد فى واحد من أحدث الكتب فى الموضوع، وهو كتاب: تنظيم المعلومات فى المكتبات ومراكز التوثيق الذى ألفه أ. س. فوسكت وترجمته إلى العربية، ١٩٨٠.صدرت الطبعة الخامسة من الأصل فى ١٩٩٦.

(١١) كانت الكتب القياسية فى التصنيف تدرس سبعة أنظمة: ديوى، والكونجرس وكتر، والعشرى العالمى، وبراون، وبليس، ورانجاناثان. وبدأت الكتب الأحدث تتجاهل كتر وبراون. وقد درس ملز براون لأنه بريطانى، كما درس واينر (١٩٩٢) كتر ضمن الأنظمة الأخرى. والمقصود بالدراسة هنا أن يخصص له فصل كامل مثل الأنظمة الخمسة الأخرى.

(12) Sayers, W.C.B. Manual of classification, 1926; 2nded; 1944, 3rd 1955 (1959).

وقد مات سايرز فى ١٩٦٠.

ثم حرر آرثر ملتباى الكتاب وأصدر طبعتين: الأولى ١٩٦٧ (الرابعة فى التسلسل العام) والأخيرة (الخامسة) ١٩٧٥. وله كتب أخرى ليست لها شهرة هذا الكتاب مثل: Introduction to library classification; Cannons of classification; Grammar of classification.

(13) Mann, M. Introduction to cataloging and classification of books, 2nd ed. 1943.

وقد كان من الكتب الأساسية فى زمنه. وهو أول كتاب يتناول موضوعات الفهرسة والتصنيف ورؤوس الموضوعات معا داخل كتاب واحد.

(١٤) هناك عدد لا حصر له من الكتب التى صدرت فى كل فرع من فروع التنظيم. ومن الكتب التى صدرت حديثاً فى مجال التصنيف:

A new manual of classification

وقد ألفه كل Robert Newton, Rita Marcella

وصدر فى سنة ١٩٩٤ وهو كتاب بريطانى يعد كتاباً وسيطاً جديداً ليحل محل كتاب سايرز ولكنه ليس طبعة سادسة منه.

(15) Foskett, D.J, Classification and indexing in the social sciences. 2nd ed. London; Butterworths, 1974. P.1.

(١٦) انظر فى ذلك مثلا: التصنيف البيليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٣. ص ص ٩ ـ ١٩.

(17) Foskett, D.J. The Classification Research Group 1952 - 1962. In: Foskett: Science, Humanism and Libraries. London: Crosby, 1964, p. 191.

(18) Classification Research Group. "The need for a Faceted classification as the basis of all methods of information retrieval.". Lib. Ass. Rec. vol. 57, No7, July, 1955. pp. 262 - 268.

(١٩) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦. ص ص ٥٠ ـ ٦٦.

(20) International Study Conference on Classification for Information Retrieval. London: Dorking, 1957. Aslib Proceedings, 1957.

(21) Cleverdon, C,W, Mills, J. and Keen, M. Factors determining the performance of indexing systems. Cranfield, Aslib - Cranfield Resarch project, 1966. 2 vols in 3.

(٢٢)كانت الدراسات التقويمية قبل مشروع الأسليب ـ كرانفيلد تعتمد على دراسة الأنظمة كأنظمة من حيث فضائل وعيوب كل نظام، أما تجربة الأسليب فهى تجربة حقيقية. ونقصد بأنها معملية أن ظروف التجربة هى ظروف محكومة وليست قياسا لواقع عملى فى مكتبة ما أوفى مركز معلومات. ولكنها فتحت الباب لمزيد من اختبارات الفاعلية التى تمت فى الواقع العملى أى على الاستفادة وليس على تجربة مصطنعة.

وبما هو جدير بالذكر أن نتائج التجربة كانت مهمة جدا وأصبحت أساسا من أسس دراسة نظم استرجاع المعلومات.

كما أن مصطلحات مثل: الاستدعاء، والتحقيق، والصلة التى تستخدم الآن بكثرة سواء فى أساسيات نظم الاسترجاع أو فى الدراسات التقويمية، هذه المصطلحات هى من مصطلحات تلك التجربة. وقد تناولت هذه التجربة باختصار فى:

التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات، ص س ١٤٣ ـ ١٤٧.

(23) A classification of Library and Information Science. London; Library Association, 1975.

(٢٤) لانكستر، ف.و. ، وورنر، أ.ج. أساسيات استرجاع المعلومات؛ ترجمة حشمت قاسم. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٢٥) المصدر السابق: ص ٢١.

(٢٦) المصدر السابق: ص ٢٣.

(٢٧) المصدر السابق: ص ٢٧.

(٢٨) المصدر السابق: ص ٢٩.

(٢٩) المصدر السابق: ص ٣٨. وقد وردت هكذا، ولعله يقصد: المصطلحات الثلاثة: الفهرسة الموضوعية، والتصنيف، والتكشيف الموضوعى.

(٣٠) المصدر السابق.

(٣١) المصدر السابق: ص ٣٩.

(٣٢) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. التصنيف العملى والتكشيف: دراسة ونصوص. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦. وقد تضمن ترجمة كاملة لكتاب دريريك لانجريدج: التحليل الموضوعى: الأسس والإجراءات.

(33) Wright, willis. The Subject approach to knowledge. In: Tauber, M.F. The Subject Analysis of Library Materials, 1953. pp. 8 -15.

(34) Ibid: p.10.

(٣٥) يلاحظ أن تاوبر قد اختار مصطلح: التحليل الموضوعى Subject Analysis

لعنوان الكتاب الذى يجمع تلك الأبحاث على اعتبار أنه مصطلح شامل. وقد ظهر مفهوم التحليل السموضوعى فى المقدمة العامة التى كتبها تاوبر للعمل. كما أنه يشير أيضاً إلى مصطلح «المعلومات» و«وحدات الفكر» على أنهما مصطلحان جديدان (هذا فى سنة ١٩٥٢).

(36) Foskett, A.C. The Subject Approach to Information, 2nd ed. 1971.

ويلاحظ أن ترجمتى للكتاب كانت لطبعته الثالثة التى صدرت سنة ١٩٧٧. وقد صدرت الطبعة الرابعة فى ١٩٨٢، والخامسة فى ١٩٩٦.

(37) Needham, C.D. Organizing knowledge in libraries: an introduction to information retrieval. 2 nd ed, 1974.

ويلاحظ أن هذا هو نفس عنوان كتاب راولى الذى يأتى بعد.

(38) Davison, Keith. Theory of classification. Bombay: Asia Publishing House, 1966. p. 46.

(٣٩) التحليل الموضوعى فى فهارس البحث المباشر. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨. وهو يتناول كل طرق الاسترجاع الموضوعى التى تستخدم فى فهارس البحث المباشر: نظم التصنيف، وقوائم رؤوس الموضوعات، ونظم التكشيف.

(٤٠) سبقت الإشارة إلى مفهوم استرجاع المعلومات، ومفهوم التحليل الموضوعى عند لانكستر.

(٤١) ملز، ج. نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات. الفصل الثانى، وهو بعنوان: تصنيف المكتبات والتحليل الموضوعى، وخاصة الصفحات ١٤ ـ ١٦.

(٤٢) لانجريدج، ديريك. التحليل الموضوعى: الأسس والإجراءات؛ ترجمة عبد الوهاب أبو النور. فى: التصنيف العملى والتكشيف: دراسة ونصوص. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦.

(43) An introduction to subject indexing. 2 ne ed. London: Clive Bingley, 1982.

(44) Rowley, G.E. Organizing knowdge: introduction to information re-

trieval . 2nd ed. Aldershot: Ashgate, 1992.

(٤٥) هناك أيضا الكتاب الآتى:

Organizing Information: principles and practice, 1987.

وهو من تأليف كريستوفر تيرنر. ويلاحظ أنه قد استخدم مصطلح تنظيم المعلومات عنوانا للكتاب. وأعيد إلى ذهن القارئ أننى قد استخدمت المصطلح عنوانا لكتاب فوسكت: تنظيم المعلومات فى المكتبات ومراكز التوثيق.

كذلك نلاحظ أن راولى استخدمت تنظيم المعرفة ووحدت بينها (المعرفة) وبين المعلومات. ولم تكن راولى أول من فعل ذلك. بل سبقها نيدهام (١٩٦٥) فى كتابه عن تنظيم المعرفة. وجاءت راولى واستخدمت نفس العنوان تقريبا.

(46) Rowley; op. cit. P.3

(47) Ibid.

(48) P.4

(49) P.4, 5.

وأود هنا أن أنوه بأن هذا التوسع فى مفهوم الوثيقة هو نفس المفهوم الذى تبنيناه فى مركز التنظيم والميكروفيلم فى مؤسسة الأهرام فى أوائل السبعينات، حيث كان مجال نشاط المركز فى مراكز معلومات أرشيفية غالبا، وليس المواد المكتبية التقليدية. ولذلك توسعنا وقتها فى مفهوم الوثيقة كما توسعنا أيضاً فى مفهوم التنظيم. وقد ظهر هذا فى الكتاب الذى أصدره المركز عن نشاطه (١٩٧٤). ويمكن كذلك الرجوع إلى المصدر التالى: عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. مركز المعلومات الميكروفيليمى لمجمع الحديد والصلب المصرى. مجلة الثقافة العربية، ع٢، ١٩٧٤. ص ص ٢٢٩ ـ ٢٣٨.

(50) P.5.

(51) p.7.

(52) pp. 8-18

(٥٣) يصدر الكتاب الثانى فى هذه السلسلة بمشيئة الله تعالى بعد هذا الكتاب الأول. والعنوان المقترح له هو:

دور التصنيف فى المكتبات ومراكز المعلومات بين الوظائف التقليدية ونظم

الفصل الثالث

قضية الركائز والعمليات الفنية فى المكتبات العربية

تناولنا في الفصل الثاني مفاهيم التنظيم ودلالاته وعناصره وأهميته. ونتناول في هذا الفصل هذا الموضوع المهم من زاوية أخرى هي زاوية الركائز والأدوات الفنية (التقنينات Codes) التي يعتمد عليها التنظيم، وهي الأدوات التي تعتمد عليها المكتبات في العمليات الفنية من فهرسة وتصنيف ورؤوس موضوعات.

وقد ارتبطت نشأة علم المكتبات في الخارج، وفي الولايات المتحدة بصفة خاصة، بنشأة أو وضع الأدوات الفنية التي تمثل أساس العمل في المكتبات. وقد ذكرنا من قبل أن عام ١٨٧٦ ، الذي يعد بداية أو نشأة علم المكتبات في العصر الحديث، هو نفسه العام الذي وضعت فيه الأدوات الفنية، حيث أصدر ديوى أول طبعة من تصنيفه، وأصدر كتر قواعده للفهرس القاموسي، ولمداخل المؤلف والعنوان؛ أي أن كل التقنينات اللازمة للعمل قد وضعت أسسها في سنة واحدة.

ونركز في هذا الفصل على الركائز والتقنينات الفنية في بلادنا العربية.

إذا جاز لنا أن نؤرخ لبدء دراسات المكتبات والمعلومات في الوطن العربي بإنشاء أول دراسة متخصصة في هذا المجال على المستوى الجامعي لأمكن أن نقول أن هذه الدراسات بدأت في وطننا العربي منذ ما يقرب من خمسين سنة. وهي فترة ليست قصيرة. وقد تلا ذلك إنشاء أقسام متعددة في أرجاء الوطن العربي كافة، وكثر المتخصصون القائمون بالتدريس في تلك الأقسام في جميع مجالات المكتبات والمعلومات، كما كثرت البحوث والدراسات والترجمات، بحيث أصبح لدينا إنتاج فكري كبير يغطي مجالات المكتبات والمعلومات جميعا.

والمكتبات في وطننا العربي أقدم بكثير من نشأة علم المكتبات بالمفهوم الحديث. ونحن بطبيعة الحال لا نتحدث هنا عن المكتبات في عصر الحضارة الإسلامية

الزاهرة، ولكننا نتحدث عن مكتبات العصر الحديث. ولست أريد أن أعدد المكتبات، ولكن أريد فقط أن أقول إن المكتبات فى الوطن العربى فى العصر الحديث قد نشأت بعد أن انتشرت الطباعة وكثرت الكتب المطبوعة[١].

ويحق لنا فى هذا الوقت أن نقف وقفة مع النفس نراجع فيها أنفسنا، فبعد قرن ونصف من نشأة المكتبات العربية فى العصر الحديث، وبعد نصف قرن من بدء الدراسات العلمية الأكاديمية لعلوم المكتبات، وما موقف التقنينات الفنية فى المكتبات العربية.

ومما يزيد من أهمية المراجعة فى هذا الوقت ما قد يحدث أحيانا من تضارب فى الفكر والعمل، ومن ثم فى التدريس. ولا يمكن فى فصل كهذا أن نتتبعها بالتفصيل، فهذا يحتاج إلى دراسات وبحوث كثيرة، ولكنى أريد فقط أن أتناول القضية، وما آلت إليه حال تلك التقنينات حتى نكون على بينة من أمرنا. وفى هذا الصدد لا يصعب على المرء أن يرصد بعض الملاحظات هنا وهناك، وأن يجد بعض المؤشرات، والتى يمكن أن تؤدى إلى البلبلة والتضارب فى الفكر والعمل والتعليم.

وقد يرجع سبب التضارب والبلبلة إلى أننا لازلنا فى مرحلة إنشاء وتقنين الركائز الفنية: من قواعد للفهرسة، ونظام للتصنيف، وقائمة لرؤوس الموضوعات. وأول ما يلاحظ المرء ـ وكما سوف يتضح أكثر فيما بعد ـ مدى ما نعانيه من تشتت فى الجهود وفردية فى العمل. كذلك مما يلاحظ أن المكتبات العربية تعيش جميع عصور التطور، فهى من حيث الأساليب الفنية، تتزامن فيها كل العصور: فمن مكتبات لا تزال تعيش فى مرحلة أولية ـ أو حتى بدائية ـ إلى مكتبات تتبنى أحدث الأساليب.

وهذا يؤدى دون شك إلى اختلاف فى وجهات النظر بالنسبة للأدوات الفنية. ومنذ ربع قرن تقريبا، وفى جولة لى بعدد من الدول العربية موفدا من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،[٢] ظَنَّ أحد كبار المسئولين عن المكتبات: تعليما وممارسة أن الحاسب سوف يحل جميع المشكلات فى وقت قريب جداً.

وهذا يدل على أن ثمة تبسيطاً للأمور أكثر من اللازم، وقد يكون التبسيط أحيانا

ناجما عن تفاؤل، وقد يكون ناجما عن عدم الغوص إلى حقائق الأمور. ولعلنا نشاهد الآن أننا بعيدون عن حل المشكلات، بل إن المشكلات تزيد يوما بعد يوم، وخاصة تلك المتعلقة بالإنتاج الفكرى العربى.

وهذا يدل بوضوح، على أن علم المكتبات فى بلادنا لم يصبح بعد علما عربياً إسلامياً له المقومات الكاملة للعلم، إذ أنه لم يصل بعد إلى مرحلة النضج التى تؤهله لها كثرة الأقسام وكثرة القائمين بالتدريس وكثرة الإنتاج الفكرى المتمثل فى الدراسات والأبحاث والكتب، فهل يعانى علم المكتبات فى بلادنا مما تعانى منه العلوم والمجالات كافة من آفات ومعوقات، وهل يستطيع علماء المكتبات فى بلادنا أن يكسروا قاعدة من قواعد الحضارة وسنة من سنن التطور، وأن يسبقوا العلوم الأخرى؟ ذلك بطبيعة الحال شيء مستبعد، فالأرجح أن مجالنا يعانى ما تعانيه المجالات الأخرى كافة من صعوبات ومعوقات، ليس هنا مجال الحديث عنها[٣]. وإنما سوف أركز فى هذا الفصل، والفصل التالى على قضيتين لهما تأثير كبير فى مجالنا، وهما قضية الركائز الفنية، وقضية المصطلحات.

الركائز الفنية فى المكتبات العربية

حينما تنشأ المكتبات فلابد من التنظيم، وسوف نحاول هنا أن نتتبع - باختصار - محاولات توفير الركائز الفنية فى الفنية العربية من قواعد الفهرسة، ونظام للتصنيف، وقائمة لرؤوس الموضوعات، تمهيد للوقوف على حالة هذه الركائز الآن، ومدى تأثيرها على الفكر والعمل.

تقنينات الفهرسة

يمكن أن نلخص أهم الأعمال والدراسات التى تمت فى مجال توفير قواعد عربية للفهرسة الوصفية فيما يأتى:

١ . ترجع أول محاولة لتوفير قواعد لفهرسة الكتاب العربى إلى سنة ١٩٣٨، حينما قامت دار الكتب المصرية بوضع قواعد تستعمل لفهرسة الكتب

التى تقتنيها. «والمتتبع لها يلاحظ تأثرها بنظام ١٩٠٨ (الأنجلو أمريكى) تأثراً واضحا فى إيراد أمثلة بنصها من ذلك النظام، وكذلك نصوص لبعض القواعد فى صيغة مختصرة»[٤].

٢. المحاولة الثانية هى تلك التى قامت بها مكتبة جامعة القاهرة، حيث نجد أن أحد المسئولين عن الفهرسة فى الأربعينات كان يسير وفق النظام الأنجلو أمريكى لسنة ١٩٠٨. وقد وضع لذلك مذكرات ضمنها تعليمات للفهرسة منقولة بنصها وبأمثلتها من ذلك النظام. وقد اعتمدت المكتبة بعد ذلك على القواعد البارزة فى تقنين جمعية المكتبات الأمريكية وقواعد الفهرسة الوصفية لمكتبة الكونجرس (١٩٤٩)[٥].

٣. من أهم الأحداث فى هذا الصدد، وربما فى تاريخ علم المكتبات فى بلادنا، أن أول رسالة يعدها أحد خريجى قسم المكتبات بجامعة القاهرة كانت دراسة إحدى قضايا الركائز الفنية، وهى قضية الفهرسة الوصفية. تلكم هى الرسالة التى أعدها أستاذنا محمد المهدى حنفى ـ مدَّ الله فى عمره، ذلك الرائد الذى تفاعل بسرعة مع قضايا المكتبات العربية فأدرك بثاقب فكره أن المرحلة تحتاج إلى دراسة الركائز الفنية فى المكتبات العربية، والتى تمثل أساس العمل فى المكتبات. وكان ذلك فى وقت مبكر جداً من تاريخ دراسة المكتبات فى وطننا العربى[٦].

٤. من أهم الأعمال فى تلك المرحلة أيضاً تلك القواعد التى قام بإعدادها كل من الدكتور محمود الشينطى والأستاذ محمد المهدى، والتى صدرت فى طبعتها المبدئية سنة ١٩٦٢، نتيجة لتوصية صدرت عن حلقة بيروت للمكتبات عام ١٩٥٩ بوضع قواعد للفهرسة الوصفية تطبق فى المكتبات العربية»، وأنها قد جاءت بعد استعراض لتاريخ الفهرسة الطويل فى البلاد المتقدمة وبعد الرجوع إلى ما تقرر فى أنظمة الفهرسة الحديثة منذ منتصف القرن ١٩ حتى إصدار المبادئ الدولية للفهرسة فى أواخر عام ١٩٦١، ويضاف إلى هذا أيضا ما استخلص من التجارب فى المكتبات العربية، وما

تكشف أثناء تدريس المادة فى قسم الوثائق والمكتبات بكلية الآداب جامعة القاهرة[٧].

وقد صدرت نسخة منقحة من هذه القواعد (قواعد ١٩٦٢) فى سنة ١٩٦٤ ثم صدرت أكثر من مرة (١٩٦٩، ١٩٧٣) دون أن يحدث بها أى تغيير.

«ولا شك أن هذه القواعد كانت ذات أهمية كبيرة، وقد سدت فجوة وأدت دوراً لا يمكن إنكاره فى الفهرسة الوصفية بالمكتبات العربية»[٨].

٥. فى سنة ١٩٧٣ قدم محمود أتيم (الأردن) لمؤتمر الإعداد البيليوجرافى للكتاب العربى المنعقد بالرياض قواعد للفهرسة ملخصة ومترجمة مع بعض التعديلات من القواعد الأنجلو أمريكية الصادرة فى طبعتها الأولى عام ١٩٦٧.

٦. أوصى المؤتمر المشار إليه فى فقرة (٥) بأن يكون التقنين الدولى للوصف البيليوجرافى أساسا للفهارس والأعمال البيليوجرافية فى المكتبات والهيئات البيليوجرافية العربية. وبناء على تلك التوصية قدم الدكتور سعد الهجرسى ترجمة للفصل السادس المراجع من التقنين الأنجلو أمريكى الخاص بالوصف لتتلاءم مع التقنين الدولى للوصف البيليوجرافى للأعمال المنفردة فى نشرها، وقد تم ذلك عام ١٩٧٥. وقد صدرت الطبعة الثانية من الترجمة العربية فى أواخر عام ١٩٧٦[٩].

٧. شهدت الثمانينات وأوائل التسعينات صدور الترجمات العربية الكاملة لنصوص أحدث قواعد الوصف البيليوجرافى. فقد كلفت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالفعل خبراء عربا بترجمة التقنين الدولى للوصف البيليوجرافى لمواد المعلومات المختلفة.

وأصدرت فى هذا الخصوص ثمانية مجلدات خلال الأعوام ١٩٨٢ - ١٩٩٤ على تفصيل فى ذلك لا يتسع له المقام[١٠].

٨. قامت جمعية المكتبات الأردنية بنشر ترجمة عربية لقواعد الفهرسة الأنجلو

أمريكية فى طبعتها الثانية الصادرة عام ١٩٧٨، وقد نشرت هذه الترجمة عام ١٩٨٣ بدعم من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ثم نشرت تعديلات عام ١٩٨٢، وتعديلات عام ١٩٨٣.

٩. نشرت ترجمة عربية للطبعة الثانية من موجز قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية، وصدرت الترجمة بالقاهرة عام ١٩٨٧، ثم صدرت ترجمة للطبعة الثانية المراجعة عام ١٩٩٢[١١].

١٠. صدرت فى عام ١٩٩٦ ترجمة عربية كاملة من قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية فى طبعتها الثانية المراجعة (١٩٨٨) مع تعديلات ١٩٩٣ بغرض توفير أحدث نص من القواعد للطلاب والمفهرسين فى المكتبات العربية[١٢].

ملفات الاستناد

لكى تتم الفهرسة الوصفية بنجاح ولكى يتم توحيد المداخل فى عملية إنشاء الفهارس فمن الضرورى توفير سجلات أو ملفات الاستناد بالنسبة للأسماء حتى لا يتم اختيار المداخل بصورة عشوائية أو ارتجالية.

وقد صدرت عدة أعمال بالعربية تهدف إلى الضبط الاستنادى للأسماء العربية، وأبرز هذه الأعمال:

١. القائمة التى أعدها كل من الدكتور محمود الشنيطى وعبد المنعم السيد فهمى للأسماء العربية القديمة حتى سنة ١٨٠٠م/ ١٢١٥هـ، وهى تضم ما يزيد على ٨٠٠ اسما قديماً. وهى قائمة محدودة نسبيا، ولكنها هى التى فتحت الباب ونبهت الأذهان إلى هذه الأعمال[١٣].

٢. القائمة التى أعدها د. ناصر السويدان ود. محسن العرينى لجامعة الملك سعود، وختمت بسنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٠م. وتشتمل على ما يقرب من تسعة آلاف من الأسماء القديمة[١٤].

٣. القائمة التى أعدها فكرى زكى الجزار، وأصدرتها مكتبة الملك فهد الوطنية

فى النسوات من ١٩٩١ حتى ١٩٩٤، فى أربعة مجلدات وهى تضم نحو ٢٥٠٠ اسما حتى ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م[١٥].

٤. القائمة التى أعدها كل من د. شعبان خليفة و محمد العايدى، فى مجلدين كبيرين وصدرت ١٩٩٦. وهى تضم ما يقرب من ٢٥٠٠٠ اسماً قديماً مات أصحابها حتى عام ١٣١٨هـ/ ١٩٣٠م[١٦].

والآن، وبعد عرض الجهود والمحاولات التى بذلت فى سبيل توفير قواعد للفهرسة الوصفية للمكتبات العربية وللضبط الاستنادى للأسماء العربية يحق لنا أن نتساءل:

هل أصبح لدينا الآن تقنين عربى للفهرسة؟

وهل أصبح لدينا سجل كامل متفق عليه للضبط الاستنادى للأسماء العربية؟

إن العرض السابق يبين أن هناك كثيرين بذلوا جهوداً كبيرة فى هذا الاتجاه ـ اتجاه توفير القواعد، واتجاه الضبط الاستنادى، ولكن هل أفضت هذه الجهود إلى إجابة على السؤالين السابقين. وبمعنى آخر، هل الهدف من تلك الجهود والأعمال هو التعدد فى ذاته وأن يدلى كل بدلوه، أم أن الهدف هو أن نصل فى النهاية إلى توفير تقنين عربى للفهرسة وإلى سجل موحد للضبط الاستنادى للأسماء العربية تسير عليها المكتبات العربية فى ممارستها للفهرسة وتؤدى إلى التقنين والتوحيد فى الممارسة والتطبيق، ومن ثم فى التعليم والتدريس؟

ما الهدف من وجود قواعد للفهرسة أصلا؟

هل هو ما يحدث عندنا الآن أم أن الهدف هو التوحيد. وقبل أن أجيب على هذه التساؤلات أذكر القارئ بقواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية التى صدرت فى طبعتها الثانية سنة ١٩٧٨، ثم ما تلا ذلك من تعديلات بسبب الحاجة إلى المراجعة المستمرة. هذه القواعد اشترك فى إعدادها خمس هيئات كبيرة، وهى: جمعية المكتبات الأمريكية، مكتبة الكونجرس، جمعية المكتبات (البريطانية)، المكتبة

البريطانية، واللجنة الكندية للفهرسة. كما أنها صدرت فى نص واحد تتفق عليه كل الهيئات.

ومعنى ذلك أن هذه القواعد تتخذ أساسا للفهرسة «الموحدة» فى البلاد التى تمثلها هذه الهيئات، كما أنها تستخدم كذلك فى البلاد الأخرى الناطقة بالإنجليزية مثل نيوزيلندة واستراليا وجنوب إفريقيا والهند، وغيرها. ونظرا لما بذل فيها من جهود «فقد اكتسبت... شهرة كبيرة ونفوذاً قويا خارج النطاق الأنجلو أمريكى، ولعبت الدور الأكبر فى إنشاء وصياغة المبادئ والقواعد الدولية التى أخذت تنمو وتزدهر بالنسبة للفهرسة الوصفية، كما أن مراجعاتها من ناحية أخرى هى انعكاس مباشر لمبادئ وممارسات الفهرسة الدولية من ناحية، والتطورات التى حدثت فى التجهيز الآلى للتسجيلات الببليوجرافية من ناحية أخرى»(١٧). ولعل هذا يغنينى عن الحديث عن مبادئ الفهرسة الدولية إيثاراً لعدم التطويل. ومن الواضح أن هناك اتجاهاً دولياً للتوحيد. والقضية التى تهمنا الآن ليس التوحد مع العالم، بل إن من البديهى ألا نتحدث عن مثل هذا التوحيد قبل أن نوحد الفهرسة فى مكتباتنا العربية.

ومن الصعوبة بمكان أن نتحدث عن جميع القواعد، ولذلك فسوف اختار قضية واحدة مثالاً على الحالة التى نحن عليها، خاصة وأن هدفى هو التركيز على قضية الركائز وليس على تفصيلاتها.

القضية هى: مداخل أسماء المؤلفين العرب.

ولا شك أن هذه القضية هى أهم قضايا الفهرسة الوصفية وأكثرها إثارة للجدل كذلك، حيث أن قواعد الوصف قواعد آلية إلى حد كبير، ولذلك فإن خصوصياتنا فيها ليست بذات الخطورة التى تكمن فى خصوصية الأسماء العربية، وحتى لا يبدو رأيى متشدداً ومبالغا فيه أشير إلى آراء أخرين مهتمين بالقضية.

فى دراسة حديثة تم استعراض الجهود التى بذلت فى مجال دراسة وتقنين مداخل الأسماء العربية، سواء كان ذلك فى قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية فى طبعتها الثانية، أوكانت جهوداً عربية بدأت منذ قواعد الشنيطى والمهدى، ثم المؤتمر

الأول للإعداد الببليوجرافى للكتاب العربى (الرياض ١٩٧٣) ثم فى مؤتمر «توحيد فهرسة الكتاب العربى مغرباً ومشرقاً» (تونس ١٩٨٤)، ثم فى اجتماع الخبراء لدراسة مداخل الأسماء العربية (الرباط ١٩٨٥) ثم فى دراسة أكاديمية بقسم المكتبات بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وأخيراً فى دراسة للدكتور شعبان خليفة[١٨].

وبعد أن استعرضت الدراسة كيف عالجت تلك الأعمال قضية إدخال الأسماء العربية تخلص إلى القول:

«وقد نتج عن عدم الاتفاق على قواعد محددة تنوع الممارسات ـ إلى حد كبير فى الفهارس والببليوجرافيات العربية... وعلى سبيل المثال... فإن (كشاف الأهرام) يأخذ بمبدأ الصيغة الطبيعية للاسم، وعلى العكس من ذلك، فإن (نشرة الإيداع) لدار الكتب والوثائق القومية بمصر، تأخذ بمبدأ الشهرة، وعند تعذر التوصل إليها تُدْخل الاسم بالعنصر الأخير فيه.

«ومن ناحية أخرى.. فإن القائمة الببليوجرافية التى تنشر فى أعداد (عالم المكتبات) ـ هكذا ولعلها عالم الكتب ـ وتغطى الإنتاج الفكرى العربى فى أحدث إصداراته من الكتب تتجاهل الادخال بالأسماء كلية، وتبدأ بطاقة الوصف بعنوان الكتاب.

«وإلى أن يتم التوصل إلى القواعد المقننة والمتفق عليها فى هذا الصدد.. (!!!) فإنه إذا كان من الضرورى فى الفهارس أو الببليوجرافيات وجود صيغة موحدة لكل اسم (!!!) ترتبط بها البيانات الخاصة بوصف أوعية المعلومات.. فيجب الاتفاق على أن يكون الجزء الأكثر شهرة وتداولاً من الاسم، ـ أيا كان سبب ذلك ـ هو المدخل، والأسماء التى لا توجد بها عناصر مميزة تدخل كما هى، وذلك مع إعداد الإحالات اللازمة.

«وهناك بالإضافة إلى هذا ـ ضرورة لتبنى مشروع القائمة الاستنادية الموحدة للأسماء العربية (!!!)، تلك التى تقوم على تطبيق مجموعة مقبولة من القواعد المقننة للأسماء العربية قديمها وحديثها، ومزودة بالإحالات من الصيغ الأخرى

للصيغة المقننة. ومن المستحسن استخدام الحاسب الإلكترونى فى هذا المشروع، بما يضمن إنجاز هذا العمل الضخم ومتابعته وتحديثه بصفة مستمرة»[١٩].

تستعرض الدراسة بعد ذلك أبرز الأعمال العربية التى صدرت فى هذا الصدد، وقد تناولتها من قبل، ثم تضيف:

«وعلى أى حال فإن مثل هذه الجهود جديرة بالتقدير، ولكننا ما نزال فى انتظار قائمة المداخل للمؤلفين فى القرن العشرين، وما أكثرهم، كما أننا فى انتظار قائمة لمداخل الهيئات العربية»[٢٠].

وتركز الدراسة فى الفقرة الأخيرة على الأسماء الحديثة وأسماء الهيئات وكأن الأسماء القديمة قد حلت مشكلتها وحسم أمرها فى حين أن هذه المشكلة لم تحل بعد، وأن المكتبات العربية تختلف ممارساتها فى إدخال الاسم العربى القديم ـ والحديث ـ اختلافا بينا. وسوف نعود إلى هذه النقطة فيما بعد.

وقد يكون من المفيد فى هذا الصدد أن أعرض لرأى آخر فى الموضوع. لقد قدم حسنى الشيمى عرضا لكتاب «اتجاهات حديثة فى الفهرسة» وهو الكتاب الذى وردت فيه الدراسة التى أشرت إليها توا. ويهمنى منه فقرات تصب فى موضوعنا الحالى:

«الإنفرادية» ومعذرة لاستخدام اللفظ على هذا النحو للدلالة على السلوك الفردى فى العالم العربى فى إعداد الأدوات أو القواعد أو التقنينات التى تقوم على أساسها العمليات الفنية. وإذا توقفنا عند كلمة التقنينات نجد أنها تتناقض مع الرؤى والاجتهادات الفردية، إن هذه الأخيرة مطلوبة ولكن باعتبارها سبيلا إلى بوتقة لصهرها فى سبيكة واحدة، يستخدمها الجميع بعد ذلك كتشكيل متماسك.

«ولا أزعم أن الكتاب الذين بين أيدينا أعطى هذه القضية حقها، فلمسه لها كان مخففاً، إلا أنه كان ملحوظاً فى الحديث عن قواعد الفهرسة بالعربية (وحسنا أن الباء سبقت هنا كلمة العربية)، وكان ملحوظا فى الحديث عن قوائم الأسماء العربية، حيث أعدت فيها قائمتان حديثتان كل منهما بمعزل عن الأخرى، فلم تتضمن

«مداخل الأسماء العربية القديمة/ إعداد شعبان عبد العزيز خليفة ومحمد عوض العايدى» الصادرة عام ١٩٩٦ إشارة إلى «مداخل المؤلفين والأعلام العربى حتى عام ١٢١٥هـ/١٨٠٠م» التى صدرت قبل الأولى بسنتين أى عام ١٩٩٤، وأخيراً وليس آخراً نجد هذه الانفرادية فى أشكال الاتصال الآلى حيث «نجد أن الساحة العربية خالية من وجود شكل اتصالى معيارى عربى، لتبادل التسجيلات المقروءة آليا».

ثم يمضى الاستعراض فيقول: «والسؤال الذى يلح على المرء هنا: ألا يكفى عشرات السنين من الجهود الفردية فى التعريب أو التعديل أو حتى «زعم التأليف» فى الأدوات الفنية فى مجال المكتبات والمعلومات؟.

«إن جيل الرواد فى المجال يمكن أن يكون له عذره، لكنى أعتقد أن الجيل الحالى ممن يشغلون مواقع العلم والمهنة فى أقسام المكتبات والمعلومات وبخاصة القسم الأم فى جامعة القاهرة، وفى جمعية المكتبات والمعلومات والأرشيف، وكذلك فى المراكز البحثية المعنية، مسئولية غير هينة، إن ظلوا على الإصرار على أن يكون لكل منهم تعريبه وقواعده بل وتقنيناته!

«ولا أدرى ـ بصدق ـ إذا كان هناك من اختصاصيى المكتبات والمعلومات فى الدول الأخرى التى تشابه مسارنا فى المجال، من له نفس القدر من «الحصانة» ضد العمل المهنى الجمعى»(٢١).

والخلاصة فى هذا الصدد أن هناك جهوداً بذلت، ولكنها مشتتة وليست مركزة فى اتجاه واحد هو الاتجاه المختار أو الصحيح، لأن المفروض والمفهوم ضمنا أن كل عمل لاحق له ما يبرره، وأن كل عمل لاحق ينبع من عدم الرضا عن الأعمال السابقة، وإلا فما الذى يجعل الإنسان يتجشم عناء العمل الجديد إن لم يكن له ما يبره! وهكذا فبدلا من أن نوحد جهودنا فى الاتجاه الصحيح والمختار الذى ينبع من الدراسة والبحث، وبدلا من أن نقف وراء عمل ناجح واحد يستوفى الحد الأدنى، ونؤازره وندعمه ونتابعه ونكمله، بدلا من هذا يعمل كل واحد منا على شاكلته

ويرضى بعمله هو ولا يرضى بعمل الآخرين. والخلاصة هو كما ذكرت عدم وجود التقنينات إلى الآن.

قوائم رؤوس الموضوعات العربية

الأداة أو الركيزة الثانية التى تعتمد عليها عملية التنظيم هى قائمة رؤوس الموضوعات. وهناك فى الولايات المتحدة، حيث السيادة للفهرس الموضوعى الألفبائى (جزء من الفهرس القاموسى) أنتجت قائمتان شاملتان:

- قائمة رؤوس موضوعات مكتبية الكونجرس، وهى أكثر القوائم شمولاً وتفصيلاً، وقد صدرت ط ١١ منها عام ١٩٨٨.

قائمة سيرز لرؤوس الموضوعات، وهى قائمة مختصرة، وقد صدرت ط ١٤ منها عام ١٩٩١.

أما قوائم رؤوس الموضوعات العربية، فقد صدر منها أربع قوائم شاملة، وقائمة متخصصة:

١. قائمة رؤوس الموضوعات العربية، التى أعدها إبراهيم الخازندار، وصدرت طبعتها الرابعة سنة ١٩٩٤ بعد وفاة صاحبها.

٢. قائمة رؤوس الموضوعات العربية الكبرى، التى أعدها كل من د. شعبان خليفة ومحمد العايدى. وقد صدرت طبعتها الثانية عام ١٩٩٤ فى مجلدين كبيرين.

٣. قائمة رؤوس الموضوعات القياسية للمكتبات المدرسية وقد أعدها نفس المؤلفين السابقين، وصدرت عام ١٩٩٣.

٤. قائمة رؤوس الموضوعات العربية الموحدة. وقد أصدرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة ١٩٩٥.

٥. قائمة متخصصة، وهى قائمة رؤوس الموضوعات العربية فى العلوم الاجتماعية، وقد أعدها الدكتور محمد فتحى عبد الهادى وهى رسالته للدكتوراة، ١٩٧٥.

ونلاحظ هنا أيضاً أن هناك جهوداً بذلت، وهنا يدل على وعى بالقضية وإدراك

للحاجة ولكن هذه الجهود تحتاج إلى التوحيد ولم الشمل، حتى تؤدى إلى تحقيق الهدف المنشود وهو جمع كلمة المكتبات العربية كلها على قائمة واحدة. وقد رأينا كيف أن الولايات المتحدة كلها مجتمعة على قائمتين:

الأولى، وهى قائمة مكتبة الكونجرس، وهى للمكتبات الكبيرة؛

والثانية، وهى قائمة سيرز وهى للمكتبات العامة والمدرسية.

أما عندنا فلا يوجد مثل هذا الاتفاق. وهذا يؤدى إلى التضارب فى الممارسة، وإلى حيرة المكتبات العربية بين هذه القائمة أوتلك. وكثيرا ما تحدث مناقشات لاختيار إحداها. وقد تختار المكتبة قائمة معينة، ثم تأخذ رؤوسا لا تجدها فيها من قائمة أخرى أومن قائمة سيرز أو مكتبة الكونجرس، فالممارسة خليط من عدة قوائم. ومن المتعذر أن نعثر على التوحيد بين مكتبتين، بل داخل المكتبة الواحدة.

وهناك قضية لا تزال ماثلة للأذهان، وهى: ما مصير قائمة الخازندار التى ظهرت طبعتها الرابعة بعد وفاته بقليل. وهذه تثير قضية استمرار هذه الأدوات، وسوف نعود إليها ولكن بالنسبة للأدوات مجتمعة منعا للتكرار.

خطة التصنيف

بالنسبة للتصنيف فهو يقف فى مفترق طرق أقسى وأمر. ولعل أول محاولة لتوفير نظام لتصنيف المكتبة العربية، ما قامت به أيضاً دار الكتب المصرية، حيث أعدت نظاماً محليا اعتمد على التصنيف العشرى لديوى كما أثبتت المقارنة. وبعد ذلك سوف نلمح اتجاهين استأثرا بالمحاولات والجهود فى هذا الصدد:

(أ) اتجاه تعديل التصنيف العشرى لديوى، وهو الاتجاه الأسبق وكذلك فهو الأسهل. وقد صبت فيه معظم المحاولات التى جرت لتوفير عمل عربى فى التصنيف.

(ب) اتجاه إنشاء خطة عربية للتصنيف. وهو الاتجاه الأصعب ولكنه الأفضل لأنه يتلاءم مع حاجات المكتبة العربية، وينبع من الفكر العربى الإسلامى، ومن شأنه إذا انتهى إلى إتمام هذه الخطة أن يضع حدا للفوضى التى تعانى منها المكتبات العربية فى قضية التصنيف[٢٢].

وقد بدأت الجهود لتوفير خطة عربية للتصنيف على يد فرد واحد، وهذا أمر طبيعى، فكل الأنظمة الكبرى بدأت كذلك ولا تزال تحمل أسماء أصحابها أو المؤسسات التى تبنتها: ديوى، بليس، رانجاناثان، براون، كتر. وحتى تصنيف مكتبة الكونجرس بدأه اثنان هما هانسون ومارتل، والتصنيف العشرى العالمى بدأه اثنان أيضاً هما لافونتين وأوتليه. وهذا أمر طبيعى فالمبادرة فى المشروعات الكبرى كهذه تأتى من الأفراد، ولكن لابد أن تتبناها الجماعة لكى تستمر.

وكان هذا ما حاولناه بالنسبة للخطة العربية للتصنيف، فحينما أنشئت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم نقلنا العمل فى الخطة إلى تلك المنظمة، وبدأ عرض المشروع وما أنجز منه على المؤتمرات التى عقدت للإعداد الببليوجرافى للكتاب العربى: (الرياض ١٩٧٣)، وبغداد (١٩٧٧)، وبدأ العمل فى تجريب النظام تمهيدا لاستكماله. وأوصى مؤتمر بغداد توصيات قوية جداً لاستكمال النظام كجهد جمعى تشترك فيه الأقطار العربية. وقد بدا لنا نحن الذين شاركنا فى مؤتمر بغداد سواء فى لجنة التصنيف، أو فى المناقشات الجانبية المسائية ثم فى اللجنة العامة التى أقرت التوصيات ـ بدالنا كما لو أن الخطة العربية للتصنيف قد أصبحت حقيقة واقعة: استكمالاً وتدريساً وتجريباً وتطبيقاً.

وقد حدثت بعد ذلك تلك الأحداث التى أدت إلى نقل المنظمة إلى تونس، وأخذت الجهود وجهة أخرى، وتوقفت المنظمة عن الاستمرار فى دعم الخطة العربية للتصنيف، مع أن الاستكمال كان قرارات للمؤتمرات، وكان قرارات للمؤتمر العام للمنظة الذى عقد فى يناير ١٩٧٤.

أما بالنسبة للقناة الأولى: قناة التعديلات فقد جرت فيها مياه كثيرة وكثرت التعديلات بشكل عشوائى. وكل من يعن له أن يعد تعديلاً يبادر إلى ذلك، حتى لكأن تعديل (ديوى) كتاب يترجم أو مقال يكتب.

وهذا شيء لايمكن وصفه، وهو يدل على أننا بحاجة إلى دراسة ماهيات الأشياء من جديد وإلى معرفة ألفباء نظرية التصنيف، بل ألفباء التقنينات، وهو نفس السؤال الذى أثرته فى الصفحات الأولى: لماذا تعد التقنينات والأنظمة ـ إنها تعد بغرض توحيد الممارسة. وإن الدعوى الأساسية التى أطلقها أوائل الذين قاموا بالتعديلات هى

دعوى التوحيد وحتى تسير المكتبات فى الممارسة على نفس الطريقة التى تسير عليها المكتبات بالخارج!!! أى توحيد الممارسة فى الوطن العربى مع الممارسة فى الدول الأخرى، ويا له من حلم(٢٣).

وهناك جانب آخر، وهو أن المكتبات تواجه من حين لآخر بطبييعة جديدة كاملة من التصنيف العشرى الأصلى، فماذا هى فاعلة؟

هل هى قادرة على مواءمة المجموعات مع الطبعة الجديدة، وخصوصا وأن التصنيف العشرى عرف منذ الطبعة ١٥ (١٩٥١) ما يعرف بظاهرة ترحيل الموضوعات أى نقل الموضوعات relocations من أماكنها والاستفادة بالرموز لموضوعات أخرى وذلك لزيادة قدرة الخطة على متابعة تقدم المعرفة. وهى أمور تناولتها من قبل فى دراسات أخرى كثيرة(٢٤).

وهناك كثير من المكتبات التى تستخدم تعديلاً ما أو الطبعة الكاملة فإذا ما ظهرت طبعة جديدة من التصنيف العشرى أخذت منها وأضافت إلى الجداول القديمة المستخدمة، وتظل على استخدامها للنسخة القديمة مع الإضافات الجديدة. وشيئا فشيئاً يبتعد التصنيف عن ديوى الأصلى ويصبح نسخة مشوهة أو ممسوخة.

كذلك فإن هناك قضايا التحول إلى الحاسب الالكترونى وما يفرضه ذلك من متطلبات بالنسبة للفهرسة والتصنيف من توحيد فى الشكل وتوحيد فى أرقام التصنيف بين المجموعات.

الذى نشهده الآن فى حقل الممارسة سواء فى الفهرسة أو فى التصنيف أو فى رؤوس الموضوعات شيء يقترب من الفوضى. فلو أخذت أى كتاب عربى فى الموضوع أو أى عدد من مجلة، وتفحصت الهوامش وقوائم المراجع لهالك الأمر. فسوف تجد أن كل كاتب يدخل الأسماء بطريقته. وقد وجدت كاتبا كتب مقالين فى عدد واحد من إحدى المجلات، وكان شكل المدخل عنده مختلف: المرة الأولى كان يقلب الأسماء الحديثة!! وفى المقال الثانى يدخل الأسماء الحديثة بشكلها الطبيعى. وليعذرنى القارئ إذا لم أذكر الأسماء، ثم إنها ليست حالة فردية بل هى ظاهرة شائعة. أى أن نفس الاسم المسند إليه يدخل بشكلين مختلفين في مقالين بنفس العدد.

أما الممارسة فى المكتبات فحدث ولاحرج. وحبذا لو تصدى باحثون لدراسة الممارسات التى تتم فى فهارس المكتبات وسوف نجد عجبا: قد لا توجد مكتبتان تسيران علم نفس النهج، بل ربما أن المكتبة الواحدة تغير من مرحلة إلى أخرى ولا تحاول التوحيد بين المجموعات. هذا فى الوقت الذى تغيب فيه الخدمات المركزية أو التعاونية ويقل فيه المفهرسون والمصنفون المدربون ذوى الخبرة فهم عملة نادرة فى المكتبات العربية.

ولكل ذلك آثاره على التدريس بطبيعة الحال: فالتضارب فى الفكر يؤدى إلى التضارب فى التدريس: فى المداخل مثلا: نقلب الاسم أولا نقلبه. والطلبة حائرون بين هذا وذاك وحائرون بين ما يدرس فى الفصل وما يمارس فى المكتبات. وهكذا وهكذا فى كل المجالات التى أشرت إليها.

وليس قصدى مطلقا توحيد الطريقة التى يفكر بها الناس أو الحجر على فكرهم، فالاختلاف من طبيعة البشر. ولكن هدفى هو توحيد التقنينات والأنظمة وصولاً إلى توحيد الممارسة وهذه من بديهيات علم المكتبات والمعلومات التى ندرسها للطلاب.

وقد ذكرت من قبل أن العالم الناطق بالإنجليزية يطبق قواعد موحدة للفهرسة الوصفية، فمتى يطبق العالم الناطق بالعربية قواعد موحدة للفهرسة ونظاماً موحداً للتصنيف، وقائمة موحدة لرؤوس الموضوعات وقائمة استنادية موحدة للأسماء العربية. متى نضع حدا لهذه الفوضى، ومتى يستقر المدرس والطالب والمفهرس، وتستقر عملية التعليم.

لا أعنى بهذا بطبيعة الحال أن نتوحد مع الغرب أو الشرق، ولكنى أعنى أن نتوحد على أنظمة من صنعنا نحن وأن نوجه الجهود وجهتها الصحيحة. وهذه بطبيعة الحال أمور لا تحسم فى صفحات قليلة وإنما تحتاج إلى أن تجمع الجهود بالصورة التى سوف نتحدث عنها بعد قليل.

الحاجة إلى مؤسسة أو هيئة

يشير تاريخ النظم والأدوات الفنية إلى ضرورة وجود مؤسسة أو تنظيم يرعى هذه

الأدوات والأنظمة والتقنينات. وقد رأينا أن قواعد الفهرسة يشترك فيها خمس هيئات كبرى، ورأينا أن قائمة مكتبة الكونجرس تعد داخل مكتبة الكونجرس وفى قسم الفهرسة فيها.

ولعل الصورة أوضح فى مجال التصنيف منها فى المجالات الأخرى، حيث يشير تاريخ التصنيف إلى أن هناك ثلاثة أنظمة استمرت ونجحت وهى: التصنيف العشرى لديوى، وتصنيف مكتبة الكونجرس، والتصنيف العشرى العالمى، والخطط الأربع الأخرى ماتت بعد موت أصحابها، وهى: كتر، وبراون، وبليس، ورانجاناثان، وما ذلك لأن الخطط الثلاثة الأولى تتبناها مؤسسات، هى: مكتبة الكونجرس (بالنسبة لديوى والكونجرس)، والاتحاد الدولى للتوثيق بالنسبة للتصنيف العشرى العالمى. وفى السنوات الأخيرة يقوم OCLC بإعداد التصنيف العشرى ومتابعته. وهناك سببان رئيسيان يدعوان إلى وجود هذه المؤسسة أو الهيئة:

١. أن الأفراد يموتون، وهذه المشروعات العلمية الكبرى تحتاج إلى الاستمرار حتى تستمر المكتبات فى تطبيقها.

٢. أن المعرفة متطورة باستمرار ونامية أبداً. وهناك حاجة إلى متابعة تقدم المعرفة ولا يمكن أن يتسنى هذا بالنسبة للأفراد بل لابد أن تنهض بهذا العمل مؤسسات، ولابد أن يستند العمل فى هذه التقنينات إلى مكتبات قوية ذات إمكانات كبيرة حتى تكون الأعمال ناجحة من الناحية العملية وليس فقط من الناحية النظرية.

والحقيقة الماثلة أمام أعيننا الآن هو ما حدث لقائمة الخازندار رحمه الله، فما مصير هذه القائمة بعد موته. هل ستستمر أم تتوقف. وهذا مصير كل الأعمال الأخرى. يجب إذن أن نكون بعيدى النظر وأن ننظر إلى مصلحة المكتبات لا إلى تحقيق مجد شخصى على حساب مصلحة المكتبات العربية وأن ننأى بأنفسنا عن الفردية، وأن نوحد جهودنا وصولاً إلى توحيد هذه الأنظمة والتقنينات ـ توحيدها على ما يتم الاتفاق عليه.

وبطبيعة الحال لا يمكن أن يأتى الأفراد من تلقاء أنفسهم ويجلسوا معا ثم يبحثون

ويتفقون، بل لابد من مبادرة، والمبادرة لابد أن تأتى من مؤسسة من المؤسسات أو هيئة من الهيئات:

١ . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، هل تستعيد دورها فى توحيد جهود العلماء والمثقفين بما يخدم الثقافة العربية الحقة. مع العلم بأن المنظمة قد اتجهت جهودها فى الفترة الأخيرة وجهة غير سليمة حيث أن المنظمة يجب أن تدعم الجهود الأصيلة لخدمة الفكر والثقافة العربية.

وإذا كانت الترجمة تصلح فى مرحلة من المراحل، على اعتبار أنها هى الحل الممكن فى ظرف من الظروف فقد آن لنا أن ننضج وأن نشب عن الطوق وأن تكون لنا شخصيتنا وهويتنا خصوصا أن هذه الأدوات والتقنينات سوف ينظم بها الإنتاج الفكرى العربى قديمه وحديثه، ومن ثم سوف يكون لها دور فى تنظيم الفكر العربى الإسلامى. وبديهى أن هذا لايصلح له نظم مستوردة تطبق على فكر غربى أوشرقى[٢٥]. بل يجب أن تنبع هذه الأنظمة من الفكر الأصيل للأمة ومن حاجات المكتبة العربية ولست أشك فى أن هذا هو الدور الحقيقى للمنظمة وكذلك للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم.

وهناك بوادر مشجعة، فقد بدأت المنظمة العربية تدخل ميدان المشروعات الكبيرة التى تمثل الثقافة الإسلامية والعربية الحقة. فقد بدأت التخطيط لإعداد موسوعة للتراجم العربية.

إذن، فبدلا من أن تتجه الجهود إلى تعريب ديوى، أو تعريب قواعد الفهرسة، ونقف عند هذا نرجو أن توحد الجهود لخدمة الفكر الحقيقى للأمة، وأن ينظر العلماء إلى مصلحة المكتبات العربية بأمانة وإخلاص، وتجرد من العوامل والنزعات البشرية الشخصية. فهذه النوازع قد تحقق لفرد أو أكثر بعض المكاسب فى المدى القريب ولكنها تضر ضرراً بليغاً بالجماعة وبالمصلحة العامة. ولن ترحمنا الأجيال التالية إذا قصرنا فى هذا وأدخلنا هذه النوازع التى تنتمى إلى الضعف البشرى فى أعمالنا العلمية:

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾.

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ﴾.

صدق الله العظيم

« إن الله سائل كل امرئ عما استرعاه أحفظه أم ضيعه » صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والله سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم.

٢. هناك مؤسسات أخرى كثيرة: المكتبات الوطنية، الجامعات، المؤسسات العلمية البحثية. والوطن العربى بحول الله غنى بهذه المؤسسات.

٣. هناك دور لجمعيات المكتبات سواء الوطنية، أو اتحاد المكتبيين العرب، فيجب أن يتعدى دور هذه الجمعيات الأعمال البسيطة والإعلامية إلى المشروعات العلمية الكبيرة. وهذه إحدى أهم مسئولياتها.

إن دور هذه المؤسسات دور ريادى يتمثل فى قيادة المهنة، ومن الضرورى أن تنهض بهذا الدور حتى تكون أدت رسالتها.

ولتكن البداية بالدعوة إلى عقد المؤتمر الثالث للإعداد البيليوجرافى للكتاب العربى لمراجعة ما تم، وتقويم الوضع الراهن، وبحث حاجات المكتبات العربية فى المستقبل فى هذه الموضوعات وغيرها؛ مثل:

قضية المصطلحات، تطبيقات الحاسب فى المكتبات العربية، تعليم المكتبات فى الدول العربية. وغير ذلك من القضايا.

وأنا هنا أدعو إلى الاهتمام بإعطاء الوقت والأهمية المناسبة لتدريس العمليات الفنية، والركائز والأدوات اللازمة للعمل فى المكتبات، والتطبيقات العربية، تدريس هذه العمليات وبحثها على المستوى الأكاديمى، حتى ينشأ جيل قادر على متابعة

هذه الأعمال، جيل قادر على العمل الصعب، جيل قادر على الجهاد العلمى، وليس مجرد الحصول على درجات علمية.

وقد عالج الفصل الخامس موضوع تدريس التصنيف فى أقسام المكتبات العربية، ولعل معالجة هذه القضية تكون نموذجا لتدريس أحد موضوعات الركائز والعمليات الفنية وتكون مفيدة فى توضيح صورة ما يجب أن يدرسه الطلاب. ولعل الزملاء سواء أساتذة التصنيف أو غيره من العمليات أن يدرسوا هذه القضية على هذا النحو المفصل.

المراجع والهوامش

(١) ربما كانت أول مكتبة عربية حديثة كبيرة أنشئت فى الوطن العربى فى العصر الحديث هى مكتبة جامعة الجزائر، التى أنشأها المستعمرون الفرنسيون مع إنشاء جامعة الجزائر بعد احتلالهم للجزائر فى عام ١٨٣٠. وقد زرت هذه المكتبة أثناد جولة لى بعدد من الأقطار العربية فى سنة ١٩٧٦. وقد أحرق المستوطنون الفرنسيون هذه المكتبة قدل أن يخرجوا من الجزائر سنة ١٩٦٢ ضنا منهم على أصحاب البلاد بهذه المكتبة وهى من أكبر المكتبات العربية. وقد أعيد بناؤها بمساعدة اليونسكو وهذه المكتبة سبقت دار الكتب فى مصر التى أنشئت عام ١٨٧٠. ومما يجدر ذكره أن مكتبة الجامعة الجزائرية حينما زرتها ١٩٧٦ كانت ترتب الكتب بالحجم.

أما الدراسة الأكاديمية لعلوم المكتبات فيمكن أن يؤرخ لبدئها بإنشاء أول قسم للمكتبات، وذلك فى كلية الآداب جامعة القاهرة، عام ١٩٥٠. ثم تتابعت الأقسام بعد ذلك: أم درمان ١٩٦٦؛ جامعة الملك عبد العزيز، ١٩٧٣؛ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٧٤؛ ثم أنشئت أقسام أخرى كثيرة، آخرها بجامعة الكويت ١٩٩٧ وهو يقتصر على درجة الماجستير.

(٢) فى سنة ١٩٧٤ أوفدتنى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى عدد من الدول العربية للتفاهم حول مشروعين: الخطة العربية للتصنيف، والببليوجرافيا الموضوعية العربية، وفى عام ١٩٧٦ أوفدتنى فى جولة أخرى شملت دولاً أخرى غير تلك التى زرتها فى الجولة الأولى. وقد أتاح لى ذلك أن ألتقى مع الكثيرين من المسئولين فى المكتبات فى عدد كبير من الدول العربية، وأن أعقد ندوات وألقى محاضرات، وأن أطلع على هذه المكتبات والعاملين فيها.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن مشكلات ومعوقات العمل العلمى، ومن ثم الكتاب العربى، انظر بحثنا: مشكلات الكتاب العربى من التأليف إلى القراءة، وهو العمل الأولى فى كتابنا: دراسات فى علوم المكتبات والتوثيق والببليوجرافيا. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦.

والحقيقة أن التطور فى أى بلد يسير حسب نظرية الأوانى المستطرقة، ومن المستبعد أن يحدث بروز أو نتوء فى أحد المجالات، بل تتساوى المجالات كافة فى درجة النضج والتطور.

(٤) محمد فتحى عبد الهادى. المدخل إلى علم الفهرسة. ـ ط٣. ـ القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧. ص ٦٦. والنص مأخوذ عن: محمد المهدى حنفى. اختيار مداخل الكتب فى الفهرسة الوصفية. ـ القاهرة: كلية الآداب، ١٩٦١. رسالة الماجستير، ص ٤١.

ويلاحظ أن أن دار الكتب قد أنشئت قبل القواعد المشار إليها بسبعين سنة تقريبا. ومن المؤكد أنها كانت تفهرس كتبها قبل هذه القواعد بطريقة ما ولكننا لم نعرف عنها شيئا.

(٥) محمد فتحى عبد الهادى، مصدر سابق، ص ٦٧. وهو ينسب إلى محمد رضا: مذكرة فى فن المكتبات. ويلاحظ أيضا أن مكتبة جامعة القاهرة قد أنشئت سنة ١٩٢٧.

(٦) أشرت إلى رسالة الأستاذ محمد المهدى فى الفقرة (٤).

(٧) محمود الشنيطى. قواعد الفهرسة الوصفية للمكتبات العربية/ إعداد محمود الشنيطى، محمد المهدى. ـ ط٢ . ـ القاهرة مجلة المكتبات العربية، ١٩٦٤. ـ ٧٩ ص.

(٨) محمد فتحى عبد الهادى، مصدر سابق، ص ٦٨.

(٩) سعد الهجرسى، التقنينات العربية للوصف الببليوجرافى. ـ ط ٢. ـ القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٦. ـ ٣ مج.

(١٠) محمد فتحى عبد الهادى، مصدر سابق، ص ٧١.

(١١) جورمان، ميشيل. موجز قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية فى طبعتها الثانية المراجعة/ إعداد ميشيل جورمان؛ تعريب محمد فتحى عبد الهادى، نبيلة خليفة جمعة. ـ ط ١. ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٢.

(١٢) قواعد الفهرسة الأنجلو ـ أمريكية، الطبعة الثانية مراجعة ١٩٨٨ مع تعديلات ١٩٩٣/ تحرير ميشيل جورمان، بول و. وينكلر؛ تعريب محمد فتحى عبد الهادى، نبيلة خليفة جمعة، يسرية عبد الحليم زايد. ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦. ـ ٢ مج.

(١٣) محمود الشنيطى. مداخل المؤلفين العرب: القائمة الأولى إلى عام ١٢١٥هـ ـ ١٨٠٠م/ إعداد محمود الشنيطى، عبد المنعم السيد فهمى. ـ القاهرة الجمعية المصرية للوثائق والمكتبات، ١٩٦١.

(١٤) ناصر محمد السويدان. مداخل المؤلفين والأعلام العرب/ إعداد ناصر محمد السويدان، محسن السيد العرينى. ـ الرياض: جامعة الرياض، عمادة شئون المكتبات، ١٩٨٠.

(١٥) فكرى زكى الجزار. مداخل المؤلفين والأعلام العرب حتى عام ١٢١٥هـ = ١٨٠٠م. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩١ ـ ١٩٩٤. ـ ٤ مج.

١٦) محمد فتحى عبد الهادى. اتجاهات حديثة فى الفهرسة/ تأليف محمد فتحى عبد الهادى، نبيلة خليفة جمعة، يسرية زايد. ـ القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٧. ـ ص ٤٥ ـ ٥٠.

١٧) محمد فتحى عبد الهادى. المدخل إلى علم الفهرسة، مصدر سابق، ص ٥٩ ـ ٦٢.

(١٨) محمد فتحى عبد الهادى. اتجاهات حديثة فى الفهرسة، مصدر سابق، ص ٤١ ـ ٤٤.

(١٩) المصدر السابق، ص٤٤.

(٢٠) المصدر السابق، ص ٥١.

(٢١) حسنى عبد الرحمن الشيمى. اتجاهات حديثة فى الفهرسة: عرض وتحليل. دراسات عربية فى المكتبات وعلم المعلومات، س٣، ع١، ١٩٩٨. ص ١٨١ ـ ١٨٣.

(٢٢) انظر فى هذا على سبيل المثال: عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف الببليوجرافى لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف. ـ القاهرة: كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٦٧. رسالة الماجستير.

(٢٣) التعديلات العربية للتصنيف العشرى لديوى تكاد لا تقع تحت حصر،وقد بدأت منذ أكثر من خمسين سنة، وفى كل يوم نفاجأ بتعديل جديد، بل إن ديوى يُعَدَّلُ فى كل مكتبة عربية، ولاتكاد تتفق مكتبتان على جميع أرقام تصنيف ديوى، بل لابد أن يكون هناك خلاف فى أرقام التصنيف. بل إن هذا يمكن أن يحدث فى تصنيف الموضوع الواحد فى المكتبة الواحدة، حيث تتعدد الممارسات ويتغير الأشخاص ولا يوجد فى أقسام الفهارس ملفات للقرارات ولا أدلة للمارسات، ولا قواعد لإعداد الفهرس المصنف، رغم أن الكتاب الوحيد عن الفهرس المصنف مترجم إلى العربية، ولكن هل استفادت المكتبات منه. أشك فى ذلك. وأنا أسوق حديثى هذا على أنه افتراض أو فرض علمى وأرجو من الباحثين والمشرفين عليهم أن يوجهوا طلابهم لدراسة هذه القضايا والموضوعات وأن يعطوها حقها، بدلا من الاتجاه إلى موضوعات أقل أهمية والتركيز، بل والتكالب، عليها. ولقد تصفحت دليل الرسائل الجامعية التى نوقشت فى قسم المكتبات بجامعة القاهرة، منذ إنشائه حتى سنة ١٩٩٦، ثم الرسائل المسجلة فى أقسام المكتبات العربية، فلم أجد إلا خمس رسائل فى التصنيف، ثلاثة منها فى موضوعات هامشية. وأنا أتساءل: أما آن الأوان لكى نتجه إلى القضايا الحقيقية فى مكتباتنا العربية فنركز عليها؟

(٢٤) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. دراسة مقارنة لبعض خطط... مصدر

سابق. الفصل الأول وهو عن التصنيف العشرى. وسوف تدرس هذه القضية فى الكتاب الثانى من هذه السلسلة، فى الفصل الثانى، وهو عن: خصائص التصنيف وحدوده، والعوامل التى تؤثر فى فاعليته.

(٢٥) يرتبط التصنيف بفكر الأمة، والأنظمة التى وضعت لثقافات أجنبية لا تصلح لثقافتنا العربية الإسلامية. ويجد القارئ تفصيل ذلك فى كتابنا: الخطة العربية للتصنيف: الإطار العام ونظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦.

الفصل الرابع

قضية المصطلحات بين الترجمة والتعريب والتأصيل والتوحيد

إن قضية المصطلحات هى هم رئيسى من هموم المشتغلين بالعلم، والتعليم، وخاصة التعليم الجامعى، والترجمة، ومجامع اللغة العربية. وهى قضية مثارة منذ زمن طويل ولها أبعاد متعددة تتعلق بالتخصص وإجادة اللغات المختلفة المترجم منها، فضلا عن إتقان اللغة العربية. كما أنها مرتبطة بقضية تعريب التعليم، وخاصة فى مجالات العلوم البحتة والتطبيقية، خاصة وأن الإنتاج الفكرى الأجنبى يحمل إلينا كل يوم سيلا دافقا من المصطلحات. لا يمكن إذن أن نعرب التعليم وأن نعرب العلوم إلا إذا استطعنا أن نعرب المصطلحات. ولصعوبة قضية المصطلحات وتشابكها، يجد بعض العلماء والباحثين أن الكتابة باللغات الأجنبية أسهل وأفضل، ولذلك يلجأون إلى نشر بحوثهم فى الدوريات الأجنبية لأسباب من بينها ولاشك تفادى مشكلة المصطلحات.

إن مشكلة المصطلحات مشكلة بالغة التعقيد، شديدة الخطورة، شديدة التأثير، فلا يمكن أن نطمح إلى وجود علوم عربية حقيقية دون أن تكون لنا قاعدة قوية من المصطلحات العلمية فى كل مجال من المجالات، إذ أن من مقومات أى علم من العلوم، أن تكون له لغة اصطلاحية يتداولها أهله بشكل موحد وواضح، بحيث يعنى المصطلح نفس المفهوم لدى أهل هذا العلم أو الفن، وهو دليل على نضج العلوم ووصولها إلى مرتبة الدراسات المستقرة.

وعلى المستوى العلمى العام أيضا لايمكن أن نؤسس أدواتنا العلمية والثقافية العامة المهمة قبل ترجمة وتقنين المصطلحات. ومثالنا على هذا دائرة المعارف العربية، فهى تعتمد فى جانب كبير منها على ترجمة المواد العلمية، وهذه المواد تشتمل على قدر كبير من المصطلحات. ولا يمكن أن نضع فى دائرة معارف، وهى أداة من أدوات

الوحدة الفكرية والثقافية ـ لايمكن أن نضع فيها مصطلحات غير مستقرة، أو بمعنى آخر: المصطلحات عندنا لا تسمح بأن توضع فى مراجع مهمة مثل دائرة المعارف.

الحضارة عصور والتاريخ دورات

إن مشكلة المصطلحات مشكلة قديمة قدم الحضارات. وإن أول عصور الحضارة هو العصر القديم. وقد انتقلت حضارة المصريين والفينيقيين إلى اليونان، وكانت سببا من أسباب ظهور الحضارة الإغريقية القديمة، إذ ليس من المعقول أن تنشأ تلك الحضارة من فراغ، فالحضارة سلسلة متصلة الحلقات.

وقد غزا الاسكندر الأكبر المقدونى بلاد المشرق بدءاً بمصر ثم انتقل إلى بلاد الشام والعراق وأسقط الدولة الساسانية فى فارس ووصل إلى حدود الصين شرقا. وقد عمل الاسكندر الذى كان تلميذاً لأرسطو على نشر ثقافة الإغريق فى البلاد التى دخلها. وقد عرفت ثقافة الإغريق بالثقافة الهيلينية، وعرفت خارج بلادها بالثقافة الهيلينستية. ولما مات الاسكندر قسم قواده البلاد التى دخلها بينهم واستقروا فى تلك البلاد هم وجنودهم ولم يعودوا إلى بلادهم الأصلية. وتأسست بالتالى مراكز للثقافة الهيلينستية فى مصر وأنطاكية والرها وجند يسابور. وكانت الاسكندرية ومكتبتها المركز الأكبر لثقافة اليونان خارج بلادهم، حتى لقد حضر إليها كثير من العلماء اليونانيين واستقروا فيها فضلا عن الأجيال التى نشأت على أرض مصر أيضا تحت حكم البطالمة.

وقد واجه المسلمون مشكلة المصطلحات إبان نهضتهم العلمية والحضارية الكبرى. ومما يجدر ذكره وقبل أن نتناول هذه المسألة أن نشير إلى أن العلوم العربية والإسلامية قد نشأت قبل حركة الترجمة بما يزيد على قرن، ومن ثم فإننا نؤكد أن الحركة العلمية عندهم حركة أصيلة كان مدارها الدراسات والعلوم العربية والإسلامية من تفسير وحديث وأصول فقه وفقه، وغيرها، وعلوم لغوية، وتاريخية، إلخ.

وقد فتح المسلمون الأقطار المختلفة، ومنها مصر والشام، وهى التى كانت مراكز

لعلوم وثقافة اليونان. وكان السوريان النساطرة قد نقلوا كثيرا من كتب اليونانيين إلى السريانية، وكانوا يتقنون اللغة العربية.

وقد اهتم المسلمون بالترجمة فى خضم اهتمامهم العلمى العام، وبدأت الترجمة على يد السريان الذين كان منهم مترجمون مهرة من أمثال ثابت بن قرة وحنين بن اسحق. وسرعان ما أتقن المسلمون الترجمة، بل لقد أتقنوا العلوم الأجنبية فى فترة قصيرة من الزمان بحيث لم يحتاجوا إلى الاستمرار فى الترجمة. وقد وصلت العلوم المختلفة عند المسلمين، كالطب والرياضيات، والكيمياء والفيزياء وغيرها، وصلت إلى مدى بعيد من التقدم وأضافوا اسهامات قيمة إلى هذه العلوم، بحيث كان لهم دورهم الكبير فى الحضارة الإنسانية. وليس بوسعنا هنا أن نعدد هذه الإسهامات، فليس هدفنا هو الكتابة فى تاريخ العلوم عند المسلمين، ولكن الهدف هو فقط التعرض لقضية المصطلحات وارتباطها بترجمة العلوم.

وتنبه المسلمون إلى قضية المصطلحات، وأدركوا أن اللفظ قد يكون له معنيان:

معنى لغوى

ومعنى اصطلاحى

والمعنى الاصطلاحى هو المعنى الذى يصطلح عليه ـ أى يتفق عليه أهل الفن.

وكان الخوارزمى الكاتب، محمد بن أحمد بن يوسف، أول من وضع كتابا فى مفاتيح العلوم وأوائل الصناعات فى أواسط القرن الرابع الهجرى.

كان الخوارزمى كاتبا فى ديوان الإنشاء، وهو ديوان كانت مهمته كتابة الرسائل الديوانية؛ أى الرسائل التى تصدر عن الحاكم إلى عماله وقواده، إلخ. وهذه تشبه فى أيامنا الرسائل التى تخرج عن وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء إلى الوزراء كل فى مجال اختصاصه. ومن الملاحظ أن هذه الرسائل كانت متنوعة تطرق مجالات متعددة من مجالات النشاط، وتتعامل مع الألفاظ الاصطلاحية فى مجالات كثيرة.

لاحظ الخوارزمى أن اللفظ الواحد تتعدد مدلولاته ومفاهيمه بتعدد السياقات التى يرد فيها، وأن الأديب أو الكاتب قد لايدرك هذه المفاهيم والدلالات الاصطلاحية

فوضع كتابه لكى يساعد هذا الكاتب أو هذا الأديب على تفهم هذه الدلالات. وقد قسم الألفاظ على مقاليتن: إحداهما لعلوم العرب والأخرى لعلوم العجم. ومن ثم نلمح عند الخوارزمى أول وأصدق محاولة للتصنيف الإسلامى للعلوم. ولسنا نريد أن نخوض فى ذلك الآن فهذا ليس مكانه(١).

المهم أننا سوف نجد أن الشعبة الثانية وهى علوم العجم أو ما كان يسمى العلوم الفلسفية العقلية تشمل كل العلوم التى دخلت إلى الحضارة الإسلامية عن طريق الترجمة أو لا تم نضجت عندهم على النحو الذى أشرت إليه آنفا.

وليس كتاب الخوارزمى إلا ملخصا أمنيا لما كان يتداوله العلماء من مصطلحات، بل ومن المؤكد أنه كانت هناك مصطلحات أخرى كثيرة لم يذكرها الخوارزمى فالكتاب صغير الحجم. وهذه العلوم تشمل أقسام الفلسفة وعلومها، حيث كانت الفلسفة هى علم العلوم: الفلسفة، والرياضيات، والفلك، والكيمياء، والطب وغيرها من العلوم التى تشترك فيها الأمة مع غيرها من الأمم. وقد رجعت إلى كتاب مفاتيح العلوم كثيرا حينما كنت أترجم كتاب الفهرس المصنف الذى ألفه كل من شيرا وإيجان، حيث أن الفصل الثانى من هذا الكتاب وهو عن الأسس الفلسفة للتصنيف يضم مصطلحات فلسفية ومنطقية كثيرة استعارها التصنيف من قواعد التقسيم المنطقى.

وقد لاحظت أن المناطقة العرب يترجمون كلمة Categories وهى كلمة انجليزية بطبيعة الحال ـ أى مقابلها اليونانية ـ يترجمونها إلى: مقولات، وذلك عندما تناولوا مقولات أرسطو. كما أنهم يعربونها حرفيا إلى: قاطيغور تاس، هكذا وبدون حساسية: قاطيغورياس، بارى أرمنيياس. كما أنهم عربوا كلمة فيلوسوفيا إلى فلسفة، وجيولوجيا، وفسيولوجيا وغيرها من المصطلحات العلمية قديما وحديثا. وهذا يشير إلى منهجين فى الترجمة والتعريب قديما وحديثا:

- إيجاد المقابل العربى المناسب وهذا أفضل بطبيعة الحال؛ أو النقل الصوتى للفظ إلى الحروف العربية. وأحيانا استخدم الأسلوبان معا كما يحدث فى وقتنا الراهن(٢).

المهم هو أننا نريد أن نؤكد هنا على أمرين:

١ ـ أهمية الترجمة والحاجة إليها، وهذه تجربة مرت بها الحضارة الإسلامية وخاضتها بنجاح وصولا إلى تعريب العلوم، ثم جعلها علوما عربية كاملة-من حيث البنية والنسيج.

٢ ـ أن اللغة العربية قد استوعبت العلوم المختلفة فى الماضى ولم يكن عند المسلمين أية مشكلة فى هذا الخصوص ولم يسمع أنهم صادفوا أية صعوبات.

وفى الوقت الذى كانت فيه الحضارة الإسلامية فى أوج مجدها كانت أوربا تغط فى ظلام الجهل. ولكن الحضارة عصور والتاريخ دورات:

ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

وهذه سنة من سنن علم الاجتماع وهى سنة مرت بها كل الحضارات ولابد أن الحضارة الحديثة التى نعيشها الآن سوف تمر بها، مهما ظن أهلها أنهم قادرون عليها فلابد أن يأيتها أمر الله(٣).

﴿ **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا** ﴾. صدق الله العظيم.

الأوربيون والحضارة الإسلامية

إن الحضارة الغربية الحديثة هى امتداد للحضارة الإسلامية، وليست امتدادا للحضارة اليونانية. فقد احتك الأوربيون بالمسلمين فى ثلاث نقاط احتكاك أو التقاء:

فى الأندلس، حيث بقى المسلمون ثمانية قرون؛ وفى الشام حيث قدم الصليبيون من أوربا إلى الشام ودامت الحروب الصليبية قرنين من الزمان؛ وفى صقلية التى فتحها المسلمون وكان ثمة احتكاك بين الأوربيين والمسلمين فى سالرنو بجنوب إيطاليا.

وإن قضية تأثر الأوربيين بالحضارة الإسلامية هى بحث طويل جدا، وفى خلاصة مركزة نقول إن الأوربين قد أخذوا علوم المسلمين وترجموها إلى اللغة اللاتينية ـ لغة

العلم آنداك فى أوربا وكانت هذه العلوم والكتب المؤلفة فيها أساس التعليم فى الجامعات الأوربية فى بداية عصر النهضة، ومن ثم أصبحت الأساس الذى بنوا عليه تقدمهم.

هذا الأمر يعترف به المنصفون من مؤرخى الحضارة والعلوم فى الغرب وقليل ما هم، وينكره الأكثرون ضنا على المسلمين أن يعترفوا لهم بحضارة أو يقروا لهم باسهام. وعلى كل حال فإن تأثير الحضارة الإسلامية فى الحضارة الأوربية هو من القضايا الصعبة التى تحتاج إلى جهد خاص منا نحن، فلا يجوز أن ننتظر الانصاف منهم، بل يجب أن ننصف نحن أنفسنا قبل أن ينصفنا الآخرون. ويحتاج إثبات هذا التأثير إلى دراسة وتتبع التأثيرات المختلفة للعلوم والأنظمة الإسلامية فى معاهد العلم فى الغرب وفى طرق التدريس، وفى كتابات الكتاب وفى الاختراعات، إلخ. وهذا أمر فى الغاية من الصعوبة والأهمية فى آن واحد، حتى نعرف بيقين وبالشواهد الملموسة القدر الذى أسهمنا به فى الحضارة الأوربية الحديثة. وإن قياس التأثيرات الفكرية والحضارة ليس من الأمور السهلة لأن التأثير الكيفى ليس شيئا يسهل قياسه، حيث أنه ليس محسوسا أو ملموسا، وخاصة فى قضيتنا هذه حيث نقلت المؤلفات إلى اللغة اللاتينية وليس إلى اللغات الأوربية الحديثة. وإن إثبات هذا الدور للحضارة الإسلامية فى تقدم الحضارة الغربية يحتاج إلى دراسة الكتب. والترجمات اللاتينية للكتب العربية فى فترة ليس قصيرة، وهذه مهمة شاقة(٤).

الترجمة والتعريب والتأصيل

والخلاصة أن الحضارة الأوربية الحديثة استفادت من الحضارة الإسلامية وبنت عليها تقدمها. فى ذات الوقت بدأ المسلمون مرحلة تخلف حضارى. وفى العصر الحديث بدأ احتكاك المسلمين بالأوربين فى نقاط التقاء كثيرة من الهند شرقا وحتى المغرب الأقصى. أفاق المسلمون من سباتهم فوجدوا أنفسهم متخلفين بعد أن كانوا سادة العالم علما وحضارة. حاول المسلمون أن يلحقوا بركب الحضارة عن طريق

دراسة العلوم الحديثة فوفدوا إليها عن طريق البعثات الدراسية، أو وفدت إليهم عن طريق المؤلفات من كتب ومقالات، إلخ.

هذه الفجوة الحضارية التى تقدر بأربعة قرون والتى تفصلنا عن الحضارة الغربية أنتجت كما هائلا من العلوم، ومعها كم هائل من المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة. ومن هنا تفاقمت مشكلة الترجمة والتعريب والمصطلحات، لأن مراكز الحضارة فى الغرب تقذف كل يوم بعدد هائل من وحدات الإنتاج الفكرى ومعها أعداد هائلة من المصطلحات، ولايمكن مقارنة أعداد العلماء فى الغرب، الذى ينتجون المعلومات والمصطلحات بأعداد القادرين على الترجمة والتعريب عندنا. ولذلك فإن مشكلة الترجمة، وتعريب المصطلحات تمثل عائقا أمام التقدم العلمى عندنا، وتتسع وتزيد يوما بعد يوم الفجوة الحضارية التى ألمحت إليها آنفا.

هذا مع أهمية الترجمة فى المرحلة الحضارية التى نمر بها فى عالمنا العربى والإسلامى، فلا يمكن أن تكون لنا علومنا العربية دون أن ننقل إلى لغتنا أهم المعلومات التى أنتجت فى الخارج فى محاولة منا لأن نبدأ من حيث انتهى الآخرون. وهذه مسألة أساسية فى سنة الحضارة وسنة التطور. ولكى نصل إلى مرحلة التأصيل، لابد أن نمر بمرحلة الترجمة والتعريب والتقليد. ولاشك أن جل اعتمادنا فى الوقت الراهن هو على حقائق نضجيت واستقرت فى الخارج ولكى نصل إلى التأصيل لابد من الترجمة سواء أردنا أم لم نرد. والبعض منا قد يستنكف من أن يسمى الأشياء بمسمياتها، ويرى أن كرامته العلمية لاتسمح له بأن يكتب على كتاب: ترجمة فلان، ويسميها تأليفا، فى حين أن الأمانة العلمية والكرامة الإنسانية تحتم على الإنسان أن يذكر الحقيقة وأن يسمى الأشياء وبمسمياتها وأن يكتب على العمل أنه ترجمة حينما يكون ترجمة فعلا، وألا يكتب على عمل أنه تأليفه إلا إذا كان فعلا من تأليفه. هذا استطراد مهم دعت إليه الضرورة وأدى إليه السياق.

التأصيل الحقيقى هو أن ننتج نحن أفكارنا وحقائقنا ونظرياتنا وأبحاثنا الخاصة بنا ثم نسجلها فى منشورات. وهذا هو ما يحدث فى الأبحاث والرسائل والدراسات التى

لها طابع البحث، وخاصة البحوث الأكاديمية. ومعنى هذا أن مرحلة الترجمة مستمرة حتى مع دخولنا مرحلة التأصيل ببعض الدراسات والأبحاث. وحتى إذا وصلنا إلى مرحلة التقدم، فسوف تستمر حاجتنا إلى الترجمة حتى نتحاذى مع الغرب المتقدم تقدما ماديا مذهلا، والذى يتقدم بسرعة هائلة، وهذا يوم ليس قريبا على الأرجح، ولكن ليس شئ على الله بعزيز، وما دامت هناك حياة فهناك أمل.

وأرجو ألا ييئس المترجمون، فالترجمة عمل علمى راق، وهى تنطوى على جهد علمى ومعاناه لا يعرفهما إلا من كابدها.

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

وإن كنا فى مقام معاناة وجهد وسهر لا من أجل الشوق والصبابة ولكن من أجل تقدم الأمة ورقيها، والناس فيما يعشقون مذاهب.

نقول: إن الترجمة عمل علمى راق وحقيقى ولا يقلل من كرامة العالم أنه يترجم مادام يتخذ منها وسيلة لغاية: أن نصل إلى التأصيل الحقيقى، وألا نتوقف عند الترجمة بل يجب أن نتعداها إلى البحث والتنقيب.

وإذا كنا نريد حقا اللحاق تركب التقدم العالمى فلابد أن نعطى قضية الترجمة ماتستحقه من اهتمام، وعلى سبيل المثال لابد من وضع خطة مجكمة فى الترجمة، كل فى مجال اختصاصه حتى تستطيع أن نواجه هذا السيل المتدفق من الانتاج الفكرى ومن المصطلحات.

كذلك لابد من توجه الاهتمام نحو اعداد المترجمين، فلا يترك الأمر للأفراد يعدون أنفسهم بأنفسهم فإن أحسنوا كان بها وإن لم يوفقوا تعرضت قضية الترجمة للاهتزاز والضعف، وهذا يتطلب على سبيل المثال:

١ ـ إنشاء معاهد لتعليم الترجمة.

٢ ـ الاهتمام بتعليم اللغة العربية واللغات الأجنبية لأن أفضل الترجمات ما جاءت عن اتقان اللغتين.

٣ ـ اهتمام المتخصصين فى كل مجال بوضع قاموسى علمى للمصطلحات فى هذا المجال، وهذا يمكن أن يساعد المترجمين حتى لايعيد المترجم الجهد فى كل مرة، فيكون هذا المعجم مرجعا يرجع إليه المترجم لأن القواميس اللغوية القديمة تفتقر إلى المصطلحات الحديثة.

٤ ـ اهتمام العلماء والمترجمين المتمرسين بنشر تجاربهم فى مجال الترجمة حتى تكون نبراسا للاجيال الجديدة، وتوفر عليهم كثيرا من العناء.

٥ ـ الاهتمام بإضافة المعانى اللغوية الحديثة إلى المعاجم اللغوية؛ بمعنى آخر: مراجعة شاملة لوضع قاموس شامل للغة العربية تدخل فيه المعانى والتراكيب الجديدة حتى يكون ذلك القاموس مسايرا للحضارة.

٦ ـ تشجيع المترجمين ورفع قدرهم والاعتراف بعملهم وتقديرهم ماديا وأدبيا حتى يقبلوا على الترجمة، وخاصة إذا كانت الترجمة تنطوى على تعريب الكثير من المصطلحات، ففى هذه الحالة يعد الجهد جهدا علميا مهما، ويعد فى كثير من جوانبه عملا أصيلا.

تنظيم المعرفة وقضية الترجمة والمصطلحات

إن الإنتاج الفكرى فى مجال تنظيم المعرفة يرتبط ارتباطا وثيقا بقضية الترجمة والمصطلحات من زاوية عامة، وزاوية خاصة. وتتمثل الأولى فيما يأتى:

١ ـ أن كتب الموضوع سواء كانت شاملة لكل فروعه: الفهرسة والتصنيف ورؤوس الموضوعات والتكشيف، أو كانت تعالج فرعا واحدا من هذه الفروع، سواء كان هذا أم ذاك فإنها تشتمل على عدد كبير من المصطلحات فى كل العلوم. ذلك أن تلك الكتب تتناول تقنينات تنظيم المعرفة: نظم التصنيف، وقوائم رؤوس الموضوعات، ونظم التكشيف، والمكانز وغيرها. وهذه جميعا تشتمل على مصطلحات المعرفة فالأمثلة التى تسجلها تلك الكتب تستمد من العلوم المختلفة من الموسيقى والأدب والرياضة والترفيه، إلى الدين واللغة والتاريخ والجغرافيا، إلى الكيمياء والفيزياء والطب والهندسة والجيولوجيا، وهكذا.

وذلك يُصَعِّبُ من مهمة المترجم حيث يجب عليه أن يترجم كثيرا من الأمثلة إلى اللغة العربية توفيرا لجهد القارئ العربى سواء كان طالبا أم كان ممارسا.

فإذا كانت تلك العلوم نفسها لم تحل مشكلة المصطلحات عندها فذلك يصعب من مهمة المترجم للنصوص فى مجال تنظيم المعرفة، سواء بترجمة مصطلحات جديدة، أو بالاختيار بين الاجتهادات المختلفة فى حالة تعددها. وهذه فى الحقيقة عبء إضافى يوضع على كاهل المترجمين لهذه النصوص، لأن هذه ليست فى الحقيقة مهمتهم، وإنما هى مهمة أصحاب التخصصات الأصلية.

٢ ـ هناك جانب آخر للمشكلة يتمثل فى إعداد التقنينات، وهو وضع أصعب من الأول، لأن الوضع الأول ـ ترجمة الكتب ـ يمكن للمترجم فيه أن يذكر المصطلحين: العربى والإنجليزى ـ مثلا. ولكن حينما أعد نظاما للتصنيف، أو قائمة لرؤوس الموضوعات أو نظاما للتكشيف، فيجب علّى أن أحسم قضية المصطلحات العلمية فى كل مجال من المجالات. ولست أقصد بالحسم أن أَحُلَّ المشكلة حلا كاملا ودائما فهذه مهمة المتخصصين فى كل العلوم. ولكنى أقصد بذلك أن أحدد اللفظ المستعمل (المفضل) والألفاظ الأخرى غير المستعملة، حتى يتسنى لى أن اختار كلمة المدخل، وأن أعد الإحالات من غير المستعمل إلى المستعمل. قد تكون حدة المشكلة فى جداول التصنيف أخف لأن المدخل برقم التصنيف، ولكن نظام التصنيف يكمله كشاف هجائى، ومن ثم تكون بنفس حدتها فى الطرق الألفبائية من رؤوس موضوعات وتكشيف. فإذا كانت مشكلة المصطلحات مشكلة صعبة وحقيقية فى الأنظمة الهجائية فى لغتها الأصلية ـ الإنجليزية ـ فإن مشكلة تعريب المصطلحات وتعدد الاجتهادات، وعدم اتقان المتخصصين يزيد من تفاقم مشكلة المصطلحات بل يعقدها.

ولهذا أثره على الباحث فيما بعد، حينما تستخدم هذه الأنظمة فى المكتبات العربية، وحينما تصاغ استراتيجيات البحوث، حيث تكون الفجوة أحيانا واسعة بين لغة المستفيد ولغة النظام.

٣ ـ هناك المصطلحات العلمية فى التخصص نفسه: تنظيم المعرفة بفروعه المشار إليها وهى كثيرة جدا وتتكاثر يوما بعد يوم نظرا لدخول مفاهيم جديدة، وفضلا عن مصطلحات التصنيف والتكشيف فى الماضى بما فى ذلك المدارس المختلفة، هناك مصطلحات تدخل إلى المجال باستمرار.

٤ ـ هناك مصطلحات الحاسب الالكترونى. فالحاسب الآن أساسى فى الاسترجاع الموضوعى. ولذلك فإن مصطلحاته، وخاصة تلك التى تتصل بفهارس البحث المباشر، أصبحت جزءا من مجالنا وهى مرتبطة ارتباطا وثيقا بالكتب التى تتناول هذا الموضوع.

وقد عشت هذه التجارب سنين طويلة، سواء فى ترجمة مصطلحات العلوم التى ترد فى النصوص وأمثلتها من العلوم المختلفة، أو المصطلحات العلمية التى تحتاج إلى ترجمتها حين إعداد نظام تصنيف لمجال من المجالات، أو المصطلحات العلمية فى التصنيف ورؤوس الموضوعات والتكشيف والببليوجرافيا وفهارس البحث المباشر، والمصطلحات العلمية فى مجال الحاسب الالكترونى. لقد عشت هذه التجربة أثناء ترجمتى لستة من الكتب المهمة فى مجالنا، وأثناء إعداد تصنيف للتربية، وهى ليست مجالا من العلوم البحتة والتطبيقية ولكنه ينعكس فيه على أية حال مشكلات ترجمة المصطلحات فى التخصصات المختلفة والحاجة إلى توحيد المصطلحات فى تلك العلوم. وقد عانيت معاناة شديدة فى كل كتاب ترجمته من ترجمة وتعريب المصطلحات. ولذلك فقد تعرضت لهذه المشكلة أكثر من مرة فى مقدمات تلك الأعمال[٥].

اللغة العربية وقضية المصطلحات

من القضايا التى تثار فى سياق مشكلة المصطلحات: اللغة العربية وهل هى لغة علم وحضارة، وهل يمكنها أن تستوعب المصطلحات الحديثة فى العلوم والفنون وقبل أن أتناول هذه القضية أبادر فأقول:

إن اللغة العربية هى أشرف اللغات وأكرمها على الله وعلى المسلمين، كيف لا، وهى لغة القرآن الكريم ـ كلام الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تنزيل من حكيم حميد، وهى لغة أهل الجنة ـ نسأل الله أن نكون منهم، وهى اللغة الرسمية للإسلام، وتعلمها فريضة على كل مسلم ومسلمة، فلا يكتمل إسلام المرء دون أن يتعلم العربية، لأنه بها يصلى ويقرأ القرآن الكريم، وكما يقول الأصوليون: مالايتم الواجب إلا به فهو واجب.

كذلك فإن هذه اللغة الحبيبة إلى كل مسلم كانت اللغة التى كتب بها تراث العرب والمسلمين فى كل العلوم، سواء كانت علوما شرعية، أو علوما عقلية: من فلسفة وطب ورياضيات وفلك وكيمياء وجغرافيا وفيزياء، ولم يجد علماء المسلمين أية مشكلة فى استيعاب مصطلحات العلوم، سواء تلك التى عربوها نقلا عن علوم اليونان وغيرهم، أو تلك التى أصلوها فى خضم بحوثهم العلمية وإسهاماتهم القيمة فى العلوم المختلفة.

لكل هذا وذاك لابد أن تكون واثقين من لغتنا الحبيبة الجميلة وأنها لغة علم وحضارة وأنها أفضل اللغات وأقواها وأغناها. وقد قال عنها حافظ إبراهيم:

أنا البحر فـى أحشائه الدركامن　　　فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتى

...

وَسِعْتُ كتاب الله لفظا وغـايــة　　　وما ضِقْتُ عن آى به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة　　　وتنسيق أسمـــاء لمخترعــات

فالذى يتهم اللغة العربية بالعجز والقصور يرتكب إثما عظيما، واللغة التى اتسعت لكلام الله ومراداته، سوف تتسع دون شك، وبصورة بديهية لمفاهيم البشر. وهذه حقيقة لاشك فيها. إذن ما المشكلة؟

المشكلة فى عجزنا نحن وفى تقصيرنا نحن، وفى ضعفنا نحن، وهو ضعف ناتج عن طبيعة المرحلة الحضارية التى نمر بها، فحنيما مر المسلمون إبَّانَ حضارتهم الزاهية والزاهرة بهذه المشكلة، لم تشك اللغة العربية ولا أهلها ضعفا، لأن اللغة وعاء للفكر، فلما كان الفكر قويا وأصيلا، لم تكن هناك مشكلة مصطلحات ولامشكلة لغوية لأن اللغة تابعة للفكر ومعبرة عنه.

أما الآن فإن فكرنا قاصر وعاجز، وهممنا ضعيفة. ولذلك فإن اللغة تعبر عن هذه المرحلة: مرحلة الترجمة والتقليد التى تمر بها الحضارة العربية فى عصرها الراهن.

كذلك فإن معاجمنا اللغوية ـ كمعاجم وكلغة ـ قد وقفت عند الحد الذى وصل إليه أسلافنا العظام. فقد وقفت اللغة العربية عند الحد الذى اشتملت عليه تلك المعاجم. ونحن فى عصرنا الحاضر لم نبذل الجهد اللازم لتطورها وإثرائها ـ المعاجم ـ بالمفاهيم الجديدة، ولم نبذل الجهد اللازم لتطويع اللغة العربية والبحث فى مفرداتها لكى تستوعب المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة، وعلى كثرة ما يبذل من جهد: المجامع اللغوية والعلماء والأفراد، وغيرهم، إلا أن هناك سيلا غامرا وطوفانا هائلا من المفاهيم والألفاظ والمصطلحات الجديدة تقذف إلينا بها المطابع كل يوم. ونحن نلهث فى محاولة لملاحقة ذلك، وأنى لنا هذا، بالنسبة لظروفنا الحالية، ومانتنزع إليه من التشرذم والفردية، إن هذا يحتاج إلى تنظيم علمى وجهد مشترك جماعى حتى يؤتى الثمرة المطلوبة،[٦] حيث لا يوجد ثمة مجال للمقارنة بين ما ينتجونه فى مراكز الانتاج العلمى والحضارى وبين قدراتنا نحن، لا فى الكم ولا فى الكيف والنوع. هذا هو لب المشكلة.

نحن لم نبذل الجهد المطلوب لاستكمال المعجم الشامل للغة العربية، وقد بدأ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العمل فى هذا المعجم منذ ١٩٥٥، وبشرنا به أساتذتنا فى قسم المكتبات عند دراسة المراجع العربية سنة ١٩٦٠ (كنت بالسنة الثالثة)، وكانوا وقتها قد وصلوا فيه إلى جزء من حرف الهمزة (أ أ ـ أ د) وحتى الآن لم ينته حرف الهمزة، إذ هذا يعنى أن مشروعا كهذا يحتاج إلى عمر نوح. هذا البطء يؤدى إلى عدم كمال المشروعات لأن الحماسة تفتر شيئا فشيئا حتى تتلاشى، ثم نبكى بعد ذلك على اللبن المسكوب.

أين هذا من اللغة الإنجليزية التى قام علماؤها بإعداد قاموس اكسفورد التاريخى: جيش من الباحثين على مدى عشرين سنة، ثم خرج المشروع إلى النور. ثم معجم وبستر وهو من إنتاج فرد واحد ويشتمل على ما يزيد على سبعمائة ألف مفردة. ثم انظر كم أنتج من معاجم المصطلحات فى العلوم. ثم ارجع إلى الوراء وقارن بين اللغة العربية وظروفها، وبين اللغة الإنجليزية وظروفها: فاللغة العربية فضلا عما ذكرته من

شرفها هى اللغة الوحيدة المستمرة فى كل عصورها، منذ بداية العصر الجاهلى حتى الآن. ثم إن اللغة العربية قد جمعت فى وقت مبكر جدا، منذ ما يقرب من ثلاثة عشر قرنا، وهى محفوظة فى القرآن الكريم، والسنة النبوية، والشعر العربى القديم ثم فى العصر الإسلامى وفى المعاجم العربية القديمة، وحتى العصر الحديث. وفى النصوص النثرية التى لاحد لها، وفى كتب العلوم المختلفة.

مصادر اللغة العربية كاملة ومتصلة ومستمرة. أما اللغة الإنجليزية، فإن الإنجليزية الحالية ليست هى الإنجليزية القديمة. والنصوص والشواهد فيها لاتقارن باللغة العربية. الفارق ليس فى اللغة، فاللغة العربية متفوقة تماما فى كل ظروفها، ولكن الفارق فينا نحن وفيهم: لقد حفظوا لغهتم وخدموها وضيعنا نحن لغتنا، فالعيب فينا نحن وليس فى لغتنا:

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

....

فواأسفارسم المدارس دارس   فهل عند رسم دارس من معوّل

فاللغة العربية تنعى حظها بين أبنائها الذين ضيعوها، وسط اهتمامات بعيدة، وثقافة سطحية، ومحصول لغوى يقف عند ما يكتب فى صفحات الجرائد. اللغة العربية تحتاج إلى البحث والتنقيب والنحت والاشتقاق وبعث الألفاظ القديمة إلى الحياة حتى يتسع قاموسنا اللغوى ونستطيع أن ننحت المصطلحات العلمية الحديثة دون عناء.

وليست اللغة العربية هى وحدها التى تعانى من ضعف أبنائها، بل إن المراجع العربية جميعا، والعلوم كلها تشكو وتعانى. نسال الله سبحانه أن يغير حالنا إلى الأفضل وأن يهدينا سواء السبيل، فالله سبحانه لايتعاظمه شئ:

ما بين طرفة عين وانتباهتها   يغير الله من حال إلى حال

مشكلة المصطلحات فى مجالنا

لعله قد اتضح من الدراسة السابقة مدى تعقد قضية المصطلحات، وإن علوم

المكتبات والمعلومات هى جزء من هذه القضية، وفضلا عن مصطلحات علوم المكتبات نفسها، فهى مرتبطة بمصطلحات العلوم المختلفة على النحو الذى أوضحناه.

وقد بدأت الترجمة فى علوم المكتبات والمعلومات فى وقت مبكر، وليس بوسعى بطبيعة الحال أن أتعرض للترجمات الأولى وأن أتتبعها فهذا بعيد عن مقصدنا فى هذا الفصل. هذا فضلا عن أننى لا أريد أن أتعرض للجزئيات وإنما أتعرض للقضايا العامة وقضية المصطلحات واحدة منها.

وينعكس فى قضية المصطلحات فى مجالنا نفس الظروف والمشكلات، بل قل والآفات التى تعترى بقية العلوم، ونجد فيها أيضاً نفس الصورة التى توجد فى جوانب وقضايا أخرى من تخصصنا مثل قضية الركائز: جهود كثيرة لكنها فردية ومبعثرة، تشبث كل طرف بموقفه، عدم وجود عمل جماعى فى هذا الصدد. وهذا كله إن دل على شىء فهو يدل على أننا لم نتفق حتى الآن على لغة اصطلاحية لعلومنا، وهذا عائق من العوائق التى تعوق تقدم العلم واستقراره وتنأى به عن أن يكون علما عربيا لحما و دما ونسيجا. وهذا كله يؤدى إلى الفوضى فى الكتابة وفى التدريس وفى الممارسة.

ولما كان المجال واسعا، والقضية كبيرة، فسوف أكتفى بمثالين ممثلين، يدلان على مدى ما نعانيه من تعدد وفردية. والمثالان هما مصطلحا: الكمبيوتر، ومصطلح CD - ROM.

(أ) مصطلح الكمبيوتر Computer

بعد أن دخل الكمبيوتر إلى عالمنا العربى، تعرض المصطلح للترجمة والتعريب. ولعل أول لفظ استخدم هو الكمبيوتر، ثم استخدم لفظ العقل الالكترونى، ثم ترك هذا اللفظ على اعتبار أن الحاسب آلة وليس عقلا. ثم استخدمت ألفاظ أخرى منها:

الحاسب الآلى؛ ويجمع على: الحاسبات

الحاسب الالكترونى؛ ويجمع على: الحاسبات أيضا

الحاسوب (مجمع اللغة العربية)؛ ويجمع على حواسيب

وهناك أيضا: الحسّاب على وزن فعال على اعتبار أنها مبالغة فى

الحساب؛ مع أن الله سبحانه وتعالى استخدم فى كتابه العزيز:

وكفى بنا حاسبين، وهى اسم فاعل.

والمحساب.

كل هذه ألفاظ مقابلة للفظ واحد هو لفظ الكمبيوتر، وهى تستخدم جميعا. هذا مع العلم أن علماء المكتبات والمعلومات فى بلادنا ليسوا من المتخصصين الأصيلين فى علوم الحاسب، وعلاقتهم به علاقة مستفيدين Users. وما كان أحرانا أن نترك التعريب للمتخصصين ونأخذه عنهم، فإن أصابوا فهو ما يفترض، وإن أخطأوا فهذا شأنهم ولايسعنا أن نكون أفضل منهم فى مجال تخصصهم.

وقد عانيت تجربة ترجمة مصطلحات الحاسب عند ترجمتى لكتاب: Subject analysis in online catalogss ولم تكن مصطلحات الحاسب وحدها هى المصطلحات الوحيدة بالكتاب، ففيه على عادة كتب تنظيم واسترجاع المعلومات، مصطلحات من جميع العلوم، وفيه مصطلحات متخصصة فى التصنيف، ورؤوس الموضوعات والتكشيف، واللغة (علم اللغة) حيث أن فصولا منه تدرس قضية اللغة فى نظم الاسترجاع، وأخيرا وليس آخرا ففيه عدد لابأس به من مصطلحات علوم المحاسب، ومصطلحات الاسترجاع الآلى.

وبالنسبة لكثير من أنواع المصطلحات: العامة فى العلوم المختلفة، والتصنيف، ورؤوس الموضوعات، والتكشيف، بل وحتى مصطلحات اللغة، فلم تكن هذه أول مرة أتعامل فيها معها، بل مر علىّ ذلك فى أكثر من كتاب(٧). وكانت المعاناة الجديدة هى مع مصطلحات الحاسب ومصطلحات الاسترجاع الآلى.

وإن مصطلحات الحاسب يتوارد عليها كثيرون، وأهمهم وأولهم بطبيعة الحال هم المتخصصون فى علوم الحاسب. ثم يتوارد عليها مستفيدون كثيرون، ونحن المكتبيين منهم. وقد اتجه تفكيرى إلى محاولة الاستفادة فى ترجمة تلك المصطلحات من المعاجم المتخصصة فى هذا الموضوع. وهى كثيرة، وهذا يدل على جهد كبير فى هذا المجال، ويدل كذلك على نفس الآفة الخطيرة التى تكتنف كثيرا من جهدنا العلمى وهى عدم التوحيد.

وقد اخذت ثلاثة من هذه المعاجم. وإليك أيها القارئ بياناتها. وأنا أضع هذه البيانات فى صلب المتن وليس فى الهوامش، حتى تسهل المقارنة.

١ ـ معجم مصطلحات الكمبيوتر. وهو ترجمة صدرت عن مؤسسة الأبحاث اللغوية فى نيويورك (Language Management Corporation)، سنة ١٩٨٦. وهو ترجمة للعمل الآتى: Webster's New World Dictionary of Computer Terms

٢ ـ معجم مصطلحات الحاسبات الالكترونية. عربى انجليزى، انجليزى ـ عربى. وقد صدر بالقاهرة عن مركز الأهرام للترجمة والنشر، فى سنة ١٩٨٧. وقد صدر تحت إشراف عالمين كبيرين هما: الدكتور أحمد عزيز كمال، عميد كلية الهندسة بجامعة القاهرة، والدكتور عبد الرزاق عبد الفتاح الرئيس السابق لجامعة حلوان. وشارك فى ترجمته ووضع مصطلحاته ١٨ أستاذا وعالما من كلية الهندسة بجامعة القاهرة، وواحد من المركز القومى للبحوث، وواحدة من مركز بحوث الحسابات العلمية بجامعة القاهرة.

٣ ـ معجم مصطلحات الكمبيوتر والمعلوماتية: انجليزى ـ فرنس ـ عربى وقد صدر عن مكتبة لبنان فى سنة ١٩٨٧. وأعده إ. و. حداد. وصفحة عنوانه بالإنجليزية عليها هذا العنوان:

A dictionary of data processing and computer terms

وعناوين المعاجم الثلاثة تغنى عن البيان: اثنان منها يستخدمان لفظ الكمبيوتر، والثالث يستخدم لفظ الحاسبات الالكترونية. كما أن الأخير يترجم data processing إلى المعلوماتية: فإذا ما دخلت إلى المعاجم الثلاثة من الداخل فسوف تجد اختلافات بينة فـى ترجمة المصطلحات مع أن اثنين من هذه المعاجم فى الغاية من القوة بالنسبة للتأليف(٨). سوف تجدُ أن لفظ data يعنى بيانات (فى معجم مركز الأهرام) ولفظ Processing يعنى تشغيل؛ أى تشغيل البيانات مقابل المعلوماتية فى المعجم الأخير. ومن المؤكد أننا لوتتبعنا المصطلحات فى داخل المعاجم الثلاثة وفى غيرها فسوف نجد اختلافات كثيرة مما يؤكد ما ذكرناه من قبل عن آفات التعريب.

(ب) **مصطلح أحدث هو** CD - ROM. وقد تناوله أحد الباحثين فى دراسة حديثة جدا [٩]. يذكر الباحث تحت عنوان:

«اشكالية المصطلح العربى» ما يأتى:

«يلحظ المتتبع للإنتاج الفكرى العربى اختلافات المصطلحات الدالة على تقنية الأقراص المليزرة CD - ROM بأنواعها المختلفة. وفيما يلى عرض بأهم المصطلحات المطروحة على الساحة:

- الأقراص البصرية
- أقراص الليزر المضغوطة
- الأقراص الضوئية
- الأقراص المدمجة
- الأقراص الضوئية المضغوطة
- أقراص الليزر المكتزة / الأقراص المكتنزة
- أقراص الليزر/ الأقراص المليزرة
- القرص المتراص/ الأقراص المتراصة

ويذكر السريحى بعد ذلك أن نجيب الشربجى قد استعرض عشرين مقالا تعرضت لهذه الأقراص وتقنياتها وتبين من خلالها اختلاف المصطلحات العربية الدالة على هذا الـ CD - ROM كما أطلق عليه تفاديا لاختيار مصطلح بعينه. ويضيف السريحى:

«وإشكالية المصطلح العربى المقابل للـ CD - ROM أو القرص المليزر، كما يرد فى هذه الدراسة اتباعا لما جاء فى توصية المجمع اللغوى بالقاهرة، ما هو إلا امتداد لاشكالية اختلاف المصطلح العربى بشكلة الواسع فى هذا الحقل أو التخصص المليئ بهذه المصطلحات. فأهل المشرق فيما بينهم يختلفون فى تبنى مصطلح واحد CD - ROM قبل أو Automation أو Bibliography أو غيرها الكثير وهكذا يفعل أهل المغرب. وبين الفريقين تكثر الاختلافات أيضا. وقد يكون مرد ذلك لغياب المؤسسة المهنية الفاعلة القادرة على توحيد وفرض المصطلح فى البلاد العربية بأساليب وسياسات عدة قد تدخل بها إلى عالم النشر والتعليم أو التأهيل المهنى والمؤتمرات والندوات المهنية وغيرها» [١٠].

ولو قدر للسريحى أن يقلب صفحات نفس العدد الذى نشر فيه بحثه لوجد استخداما آخر أو مقابلا عربيا آخر هو: «مشابكة الأسطوانات الضوئية المكتنزة» [١١].

والنهاية التى وَصَل إليها الشربجى نهاية محزنة، فبعد أن طَوَّفَ بعشرين مقالا، ووجد عددا كبيرا من المقابلات العربية، هرب فى النهاية إلى المصطلح الأجنبى. وهذا نموذج واضح على مشكلات المصطلحات عندنا، وهى ليست فى مجال المكتبات والمعلومات فقط ولكنها فى المجالات العلمية الأخرى كافة. وهى تدل على أن تلك المجالات لم تصل بعد إلى النضج، الذى يعبر عنه استقرار المصطلحات، أو بمعنى آخر: وجود لغة اصطلاحية للعلم يتداولها أهله بصورة متفق عليها أو مجمع عليها. ذلك أن الأصل فى الاصطلاح هو الاتفاق أو الاجماع أو التواضع. وهناك فرق بين المعنى اللغوى للفظ، والمعنى الاصطلاحى، والمعانى الاصطلاحية تتعدد بتعدد السياقات التى يرد فيها اللفظ. ولا يصبح المصطلح (اللفظ) مصطلحا إلا إذا اتفق أهل الفن عليه، أما ما يحدث الآن من تعريبات فهى ليست مصطلحات وإنما هى اجتهادات.

والخلاصة أن قضية تعريب المصطلحات مظهر آخر من مظاهر التضارب والفردية وتشتت الجهود. ولو بقى حالنا على ما هو عليه ألف عام أخرى فلن نصل إلى توحيد المفاهيم والمصطلحات. ولذلك فإن الحل هو أن نجلس معا ونناقش هذه المصطلحات ونتوصل إلى اتفاق حولها بحيث نستخدم ما نتفق عليه. أما الوضع الحالى فلن يؤدى إلى نتيجة، إذ كل حزب بما لديهم فرحون.

المراجع والهوامش

(١) عالجنا قضية تنظيم المسلمين للمعرفة ونظريتهم فى ذلك واقترحنا ترتيبا يقوم على تلك النظرية ـ فى كتابنا: الخطة العربية للتصنيف: الاطار العام ونظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦. وقد خصصنا الفصل الثانى لترتيب الأقسام الرئيسية، فى الخطة العربية للتصنيف، ومن ثم كان من الضرورى أن نتعرف طريقة المسلمين فى ترتيب تلك الأقسام. وقد جاءت معالجتنا لتصنيف الخوارزمى (ت ٣٨٧هـ) فى الصفحات ٨٦ ـ ٨٨.

(٢) يشتمل الفصل السادس من هذا الكتاب على المصطلحات الأساسية التى اشتقت من قواعد التقسيم المنطقى ومن الأسس الفلسفية للتصنيف. وقد أُعطيت المقابلات العربية لها. وكثير من هذه المقابلات أخذت من كتب المناطقة العرب ومن معاجم المصطلحات الفلسفية.

(٣) يعتقد بعض مؤرخى الحضارة فى الغرب أن الحضارة الغربية الحديثة حضارة قوية الدعائم، وأنها ليست عرضة لما حدث لغيرها من حضارات سابقة، فى حين يرى بعضهم أن الحضارة الغربية تحمل فى ثناياها عوامل انحلالها ومن هؤلاء المؤرخ الانجليزى أرنولد توينبى.

(٤) من المصادر التى توضح تأثير الحضارة الإسلامية فى الحضارة الأوروبية المصدر الآتى:

جورج المقدسى. نشأة الكليات: معاهد العلم عند المسلمين وفى الغرب/ تأليف جورج المقدسى؛ ترجمة محمود سيد محمد. ـ جدة: جامعة الملك عبد العزيز، مركزا النشر العلمى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

الفصل الرابع: عن الحضارة الإسلامية فى الغرب المسيحى، ص ص ٢٥١ ـ

٣١٦. وهو يوضح مدى تاثير الحضارة الإسلامية فى معاهد العلم وفى الجامعات الأوربية فى عصر النهضة.

(٥) الكتب الستة هى:

(أ) نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات: أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية/ تأليف ج. ملز. ١٩٦٦، أعيد طبعه ١٩٨٢.

(ب) الفهرس المصنف: أسسه وتطبيقاته/ تأليف جيسى شيرا، مرجريت ايجان، ١٩٧٦. أعيد طبعه ١٩٨٣، ١٩٦٦.

(ج) تنظيم المعلومات فى المكتبات ومراكز التوثيق/ تأليف أ . س. فوسكت. ١٩٨٠.

(د) البيليوجرافيا النسقية/ تأليف أ. م. لوين روبنسون. ١٩٩٦.

(هـ) التحليل الموضوعى: الأسس والإجراءات/ تأليف ديريك لانجريدچ. ١٩٩٦.

(و) التحليل الموضوعى فى فهارس البحث المباشر/ تأليف راو ألورى، د. ألاسدير كمب، چون چ. بول. ١٩٩٨.

وإن معاناتى فى الترجمة جعلتنى أتعرض لهذه القضية أكثر من مرة، كما أننى اعتبرتها ضمن معوقات العمل العلمى العربى فى مقالى:

مشكلات الكتاب العربى من التأليف إلى القراءة، والذى نشر ضمن كتابى: دراسات فى علوم المكتبات والتوثيق والببليوجرافيا. ١٩٩٦.

(٦) تعرضت لأهمية التنظيم العلمى وأثره فى التقدم العلمى، وأثر عدم وجوده كمعوق للعمل العلمى العربى - فى مقالى السابق الاشارة إليه فى الفقرة السابقة.

(٧) انظر فقرة (٥) آنفا: الكتب من أ - هـ. والتجربة الأخيرة كانت فى الكتاب رقم (و).

(٨) اقتصرت هنا على مصطلح الكمبيوتر فقط منعا للاطالة، وقد أعطيت أمثلة أخرى فى مقدمتى لكتاب: التحليل الموضوعى فى فهارس البحث المباشر. كما أننى جمعت أهم المصطلحات الواردة فى الكتاب فى معجم فى نهاية الكتاب. ولاداعى للاطالة هنا.

(٩) حسن عواد السريحى. الاتجاهات البحثية لمستخدمى شبكة قواعد المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبد العزيز. ـ دراسات عربية فى المكتبات وعلم المعلومات. س٢، ع٣، ١٩٩٧. ص٩ ـ ٤٥.

(١٠) المصدر السابق، ص ١٦.

(١١) حشمت قاسم. مشابكة الأسطوانات الضوئية المكتنزة. ـ دراسات عربية فى المكتبات وعلم المعلومات، س٢، ع٣، ١٩٩٧. ـ ص ٢٠٨.

الفصل الخامس

تدريس التصنيف
فى أقسام المكتبات
بالوطن العربى

تناولنا فى الفصل الثالث والفصل الرابع قضيتين من القضايا الرئيسية التى تؤثر على المكتبات العربية، وهما قضية الركائز الفنية، وقضية المصطلحات. وقد اتضح من دراستنا للقضيتين مدى التشتت والتشرذم فى جهودنا، وكذلك مفترق الطرق الذى تقف فيه الركائز الفنية بعامة، والتصنيف بخاصة. ولا شك أن الحالة الراهنة للمكتبات العربية وللركائز الفنية توثر على تدريس موضوعات تنظيم المعرفة ومنها التصنيف، فإن التدريس لا يتم فى فراغ، كما أن إعداد الخريجين يجب أن يرتبط ارتباطا وثيقا بالمشكلات التى سوف يتعاملون معها فى المكتبات العربية. وفى هذا الفصل أتناول قضية تدريس التصنيف بشىء من التفصيل لعل هذه الدراسة تساعد القائمين بتدريس الموضوع فى الوطن العربى فى وضع خططهم الدراسية. كما أنها يمكن أن تكون نموذجاً يسهم فى توضيح الصورة بالنسبة لعناصر التنظيم الأخرى.

وليست هذه الدراسة لواقع تدريس التصنيف فى أقسام المكتبات العربية، ولكنها سوف تعتمد على طرح تساؤلات وقضايا فى تدريس الموضوع والإجابة عنها تمهيدا لوضع خطة دراسية مفصلة للموضوع. وإن الأسئلة والقضايا التى يمكن أن تطرح كثيرة جدا، نظرا لأهمية الموضوع من ناحية ولكثرة جزئياته من ناحية أخرى. وفيما يلى أهم هذه القضايا والتساؤلات:

١. ما أهداف تدريس التصنيف فى الخارج بصفة عامة، وما أهداف تدريسه فى أقسام المكتبات العربية بصفة خاصة، وهل هناك فروق واختلافات بين الأهداف فى الحالتين؟

٢. ماعلاقة أهداف تدريس التصنيف بأهداف تدريس علوم المكتبات بصفة عامة، وهل تؤثر الأهداف العامة لتعليم المكتبات فى بلادنا على تعليم التصنيف؟

٣. ما موقف المكتبات العربية من قضية الركائز الفنية، ومدى تأثير ذلك على التعليم؟

٤. ما نوع الطالب الذى سوف نعلمه؟ هل هو على مستوى البكالوريوس أم الماجستير؟

٥. ما موقف المكتبات العربية من التصنيف، وما نوع المشكلات التى تتعرض لها تلك المكتبات عند التطبيق، وهل هو نفس نوع المشكلات فى الخارج أم تختلف عنها؟

٦. هل يدرس التصنيف كموضوع مستقل أم يدرس فى ضوء التكامل بين طرق تنظيم المعرفة، أى على ضوء المدخل متعدد المجالات Interdisciplinary Approach. وهل ندرس علاقة التصنيف بالطرق الأخرى للتحليل الموضوعى؟

٧. أين نبدأ؟ هل نبدأ بحاجات المكتبات أم نبدأ بالنظرية؟[1]

٨. أية نظرية سوف ندرس؟ الحاصرة؟ أم التركيبة؟

٩. نظرية من يجب أن ندرس؟ ديوى؟ أم رانجاناثان؟ أم فيليبس أم ملز؟ أى ما موقفنا من نظريات التصنيف ومدارسه؟

١٠. ما الأوضاع العملية التى سوف يتعرض لها خريج أقسام المكتبات؟ وهل يمكن تأهيل الخريج لمواجهة تلك الأوضاع؟

١١. ما أوضاع العلوم العربية والإسلامية، وماخصوصيات الفكر الإسلامى فى الموضوع؟ وما خصوصيات تلك العلوم وهل تؤثر على تعليم التصنيف عندنا؟

١٢. ما الموضوعات التى نحتاج لتدريسها - إذن - على ضوء الظروف والمشكلات التى تعانى منها المكتبات العربية؟

١٣. ما موقفنا من المفاهيم الأساسية للتصنيف؟ وهل تدرس قضايا ومفاهيم المدارس المختلفة، ولأى الأغراض؟ هل لتنظيم المعرفة؟ هل لتنظيم المصطلحات؟ هل لتنظيم المكتبات؟[٣]

١٤. ما دور التصنيف فى المكتبات وما دوره فى استرجاع المعلومات؟ هل يستخدم لترتيب الرفوف أم يستخدم لتنظيم المعرفة؟

١٥. أية خطة تصنيف سوى ندرس؟ هل ندرس ديوى فقط/ أم ندرس خطط تصنيف أخرى؟

١٦. قضية تتابع الطبعات وما الطرق التى يمكن للمكتبات العربية أن تتواءم بها مع هذه القضية؟

١٧. قضية تعدد التعديلات وما الطرق التى يمكن للمكتبات العربية أن تعالج بها هذه القضية؟

١٨. ما موقف المكتبات العربية من قضية التصانيف المتخصصة؟ وهل تحتاج أحيانا إلى وضع تصانيف متخصصة تلبى احتياجاتها؟

١٩. ما علاقتنا بتاريخ التصنيف؟ وهل نحتاج لتدريسه فى ضوء العلاقة بين تصنيف المعرفة وتصنيف الكتب؟

٢٠. ما علاقة التصنيف بالمكانز وبطرق التكشيف المختلفة؟

٢١. ما علاقة التصنيف بتكنولوجيا المعلومات: فهارس البحث المباشر، والتصنيف الآلى؟

٢٢. هل يمكن وضع خطة لتدريس التصنيف فى أقسام المكتبات العربية على ضوء ما سبق؟ وما ملامح وتفاصيل تلك الخطة؟

هذا مجمل للتساؤلات. وسوف نحاول فى الصفحت التالية الإجابة عنها.

بعض الاعتبارات والأهداف العامة لتعليم المكتبات ومدى تأثيرها على تعليم التصنيف

إن الحاجة الأولى فى تدريس التصنيف هى خطة أساسية ومجموعة من الأهداف، والإجراءات التى تتخذ لتحقيق تلك الأهداف، والمشكلات التى من

الممكن أن تظهر[٤]. لابد إذن من تحديد الأهداف من تدريس الموضوع، وذلك حتى يتسنى لنا معرفة الموضوعات التى يجب أن يدرسها الطالب إذا أردنا أن نحقق تلك الأهداف.

وليس الهدف من دراستنا هذه مجرد صياغة مجموعة من الأهداف الجافة الجامدة المعزولة عن سياق الموضوع وعن الاتجاهات المختلفة، بل لابد لكى نتعرف هذه الأهداف ونحددها من دراسة قضايا وأمور أخرى مهمة، أى: الأسس والأفكار، بل والفلسفة التى تقف وراء تحديد الأهداف، والظروف التى سوف يعمل بها الخريج، وظروف تدريس الموضوع من حيث الوحدة والتنوع، والمجالات التى سوف يعمل بها الخريج، والخبرات والمهارات اللازمة لهذا الخريج، وظروف البيئة التى يعمل بها، والمشكلات أو القضايا العملية التى من المنتظر أن تواجهه بعد تخرجه، وما إلى ذلك من تلك الظروف والقضايا.

وقبل أن نتناول الأهداف المتعلقة بتدريس التصنيف نفسه، سوف نبدأ بتناول الأهداف العامة لتعليم المكتبات فى أقسام المكتبات العربية لكى نرى ما يمكن أن يكون لها من تأثير على تعليم التصنيف. وليس بوسعنا فى دراسة عن تعليم التصنيف أن نتناول الأهداف العامة بالتفصيل وإنما سوف نجتزئ ببعض الأمور والاعتبارات التى يمكن أن تؤثر على تعليم التصنيف. ويمكن أن نقف هنا عند العوامل التى يجب وضعها فى الاعتبار عند إعداد برنامج عام لتعليم المكتبات فى الدول العربية[٥]:

١. توفير برنامج إعداد يتفق وحاجات مرحلة النمو التى تمر بها مؤسسات المكتبات والمعلومات. وقد ذكرت من قبل أن العصور كلها تتزامن فى المكتبات العربية، وتحدثت عن حالة عدم الاستقرار التى تمر بها الركائز الفنية، وعن تأثير ذلك على عملية التعليم[٦].

٢. توفير برنامج يساعد فى تطوير البنية الداخلية وفق الخطوط الحديثة خلال المستقبل المنظور. أى أن البرنامج يجب ألا يوجه طاقته واهتمامه نحو الحاجات والممارسات التقليدية والجارية أو الآنية للمكتبات، بل يجبُ أن يقوم بدور ابتكارى من خلال اقتراح وتقديم التطورات الحديثة وبحث ماهو قديم، وإعادة

فحص ما تم قبوله، وتجريب ما لم يجرب، باختصار يجب أن يقوم بدور الرائد في هذا المجال:

يجب إذن أن نتعرف الاحتياجات المستقبلية وأن نعد الممارسين الذين يصلحون لها، يجب أن نقود المجال لا أن نكون صورة مشوهة أو باهتة له.

٣. توفير برنامج يخضع للظروف البيئية المحلية، حيث تختلف الظروف هنا فى بلادنا عن الظروف فى الخارج. فلا يستحب مثلا وضع برنامج واحد يطبق بصورة موحدة هنا وهناك بل يجب أن تدخل الظروف المحلية فى الاعتبار.

وتحل مشكلة التنوع فى الدول الكبيرة من خلال تعدد البرامج فى مدارس المكتبات وتنوع محتوياتها بحيث تخدم الأغراض الخاصة. أما فى بلادنا فإن الظروف تختلف، وفى هذا الإطار نجد مجموعة من الظروف المحلية:

(أ) مدخلاتنا على مستوى الثانوية العامة فى معظم الحالات. ففيما عدا حالات قليلة فى أقسام المكتبات فى الوطن العربى يسمح فيها للحاصلين على البكالوريوس بدراسة علوم المكتبات والمعلومات(٧)، فإن الغالبية العظمى من الأقسام تستقبل الحاصلين على الثانوية العامة.

(ب) ولابد أن نقبل هنا أيضاً أن استعداد الطالب للتحصيل ربما يكون أقل من مثيله فى الدول المتقدمة، كما أن الإمكانات المتوافرة من الأساتذة والأدوات وبيئة التدريب ومجموعات التطبيق العملى، الخ. قد تكون أقل من مثيلاتها فى الدول المتقدمة. وهذا بدوره سوف يؤدى إلى تخطيط البرنامج بحيث يعطى جرعات أكبر للأساسيات حيث تحتاج إلى مزيد من الجهد والتدريب. وما عرضته عن أوضاع الأساسيات أو الركائز والإجراءات الفنية يؤكد هذا.

(جـ) العوامل الدينية والسياسية والاجتماعية يجب أن توضع فى الاعتبار، وكذلك اعتبارات الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى.

وهنا مثال واحد فقط لمجرد ضرب المثل، وهو أن المخطوط العربى والتراث العربى يجب أن يحظيا بقدر كبير من الاهتمام وهذا أمر لا يوجد مطلقا فى الدول الأخرى التى لا تراث لها ولا حضارة سابقة.

نحن بحاجة إذن إلى أن نراعى وجود البرنامج - أى برنامج - فى مجتمع عربى إسلامى، وأن نراعى حاجات الثقافة العربية الإسلامية، والإنتاج الفكرى العربى باعتباره جزءاً أساسيا فى المكتبات العربية[٨].

ولا شك أن الاعتبارات العامة السابقة لها تأثير فى تدريس التصنيف فى أقسام المكتبات العربية. وقد نعود إلى ذلك فيما بعد.

الأهداف العامة لتعليم التصنيف

فى ضوء ما سبق، وفى ضوء الظروف المحلية، يحق لنا أن نسأل الآن:هل أهداف دراسة التصنيف فى أقسام المكتبات العربية تختلف عن أهداف دراسته فى الدول الأخرى، وخاصة المتقدمة منها، بمعنى: هل تدريس التصنيف يمكن أن يكون عندنا مثله فى أمريكا أو بريطانيا أو الهند أو الفلبين مثلاً؟

للإجابة عن هذا نقول إن هذه القضية لها جانبان:

أولا: جانب فكرى يتعلق بوضع المكتبات العربية والإسلامية كمؤسسات تعمل لخدمة مجتمعات عربية إسلامية، وهو جانب استراتيجى لا يتعلق بالمكتبات وحدها بل يتعلق بكل المؤسسات التعليمية والثقافية فى المجتمع.

ذلك أن وظائف تلك المؤسسات تشتق من فكر الأمة وأهدافها. وكل نوع من أنواع المؤسسات فى المجتمع يأخذ فكر الأمة ويحوله إلى أهداف واستراتيجيات ووظائف، لتحقيق رسالة الأمة[٩].

ثانيا: الجانب الثانى عملى تطبيقى، يتعلق بالمرحلة التى تمر بها المكتبات العربية، والتى أشرنا إليها فى الفصل الثالث. كذلك يدخل فى هذا الجانب العملى التطبيقى أن علم المكتبات فى بلادنا لا يزال فى مرحلة المتابعة والتقليد، ولم يستكمل بعد كيانه ومقوماته من وجود لغة اصطلاحية، واستقرار الأنظمة، الخ.، كما أننا لم نصل بعد إلى مرحلة التقنين. ولست أقصد بالتقنين المصادرة على الخلاف، ولكن أقصد أن علم المكتبات وفن المكتبات يعتمدان على التوحيد فى الممارسة، فلنختلف كما

نشاء ولكن يجب فى النهاية أن نتفق على التقنينات التى تكون أساس العمل، وأن نتفق على الوحدة فى التعليم والممارسة والتطبيق حتى نخلص مكتباتنا مما تعانيه من تضاربات. وقد أشرت إلى ذلك من قبل.

ويمكن أن نحدد الأهداف العامة لدراسة التصنيف فيما يأتى:

أولا: الهدف الأول من إعداد المصنفين هو كما ذكر فيليبس تخريج مصنفين مهرة أكفاء من الناحية العملية[١٠]. هناك فارق بين المصنف Classifier وهو الذى يقوم بالتصنيف العملى فى المكتبة وبين عالم التصنيف Classificationist وهو الذى يقوم بإعداد نظام التصنيف، أو الذى يدرس نظرية التصنيف. وهناك علماء تصنيف وضعوا الأسس لنظريات التصنيف وفى نفس الوقت أعدوا أنظمة خاصة بهم؛ وهناك علماء تصنيف أعدوا أنظمة ولكنهم لم يسهموا فى إعداد نظرية التصنيف؛ وهناك علماء تصنيف درسوا نظرية التصنيف ودرسوا الأنظمة المختلفة دراسة تاريخية ونقدية ولكنهم لم يعدوا أنظمة تصنيف.

ومثالنا على الفئة الأولى كل من بليس ورانجاناثان وريتشاردسون وكتر. فالأول والثانى وضع كل منهما نظرية متكاملة للتصنيف ثم وضع نظامه الخاص به وفقا لتلك النظرية. كما أن ريتشاردسون هو أول من كتب فى نظرية التصنيف كتابا مستقلاً ثم أعد تصنيفا استخدمه فى مكتبة جامعة برنستون[١١]. كذلك كان كتر أول من انتقد التصنيف العشرى واضعا بذلك الأسس الأولى لنظرية التصنيف، ثم أعد تصنيفه الواسع لكى يتلافى أخطاء ديوى[١٢].

ومثالنا على الفئة الثانية كل من ديوى، وبول أوتليه وهنرى لافونتين، ثم هانسون ومارتل. وديوى معروف للكافة فهو صاحب أول خطة حديثة ولكن ديوى كان عمليا قبل أى شىء آخر[١٣]، ولم يدع مطلقا أنه وضع نظرية للتصنيف، وتستفاد آراؤه عن التصنيف من مقدمات التصنيف العشرى التى كانت آخرها مقدمته للطبعة ١٢ التى كانت آخر طبعة صدرت فى حياته[١٤].

كذلك فإن بول أوتليه وهنرى لافونتين اللذين عملا فى تطوير التصنيف العشرى

العالمى لترتيب البيليوجرافية العالمية Universal Bibliography لم يكن لهما إسهام فى نظرية التصنيف. ومثلهما هانسون ومارتل اللذان بدآ العمل فى تصنيف مكتبة الكونجرس.

أما الفئة الثالثة فهناك كثيرون درسوا الأنظمة والنظريات دراسة نقدية وأبرز مثال لهم هو برويك سايرز أستاذ التصنيف فى مدرسة المكتبات بجامعة لندن منذ إنشاء المدرسة ١٩١٩ وحتى وفاته ١٩٦٠. وهناك العشرات من هؤلاء.

ليس الهدف من تعليم التصنيف فى أقسام المكتبات العربية هو تخريج علماء تصنيف من الطراز السابق، مع أن ذلك ليس على الله بعزيز، فالهدف هو أن يكونوا مصنفين مهرة أكفاء من الناحية العملية.

ثانياً: تنقسم عملية التصنيف العملى إلى المراحل الآتية:

١. تقرير أو تحديد موضوع الكتاب أو الوثيقة. وهذه عملية مشتركة فى كل طرق الاسترجاع الموضوعى من تصنيف وفهرسة موضوعية وتكشيف وهى تتم من الكتاب نفسه، ولذلك فهى عملية ذهنية تعتمد على معرفة المكشف بالموضوعات التى تعالجها الكتب. وقد نعود إلى هذه النقطة فيما بعد لأن ذلك يتعلق بتعليم المكتبات بصفة عامة وليس تعليم التصنيف فقط. وتسمى هذه العملية أو المرحلة: التلخيص: Summerization.[(١٥)]

٢. المرحلة الثانية هى ترجمة الموضوع المخصص للكتاب أو الوثيقة والذى تم التوصل إليه فى المرحلة السابقة، ترجمته إلى لغة النظام. وهنا يبدأ الاختلاف بين طرق الاسترجاع الموضوعى، فإذا كان الأمر يتعلق بالتصنيف، يترجم الموضوع إلى رقم التصنيف، وهو ما نسميه: تحديد رقم التصنيف، وهى عملية تمر هى الأخرى بمرحلتين: هما تحديد القسم الرئيسى، وتحديد رقم التصنيف المخصص[(١٦)]. وإذا كان المكشف يفهرس فهرسة موضوعية فإنه يترجم الموضوع إلى لغة قائمة رؤوس الموضوعات أو إلى لغة الكشاف.

ثالثاً: العمليتان السابقتان تتطلبان ما يأتى:

١ . معرفة بالموضوعات. وهذه تثير قضايا إعداد العاملين فى المكتبات بصفة عامة وليس التصنيف فقط لأن التصنيف هو أحد المجالات التى تحتاج إلى التخصص الموضوعى فى المكتبة حتى يكون المصنف قادرًا على فهم موضوعات الكتب. وحتى لا نكرر أنفسنا، وحتى لا تطول الصفحات أذكر أننى قد سبق أن عالجت هذا الموضوع بشىء من التفصيل فى كتاب سابق[١٧].

٢ . العملية الثانية وهى ترجمة الموضوع إلى رقم التصنيف تحتاج من المصنف إلى معرفة دقيقة بنظام التصنيف الذى يعمل به وبقواعد التصنيف العملى.

وهذا يثير عدداً من القضايا التى لها علاقة بالتعليم:

(أ) أى نظام سوف ندرس: هل نكتفى بنظام واحد هو التصنيف العشرى الذى يستخدم أكثر من غيره فى المكتبات العربية، أم ندرس نظما أخرى قد تكون مستخدمة بصورة أقل ولكنها تستخدم أيضا.

ونجد فى هذا الخصوص أن بعض المكتبات العربية تستخدم التصنيف العشرى العالمى وبعضها تستخدم تصنيف مكتبة الكونجرس.

(ب) القضية الثانية هى دراسة تطبيقات ديوى فى المكتبة العربية. وهى قضية متشعبة وخطيرة وتمثل مشكلة حقيقية أمام العاملين فى المكتبات العربية. ولكى نعرف حجم هذه القضية لابد أن نشير أولا إلى ديوى وطبعاته وتعديلاته. وهذه تحتاج إلى معالجة مستقلة، ونكتفى الآن بسردها ضمن المشكلات والقضايا.

(جـ) القضية الثالثة هى: ما الموقف من نظرية التصنيف، وهل يكفى أن يلم الطالب بنظام واحد أوأكثر ويتدرب عمليا على ديوى لكى يصبح مصنفاً جيداً. وسوف نتناول هذه القضية أيضاً بشىء من التفصيل لأن لها علاقة بالتصنيف العملى من جهة وبالأوضاع العملية فى المكتبات العربية من جهة أخرى.

رابعـا: موضوع أثاره بالمر، وهو يتعلق بدور التصنيف ووظائفه فى كل جوانب العمل فى المكتبات.

خامسا: التصنيف يحاول أن يتابع تقدم المعرفة، والمعرفة تتطور باستمرار. والمصنف عليه أن يحاول معرفة دينامية المعرفة والطرق والأساليب التى تنمو بها وهو يحتاج فى هذا الصدد إلى خبرات وتجارب معينة تمكنه من هذه المتابعة.

سادسا: تخرج أقسام المكتبات العربية خريجا واحداً لكل أنواع المكتبات: الوطنية والعامة والمدرسية والجامعية والمتخصصة ومراكز المعلومات. قد تكون المكتبة التى يعمل بها الخريج جزءاً من جهاز أكبر وقد تكون مكتبة مستقلة أى مفردة. فى الحالة الأولى قد تكون أوضاع العمل مستقرة وقد لا تكون. وفى الحالة الثانية وخاصة إذا كان يعمل فى مكتبة متخصصة قد يكون عليه هو مسئولية اتخاذ القرار، فماذا هو فاعل، وهل إذا اقتصرت خبراته ومعارفه على دراسة خطة واحدة أو اثنتين؟ هل يكون قادراً على اتخاذ القرار الصحيح فيما يتعلق باختيار نظام التصنيف؟ وماذا لو احتاج الأمر إلى أن يُعد نظام تصنيف أو مكنزاً لمركز المعلومات الذى يعمل به. وهذا يثير قضية أخرى هى علاقة التصنيف بطرق الاسترجاع الموضوعى الأخرى، ودوره كأساس لطرق الاسترجاع الموضوعى.

سابعا: أخذت كثير من المكتبات العربية الآن فى التحول إلى الحاسب الالكترونى، ولا شك أن لذلك تطبيقاته وله أيضاً مشكلاته. والسؤال هو: كيف يعد المصنف للتعامل مع هذه التطبيقات وتلك المشكلات. إن هذه القضية خطيرة وحقيقية لدرجة أن هناك الآن نظرية ثالثة للتصنيف:

«وإن أعراف أو تقاليد التصنيف، أى القواعد التى تبين كيف تبنى خطة التصنيف وتطبق، هذه الأعراف وجدت منذ ما يزيد عن مائة سنة. وقد نقحت هذه القواعد وتمت صياغتها؛ بحيث يمكن القول الآن بأن هناك أسساً للتصنيف. ومن المهم أن ندرك أنه توجد مجموعتان أساسيتان من أسس التصنيف؛ أسس لخطط التصنيف الحاصرة، وأسس لخطط التصنيف التركيبية، وقد تناولناها جميعا فى هذا الفصل. وهناك مجموعة ثالثة من الأسس لأغراض التصنيف فى فهارس البحث المباشر، هى تحت التطوير والإعداد(١٨).

ثامنا: هناك خصوصيات تنفرد بها المكتبات العربية. وقد ذكرت من قبل أن

تعليم العاملين فى المكتبات يجب أن يراعى وجود المكتبات فى مجتمع عربى إسلامى، وهذا يفرض وجود دراسة مفصلة بالنسبة للمخطوط العربى والتراث العربى. وفيما يتعلق بالتصنيف فإنه يفرض علينا أن ندرس مدى ملاءمة خطط التصنيف الأجنبية للمكتبات العربية والفكر العربى والإسلامى. كما يفرض علينا تدريس تاريخ التصنيف عند المسملين لأن هذا الموضوع قد تجوهل فى كتب التصنيف الأجنبية.

تاسعا: هناك جوانب إدارية مهمة تتعلق بتطبيق التصنيف فى المكتبات وبإعداد الفهرس المصنف، وبإعادة التصنيف، وتكلفة التصنيف، الخ. وهى جوانب لابد أن يلم بها المصنف ـ المفهرس.

وإذا كنت قد نجحت فى إثارة الموضوعات والأسس العامة، فإننى يمكن أن أشرع الآن فى تناول كل واحدة من القضايا بشيء من التفصيل تمهيداً لصياغة أهداف محددة للتعليم، ثم لوضع خطة استرشادية للتصنيف تصلح أساسا يمكن الاستفادة منه فى وضع خطط تعليم التصنيف فى أقسام المكتبات العربية. وسوف أسير فى معالجتى التالية حسب الترتيب الطبيعى للأشياء بقدر الإمكان.

وسوف أحاول أن أكون مختصراً بقدر الإمكان وإلا طالت الصفحات بشكل يزيد عن حد.

أولا: المفاهيم والقضايا الرئيسية

نقصد بالمفاهيم والقضايا الرئيسية ما يمكن أن نسميه مقدمات الشروع فى العلم بالنسبة لدارس التصنيف؛ فلا يمكن أن يبدأ الطالب بموضوعات التصنيف مباشرة، بل لابد من مقدمات تمهد لدراسة هذه الموضوعات. ومن أهم تلك المقدمات: التعريفات المهمة للألفاظ والمصطلحات سواء فى ذلك مصطلحات المدرسة القديمة أو مصطلحات المدرسة الحديثة، ومعالجة التصنيف باعتباره جزءاً من كل أعم هو تنظيم المعرفة(١٩).

وهذا يتطلب بطبيعة الحال مدخلاً عاماً إلى التنظيم ومكان التصنيف فيه. كما يتطلب دراسة الاتجاه الحديث فى التنظيم وهو التكامل فى طرق الوصول، ثم إبرازاً لدور التصنيف فى الاسترجاع الموضوعى باعتباره أساس كل أنواع وطرق الوصول

إلى المعلومات من خلال الموضوعات. وهذا يتطلب الحديث عن دور التصنيف سواء من حيث الوظائف التقليدية، فى المكتبات أو دوره فى استرجاع المعلومات، أو دوره كمفهوم وأسلوب فى بناء المكانز وطرق التكشيف وقوائم رؤوس الموضوعات.

ثانيا : تاريخ التصنيف وتطوره

يحتاج الطالب إلى أن يعرف كيف نشأت خطط التصنيف الحديثة. وتركز كتب التصنيف الحديثة على الفترة التى تلت ١٨٧٦. ولكن هناك كتباً أخرى مثل بليس تعطى مسحا شاملاً لنظم التصنيف التى سبقت تلك الفترة. ودراسة تاريخ التصنيف وتطوره فى العصر الحديث هى دراسة لتطور الأنظمة والنظريات، فمن المهم أن يعرف الطالب التطورات التى مرت فى تلك الأنظمة وتلك النظريات حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن. وليست هذه دراسة لتفاصيل الأنظمة والنظريات، فسوف تكون هذه موضوعاً لدراسات تالية.

من المهم أن يعرف الطالب أن سنة ١٨٧٦ كانت بداية لتاريخ التصنيف فى العصر الحديث ثم تطور الأفكار والخطط والنظريات التى أدت إلى ظهور خطط أخرى حديثة وهى: كتر والتصيف الواسع، تصنيف مكتبة الكونجرس، التصنيف العشرى العالمى، تصنيف براون، تصنيف رانجاناثان، وتصنيف بليس. ومن المهم كذلك أن يفهم الأسباب والخلفيات التى أدت إلى تلك التطورات حتى يفهم تطورات الأفكار التى أدت إلى ما نشهده الآن.

وهناك جانب تاريخى نختلف فيه عن الخطط والكتب الدراسية فى الخارج، وهو أن الكتب القياسية فى الموضوع كانت تعطى تفاصيل مهمة وكثيرة عن تطور التصنيف قديماً أى عن تاريخ التصنيف، وذلك مثل ريتشاردسون وسايرز وبليس، وهناك كتب أخرى كذلك مثل لامونتانى[٢٠]. هذه الأعمال موجودة فى المكتبة الغربية للموضوع ولكن الكتب الحديثة[٢١] بدأت تختفى منها الأجزاء الخاصة بالتاريخ. والطالب العربى قد يصعب عليه الرجوع إلى كتب ريتشاردسون وسايرز وبليس ولامونتانى، فإذا ذهب إلى الكتب الحديثة فلن يجد فيها شيئاً عن تاريخ

التصنيف اللهم إلا كتاب واينر الذى يضم معلومات مختصرة. هذه واحدة. ومن ناحية أخرى، فإن هذه الكتب لا تضم شيئاً عن تاريخ التصنيف عند المسلمين إما عن جهل أو عن تجاهل. وقد كتبت منذ ثلاثين سنة دراسة عن التصنيف عند العرب تناولت فيها الأسباب التى تدعونا إلى دراسة تاريخ التصنيف[٢٢]. وإذا كانت تلك الأسباب تصدق على تاريخ التصنيف بعامة، فإن لدينا أسبابا خاصة لدراسة تاريخ التصنيف عند المسلمين؛ وقد ذكرنا فى الأهداف العامة، كذلك، أن البرنامج هو فى مجتمع عربى إسلامى:

١. إبراز ما للمسلمين من دور فى تاريخ العلوم وذلك فيما يخصنا نحن المتخصصين فى علوم المكتبات. والحقيقة أن لهم فى هذا الصدد دوراً مهماً. وقد درست ذلك فى أكثر من مكان. ومن تلك الدراسة نجد أن التصنيف كان علماً من العلوم عند المسلمين[٢٣].

٢. تأثير الأفكار الأولى فى ترتيب وتنظيم المعرفة على الأفكار الحديثة، ومدى ما يمكن أن تسهم به تلك الأفكار القديمة المتجددة على تنظيم المعرفة فى العصر الحديث[٢٤].

٣. عند إعداد التصانيف الحديثة للموضوعات المختلفة سوف نجد أن تنظيم العلوم العربية والإسلامية عند علماء المسلمين أساسيٌ جدا فى تنظيمها فى العصر الحديث. ذلك أن تلك العلوم علوم نقلية[٢٥].

للأسباب السابقة ـ سواء ما كان منهاعاماً أو ما كان منها خاصاً بنا ـ فلابد من دراسة تاريخ التصنيف بصفة عامة وتاريخ التصنيف عند المسلمين بصفة خاصة، حتى يجد الطالب والدارس ذلك الجزء من الموضوع متاحًا ومعروفا لديه.

ثالثا: نظم التصنيف العامة والمتخصصة

ظهرت سبعة أنظمة عامة، وعدد كبير من أنظمة التصنيف المتخصصة. والخطط العامة هى:

١. التصنيف العشرى لديوى

٢. التصنيف العشرى العالمى

٣. تصنيف مكتبة الكونجرس
٤. تصنيف رانجاناثان: الكولون.
٥. تصنيف بليس البيليوجرافى.
٦. تصيف كتر الواسع.
٧. تصنيف براون الموضوعى.

وأخيراً: التصنيف الدولى لفريمونت رايدر. وهذه الخطة الأخيرة لم تحتل أية مكانة فى دراسة التصنيف، اللهم إلا مجرد الإشارة إليها لأن صاحبها لم يتمها وإنما كتب عنها قبل وفاته كتابة ليست مفصلة. وقد أشرت إلى هذه الأنظمة فى الفصل السادس.

ورغم أن خطة تصنيف كل من كتر وبراون أسبق فى الظهور (كتر بعد ديوى مباشرة، وبراون فى أواخر ق ١٩)، إلا أنهما قد توقفتا عن النمو، فتصنيف كتر لم يكتمل وإنما وصل إلى التوسيع السادس (١٨٩١)، وتصنيف براون لم يعد يحدث الأمر الذى جعل المكتبات التى تتحول عنه. ولا يكاد يذكر إلا بعض الكتب البريطانية[٢٦]، وحتى الكتب الحديثة أغفلته. وهذان النظامان يدرسان الآن فقط فى تاريخ التصنيف.

وتقتصر الكتب القياسية ـ عدا ما ذكرت ـ على الخطط الخمس الأولى. ولكى يفهم الطالب تلك الخطط فهماً جيداً فلابد أن يدرس العناصر والنقاط الآتية عن كل خطة:

١. تاريخ الخطة وتطورها.
٢. بنية الخطة والأسس التى قامت عليها.
٣. طبعات الخطة ومراجعتها.
٤. التصنيف العملى بالخطة.
٥. مستقبل الخطة.

هذا ما يدرسه الطالب الأجنبى، أما الطالب العربى فهو يحتاج أيضاً إلى دراسة: العلوم العربية والإسلامية فى كل خطة. ولما كان التصنيف العشرى أكثر الخطط انتشاراً فى الخارج وفى منطقتنا، فإنه يحتاج إلى معالجة مستقلة.

ديوى وتعديلاته

التصنيف العشرى الأصلى يصدر فى صورتين:

١. الطبعة الكاملة، قد وصل الآن إلى الطبعة ٢١ التى صدرت سنة ١٩٩٦.

٢. الطبعة المختصرة، وقد وصلت الآن إلى الطبعة ١٣.

وقد مر التصنيف العشرى بتطورات كثيرة منذ بدء صدوره فى ١٨٧٦ وحتى الآن، من حيث سياسة التحرير، ومن حيث متابعة تقدم المعرفة وتتابع الطبعات. وليس بوسعنا الآن أن نتحدث عن هذه الأمور(٢٧). وخلاصة القول هنا أن التصنيف العشرى حينما تصدر طبعة جديدة منه فى الخارج تقوم المكتبة بالمواءمة مع الطبعة الجديدة فيما يعرف بترحيل الموضوعات، وهى عملية ضرورية بالنسبة للتصنيف العشرى، وأصبحت سياسة مستقرة بالنسبة له اعتباراً من ط١٧. وهذه المشكلة أدت إلى تحول المكتبات الكبيرة وخاصة الجامعية عن التصنيف العشرى بحيث أصبحت تستعمل تصنيف مكتبة الكونجرس.

هذا جانب من الصورة. والجانب الآخر هو بالنسبة للمكتبات العربية، حيث كان التصنيف العشرى هدفاً للجهود التى انصبت على تبنى خطة عالمية لتصنيف المكتبة العربية. وفى هذا الخصوص ظهرت أعمال كثيرة لتعديل التصنيف العشرى معظمها أنصب إما على الألف الأولى، أو على طبعة مختصرة أو أخرى. وهناك محاولة واحدة فقط لترجمة وتعديل طبعة كاملة(٢٨).

والحقيقة أن ديوى يعدل فى كل مكان بالوطن العربى، ومن المتعذر أن نحصر كل الجهود التى تمت لتعديله، فهى كثيرة جداً، والأعمال بعضها نشر، وبعضها لم ينشر، بل إن كل مكتبة عربية لها تطبيقها المختلف للتصنيف العشرى.

وفيما يتعلق بتطبيقات ديوى فى المكتبة العربية تبرز قضيتان:

١. قضية متابعة الطبعات الجديدة.

٢. قضية النسخة المستعملة من التصنيف العشرى.

والقضيتان متداخلتان بالنسبة للمكتبة العربية تداخلاً شديداً. وقد ذكرت منذ قليل

أن المكتبة الأمريكية مثلاً تقوم بمواءمة المجموعات مع الطبعة الجديدة حينما تصدر. وهذه العملية تتم مع كل طبعة فلا يحدث تراكم للطبعات والتغييرات. هذا فى وجود اختصاصيين متمرسين وفى وجود فهارس منظمة وموحدة، وفى وجود مكتبات وخدمات مركزية قوية وقائدة: مثل مكتبة الكونجرس و OCLC و هذه المكتبات والخدمات تنشر خبراتها فى كل مكان فلا يترك للاختصاصيين المحليين من العمل إلا النزر اليسير.

والخلاصة أن أمريكا كلها تستخدم ديوى واحداً فى كل مكتباتها وأن أرقام تصنيف ديوى موحدة فى المكتبات الأمريكية، اللهم إلا فى بعض الموضوعات المحلية.

ما هو الوضع عندنا: الوضع عندنا مختلف تماما، وهو يمثل مشكلة حقيقية أمام المكتبات العربية. وسوف أعطى مثالاً من مكتبة إحدى الجامعات العربية لعله يوضح الصورة.

حينما نشأت مكتبة الجامعة تلك (١٩٦٦) كان التعديل المعروف أيامها هو تعديل الدكتورين محمود الشنيطى وأحمد كابش الذى صدر سنة ١٩٦٠ وهو متعلق بالطبعة الثامنة الموجزة من ت ع (١٩٥٩) المرتبطة بالطبعة ١٦ (١٩٥٨) (الطبعة ١٧ الأصلية من ديوى ظهرت ١٩٦٥ ولكن تلك المكتبة طبقت التعديل المشار إليه).

تبنت تلك الجامعة ذلك التعديل وكلما ظهرت طبعة جديدة من تصنيف ديوى أخذوا منها التفاصيل التى يحتاجونها وأضافوها إلى تعديل ١٩٦٠، حتى تضخم وزادت تفاصيله المأخوذة من عدة طبعات كاملة على مدى أربعين عاما. والخلاصة أن النسخة المطبقة الآن لا علاقة لها بالطبعة الأصلية من ديوى ولا علاقة لها بتعديل ١٩٦٠، وإنما هى نسخة خاصة تماماً. وبطبيعة الحال أرقام التصنيف ليست موحدة مع المكتبات الأخرى ولا مع أى مكتبة أخرى.

هذا هو باختصار ما يحدث فى معظم - إن لم يكن كل - المكتبات العربية. فلا مؤاءمة مع الطبعات الجديدة، ولا وحدة فى أرقام التصنيف، ولا وحدة بين المكتبات ولا غير ذلك من أمور بديهية تتعلق بتطبيق نظام التصنيف.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك أمورا منها:

١. تعدد التعديلات العربية بصورة أقرب ما تكون إلى الفوضى. ومن العسير أن نجد أى فكر وراء إصدار هذه التعديلات[٢٩].

٢. النقص الحاد فى الاختصاصيين ذوى الخبرة فى التصنيف، والنقص الكبير فى الدراسات الأكاديمية فى الموضوع. الأمر الذى يدل على عدم الاهتمام[٣٠].

٣. فضلاً عن غياب الفكر الصحيح والنظرة الصائبة وراء إصدار هذه التعديلات، وكأنها مجرد كتب[٣١] تصدر، فضلا عن هذا فإنها جميعا تنطوى على أخطاء كثيرة جدا فى البنية والترتيب وفى الكشافات وكل جديد منها يضيف إلى الفوضى الحادثة فى المجال.

والخلاصة هى البعد تماما عن معايير التصنيف، وعن وحدة الأرقام وعن وحدة التطبيق[٣٢].

الخطة العربية للتصنيف

بزغت فكرة الخطة العربية للتصنيف منذ مدة طويلة. وقد كتبت عنها الكثير. وخلاصة القول أن تلك الخطة قد نبعت من عدم كفاية نظم التصنيف الأجنبية لمعالجة الموضوعات العربية والإسلامية سواء كفكر أو كأنظمة. وأن الخطة العربية للتصنيف تشتق تنظيمها من النظرية التى وضعها المسلمون لتنظيم المعرفة، وأنها تضع حدا للفوضى التى تعيشها المكتبات العربية بالصورة التى ألمحنا إليها منذ قليل.

وقد أشرت من قبل إلى ما كانت عليه الصورة فى مؤتمر بغداد، ثم ما حدث بعده. وأضيف الآن أن توصيات المؤتمر قد تضمنت التوصية بتدريس موضوعات الخطة العربية للتصنيف، وتطبيق الأجزاء التى تمت من هذه الخطة[٣٣].

والحقيقة أن تدريس موضوعات تلك الخطة ضرورى جدا لكى تظل جذوتها مستعرة وأفكارها حية حتى يقيض الله لها من المؤسسات العلمية مؤسسة تتبناها وتستكملها. كما أن تدريس موضوعاتها يتيح للأجيال الجديدة التعرف عليها حتى لا يقعوا فى أخطاء فكرية قاتلة[٣٤].

التصانيف المتخصصة

المكتبات ومراكز المعلومات المتخصصة من الظواهر المهمة فى عالم المكتبات والمعلومات فى العصر الحديث. وقد أدت هذه الظاهرة إلى تغيير فى تعليم المكتبات والمعلومات في الدول التى سبقتنا(٣٥). وفيما يتعلق بالتصنيف فقد أدى وجود هذه الظاهرة إلى بزوغ قضية مهمة جدا، وهى: ماذا تفعل المكتبة المتخصصة حينما تواجهها مشكلة التصنيف. وقد كتبت فى هذا الموضوع من قبل(٣٦)، كما أن موضوع التصانيف المتخصصة فصل مهم فى أى كتاب قياسى فى الموضوع (٣٧)، وهو أيضا أحد الأسباب الرئيسية للكثير من التطورات التى حدثت فى مجال التصنيف والتكشيف. وذلك لأن إنشاء خطط عامة جديدة ليس بالأمر السهل، ولذلك جاءت كثير من التطورات الحديثة فى التصنيف فى مجال إنشاء الخطط المتخصة التى أنتج منها عدد كبير جداً.

كذلك جاءت كثير من التطورات فى مجال التكشيف وفى مجال إنشاء المكانز فى هذه المنطقة: المكتبات والتصانيف المتخصصة.

وهناك جانب آخر يتعلق أيضاً بظروف المكتبة العربية، وهو أن هناك ظروفا عملية قد تواجه العاملين فى المكتبات العربية تحتم عليهم إما تطبيق تصنيف متخصص أو إنشاء مثل هذا التصنيف. ولعل هذا أحد الأسباب الرئيسية التى تدعونا إلى الاهتمام بقضية التصانيف المتخصصة فى برامجنا، وإلى الاهتمامام بمنهج أو طريقة بناء التصانيف المتخصصة: أى نظرية التصنيف.

رابعًا: نظرية التصنيف

إن نظرية التصنيف هى أكثر أجزاء موضوع التصنيف إثارة للجدل، فقلما حظى جزء من نظرية التصنيف بالاتفاق. ومند ظهر التصنيف العشرى سنة ١٨٧٦ وعلماء التصنيف يختلفون حول قضايا التصنيف ونظرياته، الأمر الذى أدى إلى ظهور مدارس فكرية لكل منها أفكارها وآراؤها ونظرياتها فى كل جزء من أجزاء نظام التصنيف. ومن المفيد بالنسبة لمن يدرس التصنيف أن يستوعب الإطار العام الذى نمت فيه النظم والنظريات.

وكان أول من تحدث فى نظرية التصنيف هو كتر. ومع أن كتر معروف بقواعده للفهرس القاموسى، إلا أنه صاحب نظام مستقل هو التصنيف الواسع. وكان كتر من أوائل من انتقدوا التصنيف العشرى. ورغم أن كتر من رفاق ديوى فى رحلة الكفاح من أجل تطوير المكتبات فى الولايات المتحدة إلا أنه لم يحب التصنيف العشرى، وانتقده فى نقطتين رئيسيتين ظلتا من العلامات المميزة فى نقد التصنيف العشرى فى الكتابات التى جاءت بعد ذلك وهما: الترتيب غير العلمى، وضيق الأساس العشرى. ولذلك فقد حاول كتر أن يعد تصنيفا يرتب ترتيبا علميا ويوسع من أساسه الرمزى، ولذلك فقد اختار رمز الحروف لأن سعتها كبيرة وقابليتها للتوسع أكبر من الأعداد التى استخدمها ديوى والتى كان يعتبرها من أهم صفات نظامه العشرى. ونلاحظ هنا أن كتر رغم أنه صاحب فكرة الفهرس الموضوعى الألفبائى الذى يعتمد على قائمة رؤوس الموضوعات، وأنه صاحب القواعد المشهورة التى انبنى عليها الفهرس القاموس - رغم هذا فإنه صاحب نظام تصنيف أيضا. وفى هذا إشارة ضمنية مبكرة إلى أنه لا تضاد ولا تنافر بين النوعين وإلى فكرة التكامل التى تبلورت فيما بعد. وفى هذا رد على من ينتصرون لهذا النوع أو ذاك إنطلاقا من نظرة ضيقة إلى مفهوم تنظيم المعرفة.

ويمكن أن نقول هنا أيضا إن كتر كان رائد المدرسة التقليدية التى تركز على الترتيب العلمى لأقسام التصنيف وتفاصيله. ثم استمرت هذه المدرسة وتطورت وتبلورت أفكارها على يدر ريتشاردسون، ثم بلغت أوجها أو ذروتها عند بليس الذى جعل التصنيف مجالا لنشاط حياته كلها، وذلك مروراً بسايرز الذى لم يكن صاحب نظرية مستقلة أو نظام تصنيف خاص.

فى مقابل هذه المدرسة العلمية توجد المدرسة العملية التى تزعمها وندهام هلم والذى يقصر وظيفة التصنيف على ترتيب الكتب على الرفوف ولا يهتم بعملية التحليل الموضوعى التى هى الأساس الأول للتصنيف[٣٩].

وفى غضون ذلك ظهرت أنظمة أخرى بعد ديوى وكتر هى تصنيف مكتبة الكونجرس، الذى يعد مثالاً لنظريات السند الأدبى وترتيب الكتب، حيث لا يوجد فى

مكتبة الكونجرس فهرس مصنف، وإنما تعتمد فى الاسترجاع الموضوعى على الفهرس القاموسى، ثم ظهرت بدايات التحليل والتركيب على يد بول أوتليه وهنرى لافونتين وذلك فى التصنيف العشرى العالمى الذى قصد به تنظيم الببليوجرافية العالمية. كما ظهر تصنيف براون البريطانى الذى كان له نظرية فريدة بالنسبة لترتيب مجالات المعرفة المتخصصة تخالف كل الأنظمة والنظريات الأخرى(٤٠).

وقد جاءت معظم التطورات والنظريات الحديثة فى التصنيف على يد رانجاناثان عالم المكتبات والتصنيف الهندى، ومن ورائه المدرسة الهندية، وجماعة البحث فى التصنيف فى بريطانيا ومن ورائها المدرسة البريطانية. والحقيقة أن نشاطات هاتين المدرستين وكتاباتهما وجهودهما هى التى قادت حركة تطور التصنيف فى مدى يزيد على ستين سنة.

وأخيراً، وليس آخراً، تأتى الأفكار العربية الإسلامية فى الموضوع والتى تبلورت فى نظرية إسلامية لتنظيم المعرفة فى إطار الجهود التى بذلت لإنشاء خطة عربية أو تصنيف إسلامى(٤١).

وفى مقابل نظريات التصنيف ظهر مُتَحَدٍّ للتصنيف هو التكشيف المترابط-Co - or-dinate indexing، والذى جاء رداً أمريكيا على عدم الثقة فى التصنيف، والرغبة فى تكوين المفاهيم بغض النظر عن ترتيبها(٤٢). وهذا يفتح الباب أمام مجال جديد من مجالات دراسة التصنيف، وهو العلاقة بين التصنيف والتكشيف ودور التصنيف فى بناء أنظمة التكشيف، خاصة وأن الجزء الأساسى فيما يعرف بالمكانز يكون فى الغالب هو الجزء المصنف، ويبنى على أسس التحليل الوجهى.

ونحن بطبيعة الحال لاندرس هنا هذه الأمور وإنما نتناول رؤوس الأقلام والإطار العام(٤٣). وخلاصة الآراء فى هذا الخصوص هى أن التصنيف لا يزال يلعب دوره كأنظمة وكأسلوب فى نفس الوقت، وأنه مهما ابتعدنا عن التصنيف فإننا لابد عائدون إليه وأنه أساس كل أنواع وطرق الاسترجاع الموضوعى للمعلومات.

ويهمنا الآن وبعد هذا العرض المبسط أن نلم بالأسباب التى تجعلنا ندرس نظرية التصنيف. والحقيقة أن هذا الموضويع أيضاً من أكثر الموضوعات إثارة للجدل،

وخاصة فى الوطن العربى، حيث يرى البعض أنه طالما أن الهدف من تعليم التصنيف هو إجراء التصنيف العملى بكفاية فما الداعى إذن لأن نُعنِّىَ أنفسنا بدراسة نظرية التصنيف ، وهى الجزء الأصعب فى دراسة التصنيف.

وبطبيعة الحال لا يمكننى فى هذا الموضوع، كما فى كثير من الموضوعات التى اشتمل عليها هذا الفصل، أن أدخل فى المناقشات بالتفصيل، وإلا لا احتاج الأمر إلى حيز كبير جدا. والحقيقة أن كل قضية من القضايا التى تناولتها هنا جديرة بأن يفرد لها دراسة مستقلة، إذا أردنا أن ندخل فى المناقشات. ولكنى أحاول هنا أن أتحدث عن بعض الأسباب وأرصد بعض الاتجاهات وأحيل إلى المصادر المختلفة.

وإذا كنا قد اتفقنا على أن الهدف الأساسى لتعليم التصنيف هو إجراء التصنيف العملى بكفاية ـ فإن المصنف لا يستطيع أن يؤدى هذا العمل بالصورة المرجوة مالم يفهم الأنظمة التى يتعامل معها جيدا، ولكى يعرف هذه الأنظمة جيداً فلابد من دراسة الأسس التى قامت عليها تلك الأنظمة، وكيفية تنظيمها للعلوم وترتيب مجالات المعرفة المختلفة، والرمز وظائفه ووظائف الكشاف، الخ. وهذه كلها مباحث فى نظرية التصنيف. باختصار لكى يكون المصنف مصنفا أفضل ـ بالمعنى العملى ـ فلابد من دراسة نظرية التصنيف.

كذلك يحتاج المصنف إلى أن يكون قادراً على المقارنة بين الأنظمة ومعرفة فضائل وعيوب كل نظام حتى إذا كان فى موقف يحتاج فيه إلى الاختيار كان بوسعه أن يختار؛ بين نظام عام وآخر، بين نظام عام ونظام متخصص، بين نظام متخصص وآخر.

وهذه النقطة السابقة تنطبق بصورة أكبر على العاملين فى المكتبات العربية الذين يواجهون ظروفا عملية قد تتطلب منهم إجراء تلك المقارنات. كما أن بعض الظروف العملية تحتاج من المصنف إلى أن يكون قادراً على تعديل النظام، أوحتى إلى إعداد نظام جديد وخاصة فى المجالات المتخصصة. وهذا كله يحتاج إلى دراسة نظرية التصنيف.

وقد كشفت دراسة أجريت فى الولايات المتحدة عن مناهج التدريس فى ٧١ مدرسة مكتبات أمريكية عن اتجاه نحو تدريس نظرية التصنيف والتكشيف (نظرية تنظيم المعرفة) وإدخال هذه التطورات فى مناهج هذه المدارس. ويعلق كاتب الدراسة على هذا الاتجاه نحو النظرية بقوله: «وفى رأينا أن هذا يدل على شىء من النضج فى علمنا»(٤٤).

هذا وإن الموضوعات التى تدرس فى مدارس المكتبات تنعكس فى الكتب القياسية عن الموضوع. وقد رأينا على مر تاريخ التصنيف فى العصر الحديث أن الكتب الدراسية القياسية تمثل فى معظم الأحيان المناهج التى تدرس فى مدارس المكتبات، وقراءات جمعيات المكتبات. وعلى هذا فإننا يجوز لنا أن نعتبر ما تحتوى عليه تلك الكتب القياسية مؤشراً كافيا على اتجاهات التدريس. وفى هذا الصدد فسوف نجد أن الكتب القياسية تضم أجزاء مهمة عن نظرية التصنيف وقد سبق أن رأينا أن دافيسون يسمى كتابه: نظرية التصنيف، وهو دليل إرشادى إلى امتحانات جمعية المكتبات البريطانية، رغم أنه يضم كل الموضوعات التى تشتمل عليها تلك الامتحانات.

ولا بأس هنا أن أعطى رأيا واحداً فى الموضوع، ثم أشير إلى الكتب الأخرى فقط.

تقول جنيفر راولى فى فصل عن نظرية التصنيف وتحت عنوان: لماذا النظرية: «إن دراسة التصنيف الببليوجرافى يمكن أن تركز فقط على الخطط الرئيسية وبعض الخطط الأقل أهمية والتى تستخدم بكثرة فى أيامنا هذه. ومع ذلك، فرغم أن هذه الدراسة سوف تسمح بشىء من المقارنة بين الخطط المختلفة، فإن مثل هذه المعالجة البرجماتية لن تقدم البارامترت اللازمة للمقارنة؛ لا ولن تعرِّفَ أية معايير مما يجب أن تواجه الخطط. وإن دراسة السمات التى تقف وراء العملية التصنيفية ودراسة مكونات خطة التصنيف هو على هذا النحو إعداد للتطبيق الأكثر تقدما لخطط التصنيف. والأكثر من هذا أن التصنيف وشبكة العلاقات بين الموضوعات يمكن أن تكون دراسة مهمة فى ذاتها حتى ولو كانت بمعزل عن التطبيق. وتصنيف راولى:

«هناك باختصار، تطبيقان مهمان لنظرية التصنيف:

١. يمكن أن تطبق النظريات الجديدة فى تطوير ومراجعة الخطط الموجودة.

٢. يمكن أن يستفاد من النظريات الحديثة كأساس للخطط الجديدة. ومعظم الخطط الجديدة، لن تكون عامة، ولكن ستكون على الأرجح خطط تصنيف متخصصة، تصمم من أجل تطبيق أوموضوع معين[٤٥].

خامسا: التصنيف وتكنولوجيا المعلومات

يقصد بهذا علاقة التصنيف بالحاسب الإلكترونى. وهى التطورات الحديثة والحديثة جدا والتى تبين كيف أثرت الحاسبات على نظرية التصنيف وممارسته.[٤٦] ويمكن أن نرجع بداية تلك التطورات إلى بداية دخول شكل موحد (مارك) إلى المكتبات لنقل التسجيلة البيليوجرافية، ثم تطور فهارس الإتاحة العامة المباشرة (أوباك) المتطورة التى تيسر الوصول إلى الفهارس الخاصة بالمكتبة، وكذلك بالتطورات الهائلة فى نقل الأجهزة والبرامج التى تقدم الآن إلى المكتبى.

وليس من السهل أن نتحدث هنا عن هذه التطورات، فهى تطورات كثيرة وعميقة حفلت ببحوث كثيرة فى جوانب شتى من العمل وقد تناول هذه البحوث وهذه التطورات كتاب كامل نقلته إلى العربية ونشر حديثاً جداً وسبقت الإشارة إليه[٤٧].

وهناك جانب آخر من جوانب علاقة التصنيف بالحاسب وهو استخدام الحاسب فى التصنيف والتكشيف. علاقة الحاسب بالأوباك تنصب على الاسترجاع، أما هنا فهو استخدام الحاسب فى مجالين:

١. تصنيف وتكشيف الوثائق.

٢. إعداد أنظمة التصنيف والتكشيف. وخاصة إعداد التصنيف الأوتوماتى للكلمات المفاتيح keyword automatic classification.

وكلا الجانبين حافل بالبحوث منذ مدة طويلة. ولم يصل البحث فيهما بعد إلى نتيجة حاسمة. ومن التطورات فى هذا الصدد أيضاً توفير جداول خطط التصنيف الكبرى فى شكل مقروء للآلة. وقد كان ذلك عاملا مهما فى تنشيط البحث فى ذلك المجال، وفى تنشيط بحث أو فحص دور التصنيف كأداة بحث. وأوضح مثال

على هذا هو الاهتمام الذى أثاره إنتاج: ديوى الالكترونى Electronic Dewey وهو نسخة CD - ROM من الطبعة العشرين من تصنيف ديوى العشرى، والتى يتم تحديثها سنويا لكى تعكس التغيرات والمراجعات على الخطة. مثل هذه الأداة تجعل التصنيف أسهل فى الاستخدام وتجعله أصح عند التطبيق أى يتم تطبيقه بصورة أصح. وبالإضافة إلى تدعيم البحث عن المجال المناسب (الصحيح) من الجداول بواسطة مصطلحات الكشاف والجداول نفسها فإن ديوى الالكترونى يوفر كذلك حتى خمسة رؤوس من قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس وتسجيلة ببليوجرافية نموذجية ومساعدة مباشرة Online لمساعدة المكتبى فى اختيار أنسب رقم تصنيف.

والبحث جار على قدم وساق لإجراء المزيد من التحسينات على الاسترجاع الموضوعى المباشر، وكذلك لاستخدام التصنيف لدعم الاسترجاع الموضوعى فى فهارس البحث المباشر واستخدام التصنيف فى التكشيف الآلى وإنشاء المكانز(٤٨).

هذه التطورات وغيرها لابد من دراستها، خصوصا وأن المكتبات العربية، كما سبق أن أشرت، يتحول الكثير منها الآن إلى الحاسب وبعضها يستخدم فهارس البحث المباشر، ويحتاج الخريجون إلى مثل هذه الخبرة عند عملهم فى تلك المكتبات.

ورغم أن التصنيف الأتوماتى قد بدأ بحثه فى وقت مبكر نسبيا منذ الستينات، إلا أن البحث فيه أبطأ من سابقه (الأوباك) لأن الأخير يعالج الاسترجاع فقط، أما البحث فى التصنيف الأوتوماتى سواء بالنسبة لتصنيف الوثائق أو بالنسبة لإعداد التصنيف أوتوماتيا، فإنه ينطوى على الحكم والتقدير وإدراك العلاقات، وهذا من الصعب تحقيقه آليا.

سادسا: إدارة التصنيف

يتضمن هذا المبحث قضايا تتعلق بالجوانب الفنية والإدارية التى لها علاقة بالتصنيف؛ ومن ذلك سياسة المكتبة إزاء التصنيف. إن نظرة المدير إلى التصنيف مهمة، وذلك أنه رغم أن التصنيف عملية فنية محضة إلا أن لها ارتباطات بجوانب إدارية. كذلك يدخل هنا أعمال قسم الفهارس التى لها علاقة بالتصنيف. ويدخل فيها عناصر مثل العوامل التى تحد من تطبيق التصنيف، ومتابعة الطبعات الجديدة،

وإعادة التصنيف، وتكلفة التصنيف، والإرشاد إلى الفهرس المصنف وإلى نظام التصنيف، ودرجة التصنيف، وما إلى ذلك من الموضوعات.

وهناك إنتاج فكرى كبير حول هذه القضايا. وربما كان أول كتاب يتناول شيئا من هذه القضايا هو كتاب جريس كيلى(٤٩). كما كتب ملز فصلاً مهما عن ذات الموضوع(٥٠). كذلك كتبت ريتا مارسيلا وزميلها فصلاً مطولاً عن الموضوع(٥١) كما أن هناك أعمالاً مستقلة عن بعض أوكل واحد من الموضوعات، مثل: إعادة التصنيف، والفهرس المصنف، وتكلفة التصنيف، ونظرة المدير إلى التصنيف، الخ(٥٢).

صياغة الأهداف

ونصل الآن إلى صياغة محددة لأهداف تدريس التصنيف فى أقسام المكتبات العربية. وهذه الأهداف مهمة جدا، وكانت مناقشاتنا السابقة لوضع الأسس لتلك الأهداف، حيث أن أهداف التدريس مع الخطة المقترحة فى غاية الأهمية بالنسبة لتدريس الموضوع. وقد ذكرت من قبل أن هذه الدراسة ربما تفتح الباب لمزيد من الحوار حول الموضوع وصولاً إلى الأكمل والأفضل إن شاء الله.

والأهداف التى سوف نسجلها هنا، مع الخطة المقترحة، كما سوف يتضح لا يمكن أن يتضمنها مقرر دراسى واحد، حيث أن مفردات الخطة وما يرتبط بها من أهداف لا يمكن أبداً تدريسها فى مقرر دراسى واحد. وسوف نحتاج إذن إلى مقررين:

مدخل إلى التصنيف

التصنيف المقارن ونظرية التصنيف

فى الأول يمكن دراسة الأساسيات، وفى الثانى تدرس بقية الموضوعات بناء على رؤية كل قسم من الأقسام، ومن ثم يكن أيضاً تحديد الأهداف وفقا لتلك الرؤية. وسوف أعطى قائمة كاملة مقترحة بالأهداف، وقائمة كاملة بالوحدات الموضوعية التى تدرس لمعاونة الزملاء القائمين بالتدريس على وضع أهدافهم وخططهم. هى إذن مجرد اقتراحات.

الأهداف

١ . تعريف الطالب بالمفاهيم الأساسية لتنظيم المعرفة بصفة عامة، وطرق الوصول إلى المعلومات من خلال الموضوع ومكان التصنيف بينها.

٢ . توضيح فكرة التكامل بين طرق الوصول الموضوعية مع تعريف الطالب بالمزايا النسبية لكل طريقة من طرق الوصول.

٣ . تزويد الطالب بالتعريفات والمفاهيم الأساسية للتصنيف.

٤ . تزويد الطالب بالمعلومات الأساسية التى توضح دور التصنيف فى المكتبات ومراكز المعلومات سواء من حيث الوظائف التقليدية أو دوره فى استرجاع المعلومات، ودوره فى فهارس البحث المباشر.

٥ . تزويد الطالب بالمعلومات الضرورية فيما يتعلق بتاريخ التصنيف وتطوره وخاصة اعتبارا من العصر الإسلامى؛ ثم تطور الأنظمة والنظريات فى العصر الحديث.

٦ . تزويد الطالب بالمعرفة اللازمة عن نظم التصنيف العامة الرئيسية وخاصة التصنيف العشرى وتعديلاته العربية.

٧ . إعداد الطالب للممارسة العملية للتصنيف من خلال التدريب العملى.

٨ . تعريف الطالب بأجزاء نظام التصنيف وأهمية كل جزء من هذه الأجزاء.

٩ . تعريف الطالب بمنهج إعداد أنظمة التصنيف وخاصة التصانيف المتخصصة.

١٠ . تعريف الطالب بالتطورات الحديثة فى مجال التصنيف وتكنولوجيا المعلومات.

١١ . تزويد الطالب بالمعلومات الأساسية حول الجوانب الإدارية والإدارية الفنية فى ممارسة المكتبة للتصنيف والعوامل التى تؤثر على هذه الممارسة.

خطة مقترحة للاسترشاد بها عند إعداد البرنامج

أولا : تنظيم المعرفة : المفاهيم والدلالات

من بليس إلى نيدام

التحليل الموضوعى وطرق الوصول الموضوعية بصفة عامة

الجهاز البيليوجرافى للمكتبة:
الفهارس
البيليوجرافيات
الكشافات
التكامل بين أجزاء الجهاز البيليوجرافى
التكامل بين طرق الوصول
الوصف البيليوجرافى
الوصف أو التحليل الموضوعى
التصنيف
رؤوس الموضوعات
التكشيف
الفروق بين الطرق المختلفة والعلاقة بينهما
طرق الترتيب
كلمة المدخل
رقم التصنيف
الألفاظ
مشكلات الألفاظ والمصطلحات
الترجمة والتأصيل والتعريب، المترادفات، الخ.
المصطحات العلمية
ألفاظ الحضارة

ثانيا: دور التصنيف فى المكتبات ومراكز المعلومات

الوظائف التقليدية:
ترتيب الرفوف
ترتيب الفهرس المصنف
فى التزويد (الاختيار)

التحليل الموضوعى

دور التصنيف فى استرجاع المعلومات

دوره فى بناء المكانز

دوره فى طرق التكشيف

دوره فى فهارس البحث المباشر

ثالثا: التصنيف: المفاهيم والتعريفات الأساسية

رابعا: مباحث التصنيف

خامسا: تاريخ التصنيف وتطوره

التصنيف فى الحضارات القديمة

التصنيف عند اليونانيين

التصنيف عند المسلمين

التصنيف فى العصور الوسطى الأوربية

التصنيف فى العصر الحديث

تاريخ وتطور الأنظمة والنظريات

سادسا: نظريات التصنيف ومدارسه

(١) مدارس التصنيف ونظرياتها:

المدرسة العلمية (التقليدية)

من كتر إلى بليس

المدرسة العملية

وندهام هلم إلى فيلييس

المدرسة الحديثة

المدرسة الهندية (رانجاناثان)

المدرسة البريطانية (جماعة البحث فى التصنيف)

التطورات الحديثة فى المدرسة البريطانية

المدرسة العربية الإسلامية

(٢) أجزاء نظام التصنيف

الجداول

الرمز

الكشاف

التنظيم أو المؤسسة المشرفة

(٣) إنشاء خطة عامة للتصنيف

القضايا العامة

(٤) الأقسام الرئيسية فى خطة التصنيف العامة

تحديد الأقسام الرئيسية

ترتيب الأقسام الرئيسية

نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة

(٥) إنشاء تصنيف لحقل (مجال) موضوعى متخصص

التحليل الوجهى ومكملاته

الأقسام الأساسية

الأقسام الإصطلاحية

تكوين الأوجه

ترتيب الأوجه

حصر البؤرات

ترتيب الجدول (القائمة)

اختبار القوائم

إضافة الرمز

إعداد الكشاف

سابعا: نظم التصنيف العامة والمتخصصة

١ . التصنيف العشرى لديوى

٢ . التعديلات العربية للتصنيف العشرى لديوى

٣ . التصنيف العشرى العالمى

٤. تصنيف مكتبة الكونجرس

٥. تصنيف الكولون لرانجاناثان

٦. التصنيف الببليوجرافى لبليس

٧. الخطة العربية للتصنيف

٨. التصانيف المتخصصة

٩. التصنيف والمكانز

ثامنا: التصنيف العملى

١. تحديد موضوع الكتاب أو الوثيقة سواء من حيث الأهمية أو الآليات.

٢. ترجمة الموضوع المخصص إلى رقم التصنيف:

- تحديد القسم الرئيسى
- تحديد رقم التصنيف
- مراجعة الكشاف والجداول

تاسعا: التصنيف وتكنولوجيا المعلومات

التصنيف والحاسب

التصنيف الآلى

تصنيف الوثائق آليا

إعداد نظم التكشيف آليا

التصنيف والأوباك

عاشرًا: إدارة التصنيف

تصنيف الرفوف

الفهرس المصنف

درجة التصنيف

إعادة التصنيف

تكاليف التصنيف

المراجع والهوامش

(1) Simonton, Wesley C. The current role of Dewey, Library of Congress, and other classification systems in libraries. . (In: Tauber, M.E. Carlyle J.Frarey, Nathalie C. Batts, edits, The Dewey Decimal Classification: outlines and papers presented at the Teaching of Classification. New York: School of Library Service, Columbia University, 1968) P.1.

(2) op. cit.: p.2

(3) op.cit.: p.2

(4) Rockwood, Ruth. Teaching aids and methods: current availability and needs. (In: Tauber, M.F., op. cit. p.105).

(٥) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. تصور حول فلسفة وأهداف القسم: دراسة مقدمة إلى لجنة برنامج المكتبات وتقنيات التعليم، كلية التربية الأساسية. الكويت: كلية التربية الأساسية، ١٩٨٧. ص ٢.

(٦) تمت بالكويت عملية تقويم ذاتى لكليات ومعاهد الهيئة العامة للتعليم التطبيقى والتدريب. وكان من بين العناصر التى تم تقويمها المعيار رقم ٦ Standard Six المكتبة. وكانت هناك نماذج من الدراسات التقويمية التى تمت فى كليات Colleges مناظرة بالولايات المتحدة. وعند دراسة تلك النماذج لم نجد فى التقارير النهائية لها أية مشكلات تتعلق بالفهرسة والتصنيف ولا بأس هنا من ترجمة ما كتب عن قسم الفهارس فى أحد التقارير

(Broward Community College Library) p. 6 4.

«يقوم قسم الفهارس بوظائفه بكفاية وفاعلية. والكتب تفهرس ـ هكذا ـ وفقا

لنظام تصنيف ديوى العشرى. وفى سنة١٩٧٥، اشتركت BCC (الكلية المقصودة) فى: The Ohio College Library Center: OCLC، وتنظم البطاقات الآن (سنة ١٩٨٣) بواسطة نهاية طرفية: منفذ من OCLC.

«ويتم كل الفهرسة لمراكز الكلية الثلاثة فى قسم الفهرسة فى المركز المركزى. ولدى وصول البطاقات من OCLC، توزع على المراكز الثلاثة لكى تصف فى فهارسها كل على حدة...».

أما عند تقويم الكليات والمكتبات المناظرة بالكويت فقد كانت هناك صعوبات ونقاط ضعف تشمل كل جوانب العمل فى قسم الفهارس.

(٧) أنشىء دبلوم المكتبات فى قسم المكتبات بكلية الآداب جامعة القاهرة فى سنة ١٩٦٩. وكان فى البداية يقتصر على منح الدبلوم، ثم تطور بعد ذلك وأصبح يسمح للطالب بالاستمرار في الدراسة للحصول على الماجستير. وهو يقبل الحاصلين على البكالوريوس أو الليسانس من جميع التخصصات عدا تخصص المكتبات. وفى جامعة الملك عبد العزيز بجدة يمكن لخريجى الدراسات المختلفة الالتحاق للحصول على الماجستير أيضاً. أما فى الكويت فهناك نظام السنوات الأربع فى كلية التربية الأساسية (منذ ١٩٨٧)، وأخيراً أنشىء فى جامعة الكويت (١٩٩٦) برنامج للماجستير فى كلية الدراسات العليا. أما معظم أقسام المكتبات العربية فهى تعطى الدرجة الجامعية الأولى. ويترتب على هذا أن الاختصاصى professional يكون على مستوى الليسانس أو البكالوريوس. وهذا يترك الخريجين أمام صعوبات عملية حينما يناط بهم أعمال التصنيف أو الأعمال الأخرى التى تحتاج إلى تخصص موضوعى. انظر فى هذا كتابنا: التصنيف العملى والتكشيف، ص ص ٢٦ ـ ٣٢.

(٨) جاء ضمن أهداف برنامج المكتبات وتقنيات التعليم الذى أعددناه فى كلية التربية الأساسية بالكويت، والذى أشرت إليه منذ قليل وكذلك فى التصور الذى أشرت إليه (ص ٥) ما يأتى:

«(٦) تأصيل قيم الحضارة العربية الإسلامية والتراث العربى الإسلامى من خلال تنشيط الاهتمام بمصادر التراث العربى والإسلامى وتعريف الطلبة بدور هذا التراث فى الماضى والحاضر والمستقبل.

«(٧) العمل على الربط بين علم المكتبات والمعلومات بصورته المتقدمة وحاجات المكتبات العربية والإسلامية والاهتمام بقضايا المكتبات العربية والعمل على تأسيس مدرسة فكرية عربية إسلامية فى علم المكتبات والمعلومات».

(٩) عن علاقة المكتبات بفكر الأمة بصفة عامة والأمة الإسلامية بصفة خاصة انظر بحثنا: الخدمات المكتبية للطفل العربى وسبل تطورها. فى كتابنا، بحوث فى المكتبة العربية. الكويت: دار الثقافة، ١٩٨٥. ص ص ٣٨ ـ ٤٥.

(10) Phillips, W. Howard. A primer of Book Classification.-. 5 th ed. - London: Association of Assistant Librarians, 1961. P. 167.

وقد تَرجَمْتُ القواعد التى كتبها فيليبس إلى العربية فى وقت مبكر (١٩٦٥) ونشرت فى مجلة عالم المكتبات (القاهرة)، نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٦٥ ص ص ٢٤ ـ ٢٨.

(١١) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. ريتشاردسون مؤسس علم التصنيف الحديث. عالم المكتبات (القاهرة)، س ٨، ع٢، مارس ـ إبريل ١٩٦٦. ص ص ٢٢٨ ـ ٢٣١، ٢٣٦.

(١٢) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. كتر والتصنيف الواسع. عالم المكتبات (القاهرة)، س٨، ع٢، مايو ـ يونيو ١٩٦٦. ص ص ٣١ ـ ٣٥.

(١٣) فوسكت، أ. س. تنظيم المعلومات فى الكتاب ومراكز التوثيق/ ترجمة عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. ـ الرياض: دار العلوم، ١٩٨٠. ص ٤٨٩.

(١٤) صدرت الطبعة الثالثة عشرة فى سنة ١٩٣٢ بعد موت ديوى بسنة واحدة، وهى أول طبعة تحمل اسم ديوى فى عنوانها. لمزيد من المعلومات عن تطور الخطة، أنظر:

Chan, Louis Mai. Dewey decimal classification: a practical guide.- New York: Forest Press, 1996. p.5

(١٥) لقواعد التصنيف العملى بالتفصيل، انظر كتابنا: التصنيف العملى والتكشيف، ص ص ٢١ ـ ٦٤؛ وأما عملية التلخيص Summarization فقد عالجها لانجريدج بالتفصيل فى كتابه: التحليل الموضوعى: الأسس والإجراءات،

Palmer, B.I. Itself an education, London: the Library Association, 1971.

والفصل (المحاضرة) السادس. وهنا يقترح بالمر أن التصنيف يجب أن يكون دراسة أساس للمكتبية لأنه يتغلغل فى كل وظائف المكتبة.

وهو القسم الثانى من كتاب التصنيف العملى والتكشيف المشار إليه آنفا، الفصل الخامس، ص ص ١٥٥ ـ ١٩٩.

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) المصدر السابق

(١٨) ألورى، راو. التحليل الموضوعى فى فهرس البحث المباشر: مصدر سابق، ص ١٨٩. ونظرا لأهمية هذا الكتاب وحاجة المكتبات العربية والعاملين بها إلى موضوعاته قمت بترجمته كما أوضحت ذلك فى مقدمته.

(١٩) انظر بحثنا:: تنظيم المعرفة: بحث فى تطور المفاهيم والدلالات. مجلة المكتبات والمعلومات العربية ١٣ ع ٧، إبريل ١٩٩٨.

(٢٠) اهتمت الكتب التقليدية بتاريخ التصنيف، مثل كتاب ريتشاردسون:

Classification: theoritical and practical, 1930.

وكتاب سايرز:

Manual of Classification , 3 rd ed. 1959.

وذلك قبل تطويره على يد آرثر ملتباى Arthur Maltby وصدوره فى طبعتين متتاليتين: ط٤ (١٩٦٧)، وط ٥ (١٩٧٥).

وكذلك بليس فى كتابه:

The organization of knowledge and the system of the Sciences.

(٢١) أما الكتب الأحدث، فقد حذفت الجزء الخاص بتاريخ التصنيف، مثل ج. ملز: نظم التصنيف، و أ.س. فوسكت: تنظيم المعلومات، وراولى وغيرهم.

وحتى إذ تعرضت بعض الكتب الحديثة لتاريخ التصنيف، مثل كتاب ريتا مارسيلا وزميلها:

a new manual of classification (1994).

فإن الاهتمام ينصب على الفترة التى تلت عام ١٨٧٦ .

(٢٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم: المقدمة، جـ١ ، ص ص ٤٣ ـ ٧٦. والجزء الخاص بالأسباب، ص ص ٤٥ ـ ٤٧.

(٢٣) المصدر السابق، جـ١ ، ص ٣٢٤، ويسميه طاش كبرى زادة صاحب كتاب مفتاح السعادة: علم تقاسيم العلوم.

(٢٤) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. الخطة العربية للتصنيف: الإطار العام للخطة ونظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦ .

(٢٥) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦ . ص ص ١٠٥ ـ ١٠٧ .

(٢٦) ملز، ج. نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات/ ترجمة عبد الوهاب أبو النور. القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٨٢ . الفصل العاشر ص ص ٢٠٠ ـ ٢٢٧.

(٢٧) المصادر عن التصنيف العشرى كثيرة جدا. وهناك عدد من المصادر العربية:

(أ) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف البيليوجرافى..: مصدر سابق، الفصل الأول.

(ب) ملز، ج، مصدر سابق، الفصل السابع.

(جـ) فوسكت، أ.س. مصدر سابق، الفصل السابع عشر.

(د) وهناك أيضاً دراسة عن ديوى فى بحثنا: التعديلات العربية للتصنيف العشرى لديوى، فى كتابنا: الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين، مصدر سابق، وهو البحث الثانى.

والعملان (أ) و (د) يعالجان كثيرا من مشكلات تطبيق ديوى، سواء تتابع الطبعات أو تعدد التعديلات.

(٢٨) انظر دراستنا السابقة عن التعديلات.

(٢٩) انظر فى هذا الصدد موقف التعديلات العربية فى مؤتمر بغداد وتوصياته فى كتابنا: الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين، المقدمة.

(٣٠) على مدى يقرب من خمسين عاما لم يدرس التصنيف إلا خمس رسائل فقط.

(٣١) محرر الطبعة العربية من التصنيف العشرى، وهى ترجمة معدلة للطبعة ١١ المختصرة، والتى أصدرتها المنظمة العربية للتربية والثاقة والعلوم (١٩٨٣) قام هو نفسه بمراجعة نسخة مترجمة ومعدلة أعدها أحد مواطنيه فى نفس الوقت أو بعده بقليل. فأى فكر وراء تلك الأعمال، فى حين قام ثالث بإعداد نسخة أخرى (الأسماء على التوالى: محمود الأخرس، اسماعيل الدباس، يونس الخاروف).

(٣٢) وجهت إحدى طالبات الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز بجده إلى دراسة مشكلات تطبيق ديوى في المكتبات السعودية، ولا أعرف النتائج التى توصلت إليها الباحثة، حيث أننى لم أطلع على الرسالة بعد إتمامها.

(٣٣) الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين. وتتعلق التوصيتان ١٧، ١٨، بالخطة العربية للتصنيف؛ الأولى (١٧) تتعلق بآلية استكمال الخطة باعتبار ذلك عملاً جماعياً للأقطار العربية، والثانية (١٨) تنص على ما يأتى:

«١٨ ـ يوصى المؤتمر بتعميم تدريس الخطة العربية للتصنيف فى أقسام ومعاهد المكتبات بالوطن العربى لتكوين الكوادر الفنية القادرة على تطبيق الخطة والإسهام فى تطويرها. على أن ترسل المنظمة وثائق الدراسات المتعلقة بتلك الخطة إلى هذه الهيئات». (ص ص ١٧ ـ ١٨).

والتوصيتان السابقتان هما توصيتان للأقطار العربية، وقد سبق ذلك توصيات للمنظمة تتعلق بالتصنيف، ونصها كما يأتى:

«ثانيا: فى مجال التصنيف:

«توصيات للمنظمة

«١٢ ـ يقر المؤتمر الأسس العامة للخطة العربية للتصنيف المقدمة إليه على أن تركز الجهود لاستكمال بناء هذه الخطة على ضوء تلك الأسس.

«١٣ ـ يوصى المؤتمر بأن تطلب المنظمة من المكتبات المتخصصة فى علوم الدين

الإسلامى وعلوم التربية والاجتماع تطبيق هذه الأقسام التى صدرت من الخطة العربية للتصنيف.

«١٤ ـ يوصى المؤتمر بأن تدعو المنظمة المكتبات ذات المجموعات الشاملة إلى البدء بتطبيق الخطة العربية للتصنيف فى الأقسام المشار إليها أو الانتظار حتى يتم استكمال الخطة.

«١٥ ـ يوصى المؤتمر بأن تقوم المنظمة بإبلاغ المكتبات المعنية بما يتم إنجازه من أقسام الخطة العربية للتصنيف بغرض تطبيقها فى هذه المكتبات.

«١٦ ـ يوصى المؤتمر بأن تخصص المنظمة دورات تدريبية للمصنفين فى مجال تطبيق الخطة العربية للتصنيف».

أما التوصية رقم ١٧ فهى كما يأتى:

«١٧ ـ لما كان استكمال الخطة العربية للتصنيف يحتاج إلى إمكانات بشرية وتمويل واسع يوصى المؤتمر الأقطار العربية بتشكيل لجان عمل فى كل قطر عربى تتولى العمل فى قسم أو أكثر من أقسام هذه الخطة وفق الإطار العام الذى تبنته المنظمة وأقره المؤتمر. ويتم إخطار المنظمة بأسماء أعضاء هذه اللجان ورؤسائها فى موعد أقصاه آخر فبراير (شباط) ١٩٧٨) ليتسنى للمنظمة عقد اجتماع لهم خلال نفس العام، وذلك لمناقشة ما أنجزوه ولمواصلة العمل فى الاتجاه المقرر. على ألا يقل عدد الأقطار العربية التى تكون أبلغت المنظمة أسماء ممثليها عن أربعة أقطار كشرط لعقد المنظمة للاجتماع المشار إليه».

«وفى هذا المجال فإن المؤتمر يشيد بالجهود التى بذلت فى إعداد ما تم من تلك الخطة، كما ينوه بالجهود التى بذلتها المنظمة فى سبيل إخراجها إلى حيز التنفيذ واستكمالها».

(٣٤) وأنا أهدى التوصيات السابقة إلى «الزميل» الكبير القادم إلى عالم المكتبات والمعلومات من عالم الفيزياء والجمادات، لعل فى هذه التوصيات، التى تعبر عن إجماع ورأى عام لم ينعقد مثله فى أى قضية من القضايا الخاصة بمجالنا حيث حضر المؤتمر الثانى للإعداد الببليوجرافى للكتاب العربى ما يزيد

على ١٤٠ من قيادات العمل المكتبى فى الوطن العربى، لعل فيها ما يجعله يدرك مدى خطأ أقواله التى كتبها فى كتاب نشر على نفقة معهد علمى أسسه المسلمون بأموالهم للدفاع عن الإسلام وتوضيح صورته أمام أهل الغرب. ولعله يعرف أن هناك فرقا بين توصيات تعبر عن رأى عام لعلماء المكتبات والمعلومات، وبين أقوال تتداول فى الجلسات الخاصة وتصدر عن نيات لا يعلمها إلا الله. وقد يتسع الوقت فى المستقبل لتتبع هذه الأخطاء بالتفصيل. أما الآن فأمامى ما هو أهم.

(٣٥) انظر فى هذا: تعليم العاملين فى المكتبات، فى كتابنا: التصنيف العملى والتكشيف، ص ص ٢٦ ـ ٣١.

(٣٦) المصدر السابق.

(٣٧) كل الكتب القياسية مثل ملز، ويندام، وفوسكت (أ. س.) ووابنر وريتا مارسيلا وراولى تعقد فصلاً عن التصانيف المتخصصة. وكذلك كتبت فصلاً عن التصانيف المتخصصة فى رسالتى للماجستير، وفى كتابى التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات. وأنا أكتفى بهذه الملحوظة المختصرة منعا للإطالة.

(٣٨) انظر فى هذا

Davison, Keith. Theory of classification: an examination guidebook.- Bombay: Asia Publishing House, 1966.

(٣٩) للحصول على معلومات وافية عن آراء مدارس التصنيف انظر: عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. دراسة مقارنة... مصدر سابق. الجزء الثالث كله.

(٤٠) ملز، ج. نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات. مصدر سابق، الفصل العاشر.

(٤١) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. الخطة العربية للتصنيف: الأسس والإطار العام ونظرية المسلمين فى تنظم المعرفة. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦.

(٤٢) انظر فى هذا:

Davison, K. op. cit., pp. 26 - 27.

(٤٣) العلاقة بين التصنيف وأنظمة التكشيف وبناء المكانز هى إحدى القضايا المهمة الآن فى الموضوع وسوف ينشر قريبا فى مجلة المكتبات والمعلومات العربية وقد سبق أن ذكرت أننى أعددت بحثا عن دور التصنيف فى التكشيف الموضوعى. وقد أعطيت بعض المصادر عن هذه المسألة، انظر هامش (١).

(44) Journal of the American Society for Inforuation Science, Jan - Feb,. 1975.

(45) Rowley, J. Organizing knowlege in libraries. p. 176.

وقد خصص الكتاب الفصل الثالث عشر كله لنظرية التصنيف هذا علما بأن كتاب راولى هذا مسطح إلى حد كبير لأنه يتناول كل طرق الوصول من وصفية وموضوعية، وعلى هذا فإن معالجته ليست متعمقة. أما الكتب الأخرى التى خصصت لطرق الوصول الموضوعية فقط، أو للتصنيف فقط فإنها تخصص أجزاء كبيرة لدراسة نظريات التصنيف، وهذا يعد دليلاً على ضرورة دراسة نظرية التصنيف. وتفيد هذه الإشارات أيضاً فى كون تلك الكتب مصادر مهمة لدراسة نظرية التصنيف.

- Bliss, H.E. the Organization of knowledge and the system of the sciences, 1929.

- Bliss. The organization of knowlege in libraries and the subject approach to books, 1939.

- ملز ج. نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات، مصدر سابق.

- Sayers, W.C.B. Manual of classification, 5 th ed. edited by Arthur Maltby, 1975.

- فوسكت، أ.س. تنظيم المعلومات فى المكتبات ومراكز التوثيق، ١٩٨٠.

- Marcella, Rita, Newton, Robert. A new manual of classification, 1994.

هذا عن الكتب القياسية. وهناك عدد لاحصر له من الكتب التى خصصت لنظرية التصنيف فقط، أو ضمت فصولاً عن نظريات التصنيف ومنهج بناء الأنظمة، وخاصة مبادئ التحليل الوجهى.

(47) Marcella, Rita, op. cit. p. 219.

(٤٧) التحليل الموضوعى فى فهارس البحث المباشر، وهو لا يقتصر على طريقة واحدة من طرق الوصول الموضوعى بل يعالجها جميعا إلى جانب فصول تقديمية وفصول عن التفاعل بين المستفيد والنظام، وعن تقويم أنظمة الاسترجاع.

(48) Marcella, Rita: op.cit.,p. 220.

(49) Kelley, Grace. The classification of books, 1937.

(٥٠) ملز، ج. نظم التصنيف... الفصل ١٥ كله.

(51) Marcella, Rita: op.cit. pp 181 - 214.

(52) Pearrault, J. Reclassification: Rational and problems, 1988, Downs Robert. The administrator looks at classification (ln: The role of Classification in the Modern American Library , (1959), Gore, Daniel. A negelected topic: the cost of classification. Library Joural, vol. 89, No 11, June 1, 1964. pp. 2287. 91.

الفصل السادس

التصنيف
المفاهيم والمصطلحات
والتعريفات

تناولنا فى الفصل الثانى المفاهيم والمصطلحات الأساسة لمجال تنظيم المعرفة، وهو المجال الأعم الذى ينتمى إليه التصنيف. وقد تناولنا تطور استخدامات المصطلحات فى المجال على مدى يزيد عن مائة عام. وهذه المفاهيم فى الغاية من الأهمية حتى لايحدث ليس أو خلط عند تناول أو دراسة هذه المصطلحات، وحتى تكون هذه المفاهيم والدلالات واضحة لدى القارئ. ولعل ذلك أن يكون مساهمة متواضعة فى سبيل توحيد المصطلحات.

ونخصص هذا الفصل للمفاهيم والمصطلحات والتعريفات الأساسية فى التصنيف.

ونقصد بالمفاهيم والمصطلحات الأساسية، تلك المفاهيم المصطلحات التى تكوّن التراث الفكرى التصنيفى سواء فى ذلك التراث القديم أو التراث الحديث. والحقيقة أن قدرا كبيرا من الفكر التصنيفى الحديث ومصطلحاته مرتبطان أشد الارتباط بالتراث التصنيفى القديم، بما فى ذلك لفظ تصنيف نفسه، وذلك لأن المرحلة الأولى من مراحل التفكير فى التصنيف فى العصر الحديث استفادت من الأسس الفلسفية النظرية للتصنيف. هذه الأسس درسها التراث اليونانى القديم مرتبطة بقواعد التقسيم المنطقى، ثم تناولها التراث الإسلامى بشكل مفصل وقوى، ولعلها انتقلت إلى العصر الحديث عن طريق التراث الإسلامى. وسوف نجد أن كثيرا من مفاهيم التصنيف ومصطلحات موجودة فى التراث الإسلامى قبل ذلك بمدة طويلة.

وإن المصطلحات والأسس الفلسفة والنظرية للتصنيف قد درست فى العصر الحديث كجزء من النظرية التقليدية للتصنيف، وظلت تدرس زهاء مائة عام، ثم أخذت تختفى من الكتب الحديثة تدريجيا، حتى اختفت تماما من الكتب الحديثة. وهى تكون جزءا مهما فى الكتب القياسية للتصنيف مثل: ريتشاردسون، وسايرز، وبليس، وهذه هى المصادر الأصلية لدراستها. وقد نقل عن هذه الكتب الأصيلة عدد

لاحصر له من الكتب الأخرى، منها فيليبس، ومن أهمها شيرا وإيجان، وعدد كبير آخر من الكتب الحديثة. ثم جاءت مختصرة فى كتاب ملز، ثم اختفت تماما من الكتب الأحدث من أمثال د. ج فوسكت، وفيكرى، وراولى، أ. س. فوسكت، ومارسيلا، وغيرها من الكتب[1].

ونحب أن نستخلص هنا بعض الأمور:

١ ـ أن هذه الأجزاء من الفكر التصنيفى، وإن كانت قد اختفت من الكتب الحديثة إلا أنها موجودة فى المصادر الأسبق، ومعنى ذلك أنها متاحة لمن يريد دراستها من الأساتذة والمكتبيين والطلبة فى الغرب: فى بريطانيا وأمريكا، وغيرهما.

٢ ـ أن هذه الأجزاء مهمة جدا لدارس التصنيف، وخاصة هؤلاء الذى يريدون أن يتخصصوا فيه ويتابعوا دراستهم، فهى تكون إطارا فكريا مهما لاغنَى عنه لمن يريد أن يفهم التصنيف حق الفهم.

٣ ـ أن هذه الأجزاء فى الغاية من الأهمية لمن يريد أن يعد نظاما للتصنيف سواء كان عاما أو متخصصا، لأنها توفر الضابط لعملية التصنيف، وبدونها فمن المؤكد أنه سوف تحدث أخطاء وسوف يحدث تضارب. ولاشك أن الافتقار إلى دراستها من جانب هؤلاء الذين تصدوا لاعداد أعمال عربية فى التصنيف ـ هو المسئول عن كثير من الأخطاء التى وقع فيها هؤلاء، مع تقديرنا الكامل لجهودهم وما بذلوه.

وأرجو أن يوفقنا الله العلى الأعلى العليم الحكيم لدراسة تلك الأعمال وبخاصة التعديلات العربية للتصنيف العشرى لديوى، حيث أنها تمثل الجانب الأكبر من تلك الأعمال، وأن نشير إلى بعض التضاربات التى نشأت بسبب عدم دراسة نظرية التصنيف بعامة، والأسس الفلسفية للتصنيف بخاصة، وذلك فى كتاب مستقل من كتب هذه السلسلة.

٤ ـ لذلك فإننا فى عمل شامل كهذا الذى بين أيدينا الآن نجد من واجبنا أن نتناول هذه المفاهيم والمصطلحات حتى تكون ركيزة للأجيال، وحتى تأخذ مكانها الطبيعى فى التراث التصنيفى العربى وفى المكتبة العربية، حتى لا يأتى

زمان يبحث عنها الناس فيه فلا يجدونها، فيلومون الجيل الذى أخذ على عائقه توطئة أكناف العلم ـ علم المكتبات والمعلومات ـ للباحثين والدارسين.

٥ ـ أن هذا الجزء بصفة خاصة له علاقة وثيقة بالتصنيف عن المسلمين. والحقيقة أن ثمة نقطة فى الغاية من الأهمية بالنسبة لقضية المصطلحات فالكثير من المصطلحات ـ كما ذكرت منذ قليل ـ موجودة لدى المسلمين، وقد أخذت طريقها إلى الفكر التصنيفى الحديث نقلا عن المسلمين، ثم عادت إلينا كجزء من علم التصنيف الحديث. وإنصافا للتراث الإسلامى، وإنصافا لأنفسنا حتى ينصفنا الآخرون، لابد من الاشارة إلى هذا الجزء عند المسلمين، فليس من المعقول إن نأخذ فكرنا عن طريق غيرنا، وهو ما يحدث للأسف فى كثير من الأحيان. إذن يجب ألا نعتبر مفاهيم التصنيف عند المسلمين والموجودة الآن مقابلات لمصطلحات حديثة للتصنيف وإنما هى مصطلحات أصيلة عند المسلمين.

لكل هذه الأسباب سوف أدرس هذا الجزء، وسوف أبدأ مصطلحات ومفاهيم التصنيف عند المسلمين فى إشارة جامعة، ثم أتناول المصطلحات والمفاهيم الأساسية مشيرا عند الحاجة إلى المصطلح العربى الأصيل.

ومما يجب ذكره أننى فى كل الأحوال سوف أتناول المفاهيم والمصطلحات الأساسية فقط، وأشير إشارة سريعة إلى مصطلحات المدارس الأخرى. وذلك لأن إيراد المصطلحات كلها من شأنه أن يحتاج إلى قاموس مصطلحات. فهذه كثيرة جدا. وثمة كتاب أو أكثر فى السلسلة يتناول نظريات التصنيف ومدارسه ومنهج إعداد أنظمة التصنيف، وسوف يرد الكثير من المفاهيم والمصطلحات والتعريفات آنذاك، ولكن فى سياقها الصحيح، وذلك أيضا حيث لا يكون هناك تباعد بين المصطلحات والنظريات والمنهج.

مفاهيم التصنيف ومصطلحات عند المسلمين

إن موضوع التصنيف عند المسلمين يمكن تناوله من زوايا متعددة:

١ ـ نظم التصنيف التى ظهرت عند المسلمين إبان عصر الحضارة الإسلامية الزاهر.

٢ ـ نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة وترتيب العلوم، والاتجاهات الفكرية التى كانت موجودة فى المجتمع الإسلامى.

٣ ـ العلاقة بين التصنيف وكتب المنطق والتى كونت المصطلحات والمفاهيم الأساسية جزءا منها.

٤ ـ ما كتبه المسلمون من أفكار فى التصنيف ضمن الأفكار والمنهج التربوى عندهم.

٥ ـ العلاقة بين التصنيف وعلم الكلام أو علم التوحيد أو علم أصول الدين أو علم العقائد[٢].

٦ ـ العلاقة بين التصنيف والتعريف، وهى علاقة لم تكتشف حتى الآن اكتشافا كاملا ولم يكتب عنها بالشكل المناسب.

ولا أستطيع بطبيعة الحال أن أدرس هذه الجوانب الآن وإنما أشير فقط إلى أمرين:

١ ـ أننى قد درست بعض هذه الجوانب فى دراسات سابقة[٣].

ولست أزعم أننى قد استوفيت الدراسة أو أنها دراسة شاملة لأن الموضوع يحتاج إلى توفر كامل والرجوع إلى عدد لا حصر له من المصادر فى العلوم الإسلامية المختلفة، وفى كتب موضوعات العلوم وكتب التوحيد وعلم الكلام، إلخ.

٢ ـ أننى سوف أعود إلى دراسة هذه القضية من جوانبها المختلفة بقدر الامكان فى أكثر من مكان فى هذه السلسلة.

فى تاريخ التصنيف وتطوره

فى نظريات التصنيف ومدارسه

فى منهج إعداد نظم التصنيف

فى تنظيم الأقسام الرئيسية لخطة التصنيف العامة وهو ما أسميناه: نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة[٤].

ولست أزعم أننى فى كل هذا أستوفى الدراسة. وإنما هى خطوات وبدايات

وإشارات وتنبيهات، ولعل الله سبحانه وتعالى يقيض لهذه القضايا من الأجيال الجديدة من يتوفر على دراستها، بحيث يكتب هذا الجزء كتابة شاملة وافية. نحن نزرع بذورا فى التربة المكتبية العربية، لعل هذه التربة أن تكون صالحة ولعل البذور تنمو وتترعوع حتى تصير أشجارا باسقة يتفيؤ ظلالها الباحثون والعلماء على مر العصور.

ولنشرع الآن فى دراسة مفاهيم التصنيف ومصطلحاته عند المسلمين.

التصنيف فى معاجم اللغة العربية ودوائر المعارف العربية

عرف التراث الإسلامى لفظ التصنيف ومفهومه بصورة واضحة. وقد جاء ذلك فى سياقات متعددة. ونبدأ بالتصنيف لغة؛ أى التصنيف فى معاجم اللغة العربية.

ذكر الجوهرى فى الصحاح أن تصنيف الشئ: جعله أصنافا وتمييز بعضها عن بعض[٥]. ومعنى التصنيف عند ابن منظور لايختلف عن معناه عند الجوهرى، فعنده أن التصنيف: تمييز الأشياء بعضها من بعض؛ وصنف الشئ: ميز بعضه من بعضه، وتصنيف الشئ: جلعه أصنافا[٦].

والمعنى نفسه نجده عند كل من الفيروزابادى[٧]، والزبيدى[٨].

كذلك نجد المعنى نفسه فى دوائر المعارف العربية، ومنها: دائرة معارف القرن العشرين[٩].

أما الصحاح فى اللغة والعلوم، فيعطى مزيدا من التفاصيل. فعنده أن: الصِّنف والصَّنف: النوع؛ والتصنيف لغة هو التنويع والتأليف. ومنه تصنيف الكتب (أى تأليفها)؛ واصطلاحا: تقسيم الأشياء أو المعانى وترتيبها فى نظام خاص وعلى أساس معين بحيث تبدو صلة بعضها ببعض، ومنه تصنيف الكائنات الحية وتصنيف العلوم[١٠].

كذلك استعمل التراث الإسلامى لفظ التصنيف بمعنى التأليف؛ واللفظ مستعمل بكثرة فى كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم، تأليف أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زادة، وكذلك مشتقات اللفظ. فكثيرا ما يذكر عن المؤلف أنه. صنف كتابا فى كذا؛ ومن المصنفات... أى

المؤلفات، من ومصنفاته أى من مؤلفاته؛ ومن التصانيف، أى التأليف، إلخ، وسوف نعود إلى مفتاح السعادة بعد قليل، باعتباره قمة كتب موضوعات العلوم.

وقد عقد ابن خلدون فصلا فى مقدمته فى أصناف العلوم الواقعة فى العمران لهذا العهد(١١).

التصنيف فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

لايوجد لفظ التصنيف **فى القرآن**، ولكن القرآن الكريم استعمل مفهوم التصنيف أو معناه وليس اللفظ نفسه، كذلك استعملت السنة النبوية المطهرة اللفظ والمعنى.

ففى القرآن الكريم قول تعالى:

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١٢).

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿ سبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾(١٣).

وقد ذهب المفسرون إلى أن الزوج والأزواج هنا تعنى الصنف والأصناف(١٤).

وفى السنة النبوية المطهرة استخدم لفظ صنف، وصنفان، وأصناف. وقد راجعت فى ذلك: المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى، وهو عن الكتب الستة وعن مسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل، تحت مادة:

صنف جمع أصناف

ومن الأمثلة على الأحاديث:

صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب

صنفان من أهل النار لم أرهما

إذا اختلف الصنفان فلابأس

فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم

إنك إن بقيت سيقرأ القرآن ثلاثة أصناف، فصنف لله وصنف للجدال وصنف للدنيا
ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، إلخ (١٥).

التصنيف فى كتب علوم الحديث

عند دراستى لكتب علوم الدين الإسلامى أثناء إعداد تصنيف لها(١٦)، تبين بوضوح أن العلماء المسلمين يعرفون التصنيف لفظا واصطلاحا وعملية، وأنهم قد صنفوا العلوم المختلفة تصانيف مفصلة إلى حد كبير جدا. وحتى لا نخرج فى هذا الفصل عن إطار المصطلحات والمفاهيم، فإننى أجتزئ ببعض الأمثلة.

فمثلا: عندما تناول السيوطى علوم الحديث ذكر أنها كثيرة لا تعد، وأنها مائة على ما قال الحازمى، وأن ابن الصلاح ذكر منها فى مقدمته ٦٥ نوعا، وقال ابن الصلاح: وليس بآخر الممكن فى ذلك فإنه قابل للتنويع إلى مالا يحصى(١٧).

ونلاحظ هنا استخدامه لكلمة تنويع، وهى تعنى تصنيف أو تقسيم، وهما يستخدمان فى التراث التصنيفى بمعنى واحد.

كذلك ذكر السيوطى وغيره(١٨) أصناف المرويات: وهى المصنفات من المسانيد والمعاجم وغيرها. كذلك استعملوا فى هذا السياق: أنواع المصنفات؛ وهى كما ذكرت سابقا: أنواع المؤلفات، ويهمنى فى الاستعمال الأخير لفظ أنواع، وهو لفظ تصنيفى جمع نوع.

التصنيف فى كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم

وقد أفردته بالمعالجة، لأن تناوله للموضوع تناول فريد، ثم إن كتاب مفتاح السعادة أبرز نماذج كتب موضوعات العلوم وأكملها.

لم يستخدم صاحب مفتاح السعادة لفظ التصنيف بالمعنى الحالى، وإنما استخدم مفهومه، وجعله أحد العلوم الثلاثمائة التى تشتمل عليها المعرفة عند المسلمين، أى

أنه رفعه إلى مرتبة العلم، واعترف به كدراسة مستقلة. وقد أسماه «علم تقاسيم العلوم». والتقاسيم جمع تقسيم، أى أن مفرده تقسيم العلوم. والتقسيم والتصنيف يستخدمان فى التراث التصنيفى ـ كما ذكرنا منذ قليل ـ بمعنى واحد. وربما كان ذلك لأن العملية الرئيسية فى التصنيف هى عملية التقسيم أو القسمة. وسوف تتضح هذه المسألة أكثر فى سياق هذا الفصل.

ويرجع كتاب مفتاح السعادة إلى عام ٩٤٨هـ = ١٥٤١م أى أن يمثل المعرفة عند المسلمين بعد أن اكتملت. وهو يقول عن علم تقاسيم العلوم:

· «وهو علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ليحصل بذلك موضوع ذلك الأعم. ولما كان أعم العلوم موضوعا العلم الإلهى جعل تقسيم العلوم من فروعه».

«ويمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم على عكس ماذكر، لكن الأول أيسر وأسهل»[١٩].

ونستفيد من عبارات مفتاح السعادة ما يأتى:

١ ـ أن جعل علم تقاسيم العلوم ـ أى علم التصنيف ـ فرعا من العلم الإلهى، أى ذلك الفرع من الفلسفة الذى يعالج الالهيات عند فلاسفة الإسلام. وهذا هو دون شك أحد التأثيرات التى تركتها الفلسفة اليونانية، حيث نقل فلاسفة الإسلام من أمثال الكندى والفارابى وابن سينا ـ نقلوا تصنيف اليونانيين ممثلا فى أرسطو ضمن ما نقلوه من فلسفاتهم[٢٠].

ومما يدل على ذلك أن طاش كبرى زادة يذكر ـ على نهجه فى ذكر المؤلفات فى كل علم أن لابن سينا رسالة فى هذا العلم. وهو يقصد ولاشك رسالة ابن سينا فى أقسام العلوم العقلية[٢١].

٢ ـ أن التصنيف عنده يعنى التقسيم: علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها، والهدف منه: أى من هذه العملية هو: ليحصل بذلك موضوع ذلك الأعم، أى أن التصنيف جزء من عملية التعريف: أى معرفة فروع

خلال تقسيمه؛ هو عملية معرفة الأجزاء من خلال تقسيم الكل. وقد ذكرت من قبل أن العلاقة بين التصنيف والتعريف لم تدرس بعد إلى الآن دراسة كافية.

ولاتزال عملية التقسيم (القسمة) division حتى الآن عملية أساسية فى التصنيف، وخاصة فى الخطط التقليدية.

٣ ـ أضاف طاش كبرى زادة عملية أخرى، وهى: التدرج من الأخص إلى الأعم على عكس الطريقة الأولى؛ أى ما يسمى: التكثير من أسفل إلى أعلى، أى من الخاص إلى العام. فإذا كان التقسيم يعنى التكثير من أعلى إلى أسفل: أى الانتقال من العام إلى الخاص، وهو الطريقة الاستدلالية، فإن الطريقة الثانية تعنى الانتقال من الخاص إلى العام، وهى الطريقة الاستقرائية، وهى التى لم تعرف فى التراث الفكرى التصنيفى الحديث إلا حديثا على يد چاستون فرادان فى سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢[٢٢].

وتسمى العملية فى مصادر عربية أحدث: التحليل. وهذه المصادر وإن كانت أحدث زمنا، إلا أن مادتها تنتمى إلى التراث الإسلامى بالكلية[٢٣].

٤ ـ أدرك صاحب المفتاح أيضا أن الطريقة الأولى: أسهل وأيسر، وهذا صحيح تماما، لأن الأسهل أن نبدأ بتعميمات توصلت إليها البشرية على مدى تاريخها الطويل، أى أن الانتقال من الكليات إلى الجزئيات أسهل من الطريقة العكسية. وعلى أية حال، فهذا الموضوع أدخل فى النظرية العامة للتصنيف، وخاصة فى الجزء الذى يتعلق بالأقسام الرئيسية، فالتفصيل هناك أليق، وسوف يأتى فى حينه إن شاء الله[٢٤].

وبمناسبة مفتاح السعادة، فإن مما يجدر ذكره أن المسلمين قد عرفوا أيضا الاستفادة من التصنيف فى ترتيب الكتب، سواء فى المكتبات أو الكتب البيليوجرافية. ودليلنا على ذلك كتاب الفهرست لابن النديم وكتاب مفتاح السعادة نفسه. وقد رتب ابن النديم الكتب المؤلفة والمترجمة على عشر مقالات تمثل أقسام المعرفة فى زمنه. كذلك فإن طاش كبرى زادة قد أورد فى كتابه كل علم من العلوم المعروفة لدى المسلمين وكان مما ذكره بالنسبة للعلم أهم المؤلفات فيه[٢٥].

الأسس الفلسفية للتصنيف والمصطلحات عند المسلمين

إن مما يجدر ذكره أن معرفة المسلمين بالتصنيف لم تقتصر على ما ذكرنا، بل إن هناك مجالات كثيرة لم تدرس بعد دراسة كافية وقد أشرت إلى شئ من ذلك فيما سبق. وننوه هنا بأن المصطلحات المتداولة فى الأسس الفلسفية للتصنيف ـ كجزء من النظرية التقليدية للتصنيف فى العصر الحديث ـ هذه المصطلحات قد عرف التراث التصنيفى الإسلامى الكثير منها. مثال ذلك: المقولات بصفة عامة ومقولات، أرسطو، والمحمولات، والكليات الخمس، وشجرة فورفوريوس، والمفهوم، والماصدق، والتصور، والكثير الكثير من المصطلحات، التى سوف ترد فى سياق ماتبقى من هذا الفصل. وقد اشتمل عليها التراث الإسلامى. ومن يستعرض كتب مصطلحات العلوم، مثل مفاتيح العلوم للخوارزمى يجد مصداق ما أقول. والمصطلحات التى اشتمل عليها المفاتيح مأخوذة بطبيعة الحال من كتب الفلاسفة والمناطقة. وقد نقلت هذه المصطلحات الكتب الحديثة، ومعاجم المصطلحات الفلسفية، بل إن الكثير من المصطلحات الفلسفية نفسها والموجودة فى الكتب الحديثة مأخوذة من كتب الفلاسفة القدماء؛ أعنى فلاسفة الإسلام.

وهذا ليس بطبيعة الحال بحثا مقارنا فى المصطلحات بين القديم والجديد، ولكن محاولة للفت الانتباه إلى أن مصطلحات التصنيف الحديثة التى تكون جانبا كبيرا من مصطلحات المدرسة التقليدية، هذه المصطلحات التى أخذت من الأسس الفلسفية للتصنيف موجودة فى التراث الفكرى التصنيفى لدى المسلمين. وليست مهمتنا بطبيعة الحال أن نتتبع هذه المصطلحات واحدا واحدا. غاية ما نريد أن نقوله أنها اختلطت بالمصطلحات فى العصر الحديث، وأننا حين ترجمة مصطلحات المدرسة التقليدية رجعا إلى مصادرها فى التراث التصنيفى للمسلمين.

مفاهيم التصنيف ومصطلحاته

يشير تطور التصنيف فى العصر الحديث، كما سوف نرى ذلك تفصيلا فى تناولنا لتاريخ التصنيف وتطوره ـ يشير إلى أن أول مدارس الفكر فى التصنيف ظهورا

فى العصر الحديث كانت المدرسة العلمية أو التقليدية. وأبرز رجال هذه المدرسة هم ريتشاردسون وسايرز وبليس. وقد ظلت آراء هذه المدرسة ونظرياتها مسيطرة على الفكر فى التصنيف لمدة طويلة حتى بدأت تخلى مكانها للنظريات الحديثة فى التصنيف المتعدد الأوجه والتى جاءت بها المدرسة الحديثة: رانجاناثان والمدرسة الهندية، وجماعة البحث فى التصنيف والمدرسة البريطانية.

وترى المدرسة التقليدية أن تصنيف الكتب ما هو إلا تصنيف للمعرفة، مع إجراء بعض التعديلات والإضافات التى تتطلبها طبيعة الكتب كوحدات مادية، والتى تتطلب أن يكون نظام التصنيف قادرا على العمل اليومى فى المكتبات. وسوف نتناول آراء هذه المدرسة بالتفصيل فى حينه، مع غيرها من المدارس التى تكون آراؤها نظرية التصنيف. أما الآن فنكتفى بالقول بأن ارتباط آراء هذه المدرسة بتصنيف المعرفة جعلها ترتبط بالأسس الفلسفية للتصنيف، وتشتق كثيرا من قواعدها ومصطلحاتها من قواعد التقسيم المنطقى التى ترسخت فى علم المنطق.

ولما كانت آراء هذه المدرسة ونظرياتها هى التى سادت المرحلة الأولى من التفكير فى التصنيف، فإن مصطلحات التصنيف الأولى ترتبط ارتباطا وثيقا بالأسس الفلسفية والنظرية للتصنيف وبقواعد التقسيم المنطقى. وقد أشرت إلى ذلك فى بداية هذا الفصل.

التصور Concept

التصور هو الفكرة المجردة، وهو الصورة العقلية للشئ، أى إدراك العقل لعدد مترابط من الصفات، أو إدراك العقل لتركيب شئ ما، بحيث يتمكن من تسمية هذا الشئ حيثما ورد فى عالم الواقع باطراد. ومن المعروف أن اللغة هى رموز للأشياء أو الأفكار أو المعانى. ولا يكون للفظ معنى إلا إذا ارتبط بالصورة العقلية للشئ. فإذا قلت مثلا: كتاب، ترتسم فى عقلى الصورة العقلية لكتاب بشكله وصفاته المادية، وكذلك حينما أقول شجرة أو قلم أو تفاحة، إلخ. فكل هذه رموز إلى أشياء، حقيقية ترتسم صورتها العقلية فى الذهن حينما تذكر وبدون التصورات أو الصور العقلية للأشياء أو

المعانى لايكون للغة معنى. فإذا قلت: الغول أو العنقاء، فلن تجدلها صورة عقلية أى تصور، وذلك لأنها أشياء لاوجود لها.

وقد تكون التصورات للمعانى مثل معنى الخير أو الكرم أو الوفاء، أو عكس ذلك. والصور العقلية لها تكون صورا لمظاهرها العملية.

المقولة Category

المقولة هى تصور بالمعنى الذى عرّفنا به التصور تماما. وهى مثل أى تصور شامل تشمل مجموع الوحدات التى تندرج تحت هذا التصور. فمقولة الوجود مثلا هى تصور الأشياء الموجودة؛ ومقولة الكيف هى القسم الذى يضم كل الصفات. وتتصل المقولة اتصالا استشهاديا بأمثلتها، مثلما يتصل قسم التصور «الرجل» بأفراده، مثل محمد، وأحمد، وعلى، وحسين وغيرهم من الرجال الأفراد.

وقد يثير البعض الاعتراض التالى: «إذا كانت المقولة هى التصور، فما الذى يميز المقولة عن القصور اللامقولى؟ مامكان المقولات فى خطة التصورات؟» ونجيب: يختلف التصور المقولى عن غيره من التصورات الشاملة من حيث عموميته وشموله فقط. ومن ثم فإن المقولة تعرف تعريفا تصوريا بأنها تصور على درجة عالية من العمومية وشمول التطبيق، أو يمكن أن تعرف بأنها أعم أنواع الوجود التى يمكن أن يحصل عليها شئ ما[٢٦].

وقد وضع أرسطو فيلسوف اليونان المعروف عشر مقولات عبر بها عن الأقسام العشرة للكون، أو عبر بها عن الأجزاء النمطية للكلام، والتى تستخدم للتعبير الكون، أو الأحكام النمطية للكون. ومقولات أرسطو هى:

١ ـ الجوهر Substance

٢ ـ الكم Quantity

٣ ـ الكيف Quality

٤ ـ الاضافة (الاسناد) Relation

(وبخاصة مثل ضعف، نصف،

أكبر من، الخ)

٥ ـ أين Place

٦ ـ متى Time

٧ ـ الوضع أو النصبة Situation or Position

(مثل قائم أو نائم)

٨ ـ مقولة له (الملك) Possession

(مثل اللباس أو الزينة)

٩ ـ مقولة ينفعل (الانفعال) Activity

(فى أخص معانية كالأفعال المعلومة مثل يقطع أو يحرق)

١٠ ـ مقولة يفعل (الفعل) Passivity or Passion

(مثل صيغة المبنى للمجهول فى أى فعل مبنى للمجهول)[٢٧].

مقولات رانجاناتان الجوهرية Fundamental Categories

وبعد مقولات أرسطو هناك أيضا مقولات كانت[٢٨]. وليس هدفى هنا استقصاء دراسة المقـولات، ولكننى أردت أن أشير إليها فى التراث التصنيفى، لأن لها وجودا فى الفـكر التصنيفى الحديث، وهـى مقولات أو فئات رانجاناثان الجوهرية الخمس Five Fundamental Categories. هذه المقولات أو الفئات هى أساس فكرة التحليل الوجهى Facet analysis عند رانجاناثان، والتى تمثل قلب التصنيف المتعدد الأوجه Faceted، وهى الجزء الذى حظى بالاتفاق على المستوى الدولى فى المؤتمرات التى عقدت للبحث فى التصنيف، ابتداء من مؤتمر دوركنج فى لندن ١٩٥٧[٢٩]. هذا النوع من المنهج الذى نقل التصنيف والبحث فيه فى اتجاه مخالف لما كان عليه وفق النظرية التقليدية. وهذه المقولات هى:

١ ـ الزمان Time

٢ ـ المكان Space

٣ ـ النشاط أو الفعل Energy

٤ ـ المادة Matter

٥ ـ الشخصية Personality

وتعرف بصيغة PMEST (ش م ط ن ز) ويلاحظ أن ترتيب الحروف الأوائلية يسير عكس ترتيبها فى القائمة بحيث بدأت بالشخصية P وانتهت بالزمان T. وذلك لأن ترتيب الأوجه فى الصيغة يسير حسب مبدأ تناقص المحسوسية، ولكن ترتيب الكتب على الرفوف وفى الفهرس المصنف يسير عكس ذلك، حسب مبدأ تزايد المحسوسية. ومن المعروف أن وجه الزمان، فى هذه الصيغة، هو أقل الأوجه محسوسية، وأن وجه الشخصية هو أكثرها محسوسية.

وإذا كنا قد عرفنا المقولات عند أرسطو، فما تعريف المقولة فى تصنيف المدرسة الحديثة ـ مدرسة رانجاناثان. لقد حاول إريك دى جرو لبيه، وهو عالم تصنيف فرنسى ألف كتابا عن المقولات، حاول تعريف المقولة، وقد وجد فى هذا الصدد غموضا فى الانتاج الفكرى لموضوعنا، فأحيانا يؤخذ اللفظ فى معناه الأوسع والأعم: مثلا يعتبره، ولدهاك، مرادفا لوجهة النظر التى يمكن أن يقسم بها الموضوع. ويعتبره د. ج. فوسكت مرادفا للفظ، وجه، الذى ابتكره رانجاناثان أيضا، ويرى أن التحليل الوجهى Facet analysis عبارة عن تحليل موضوع ما فى كليته إلى عدد معين من «أوجه» أو «مقولات» أو «فئات» الأشياء، وفى داخل كل فئة تمتلك الرؤوس التى تم حصرها فيما بينها نفس العلاقة التى للموضوع فى كليته(٣٠).

أما رانجاناثان فيستخدمها بصورة أكثر تخصيصا، كما يذكر دى جرولبيه، فكل وجه لأى موضوع، وكذلك كل بؤرة لأى وجه، تعتبر إبرازا لواحدة من المقولات الخمس الجوهرية. ويعلق دى جرولبيه: «ومع أنه يمكن تتبع هذه الفكرة فى التراث الفلسفى أو حتى الصوفى، فهى تبدو عند رانجاناثان متصلة بشاغل عملى جدا هو «ضمان تسلسل موحد للأوجه، تحت الموضوعات المختلفة»(٣١) وسوف نعطى عددا

من مصطلحات المدرسة الحديثة فى حينها، وذلك حتى لانقطع هذا التسلسل ولكننا أعطينا مقولات رانجاناثان لأنها جزء من هذا السياق.

الأسماء (الحدود أو الألفاظ) Terms

إذا كان تكوين التصورات ـ أى الأفكار المجردة ـ هو الخطوة الأولى فى أية عملية تفكير، فإن الخطوة التالية، أو الجانب الأخير فى عملية التجريد Abstraction هى عملية التسمية. وبدون الأسماء (الألفاظ) لايمكن نقل الأفكار من عقل إلى آخر.

وفى المراحل الأولى للمعرفة تشتغل العمليات العقلية بتمييز أشياء، أو صفات، أو علاقات محددة، ثم ترتبها فى نظام، ثم تعرف هذا النظام بنوع من العامل اللغوى. وذلك يحدث بالنسبة للفرد الذى يشتغل بالعمل الذهنى وبالنسبة لغيره من الأفراد حتى يأتى وقت تمثل فيه الكلمة أو الاسم أو الرمز هذا النظام المعقد بالذات و«تعنيه» دون غيره.

فإذا نظرنا إلى الأسماء مستقلة عن عملية التسمية، فإننا يمكن أن نعرفها بأنها الكلمات، أو جماعات الكلمات، أو الرموز التى تستخدم لتعيين معنى محدد أو كل استدلالى. وحينما يعطى الاسم لأول مرة، فقد يكون كما يذكر أرسطو مجرد تقليد، ولكن ينبغى على المرء أن يضع فى الحسبان ما ذكره وليم جيمس من أن الأسماء قد تكون مفتعلة أو عفوية، ولكن إذا ما تم فهمها وقبولها فلابد من التمسك بها والاستمرار فى استخدامها(٣٢).

والمنطقى يرد كل الأسماء التى ترد فى أى حكم مهما كان عددها إلى قسمين: الموضوع والمحمول، ويعرفان بأنهما: «الحدان المنطقيان».

ويتم التعبير عن التصنيف بأسماء الأقسام أو ألفاظها، وهى المضايف اللفظى للقسم الذى يدل عليه كل واحد منها، وقد يكون كلمة مفردة أو عبارة تعبر تعبيرا كافيا عن مفهوم القسم الذى تمثله(٣٣).

وينبغى أن تستخدم الألفاظ بمعنى ثابت فى كل مكان من خطة التصنيف

الواحدة، والصورة المثالية هى أن تستخدم بشكل ثابت خلال أى عمل من أعمال التصنيف.

وينبغى ألا تتعدد معانى الألفاظ مطلقا. وقد تكون الألفاظ مصطلحات فنية، وقد تكون دارجة، وهذا يعتمد على الاستخدام المنتظر للتصنيف. وتفضل المصطلحات الفنية بصفة عامة، وهذا يرجع إلى أن الألفاظ ينبغى أن تكون أكثر ثباتا وبقاء، وأن لا تحتمل تعدد المعانى، وأن يتيسر فهمها على نطاق واسع(٣٤).

ولعله من الملاحظ أن كلمة الأسماء أو الحدود أو الألفاظ هى مقابل للفظ، Termsوهى تعنى المصطلحات، وهذا هو المعنى الشائع لها، ولكن المقابلات الأولى هى المقابلات التى وردت فى كتب ومعاجم المنطق والفلسفة. ومن المهم أن نذكر هنا أن المصطلحات أو الألفاظ هى التى تكون لغات التكشيف: التصنيف، ورؤوس الموضوعات، ونظم التكشيف. والقاعدة المنوه عنها هنا فى الغاية من الأهمية حيث يجب أن تستخدم المصطلحات فى النظام كله أيا كان بمعنى موحد، حتى لا يحدث خلط فى المعانى والمفاهيم. ومن المهم أيضاً أن نلاحظ العلاقة بين الألفاظ كلغات للتكشيف وبين اللغة(٣٥).

التعريف Definition

ليس هناك حتى الآن من استطاع أن يصف العلاقة بين التصنيف والتعريف وصفا كافيا. وهذه العلاقة هى فى أحد معاينها علاقة دائرية، بمعنى أن كلا من التصنيف والتعريف من الأساليب الفنية التى تستخدم للتحليل المقنن للظاهرة والوصف المنظم لها. والتصنيف ينبغى أن يبدأ بتحليل واضح لما سوف يتم تصنيفه ـ وهذا هو جوهر التعريف ـ فى حين أن التعريف يصور الأقسام فى داخل سلم مراتب التصنيف Hierarchy.

ويمكن أن نصف التعريف لغة بأنه قضية الموضوع فيها مساو تماما للمحمول، وأحدهما يدل على مفهوم الظاهرة المعرّفة والآخر يدل على الماصدق.

وقد ذكر شيرا عددا من أنواع التعريف المألوفة والمقبولة، وهى تعتمد عادة على طبيعة المادة المعرفة أو على الغرض الذى يستخدم من أجله التعريف. وذكر شيرا أيضاً نقلا عن بليس أن: التعريف هو عملية نجعل فيها مفهوم التصور أو القسم أكثر تميزا خلال إقامته على صفة غالبة أو جوهرية أو أصلية، ثم جعل التفاصيل العرضية أو غير الجوهرية تابعة لهذه الصفة، أو ربما إهمال هذه التفاصيل الثانوية كلية(٣٦).

كذلك نقل شيرا القواعد الرئيسية أو المعايير التى يجدر تذكرها فيما يتصل بالتعاريف، ونحيل إليها هنا إيثارا للاختصار(٣٧).

القسم Class

كلمة Class هى الكلمة التى اشتقت منها فى اللغة الإنجليزية كلمة التصنيف. وهى تعنى صنف أو طبقة اجتماعية، أو طائفة أو فصل دراسى، أو قسم. ويبدو لنا أن كلمة قسم هى أنسب كلمة عربية مقابلة لكلمة Class، لأنها تعبر تعبيرا دقيقا عن تعريفه المنطقى، فضلا عن أن هذه الكلمة قد شاع استعمالها فى سياق التصنيف منذ مدة طويلة. وقد رأينا أن ابن سينا قد استخدم: أقسام العلوم العقلية، وأن مفتاح السعادة قد استخدم: علم تقاسيم العلوم. وعلاوة على ذلك، فإن هذا اللفظ أنسب من غيره فى سياق تصنيف المكتبات، حينما نتحدث عن المعلومات والمكتبات. قد يكون من الشائع أن نقول: صنف من الناس، إلخ.، ولكن إذا تعلق الأمر بالموضوعات والمعلومات فقد لا يكون هذا شائعا.

والأقسام هى العناصر المكونة للتصنيف، وإذا حدث خلط فى التحديد الدقيق للأقسام المستقلة، فسوف يفسد هذا كل الغرض من التصنيف. وهذه قضية كبرى من قضايا إعداد نظام التصنيف العام، سوف نتناولها فى مكانها المناسب من نظرية التصنيف، أما الآن فإننا نقتصر على المفاهيم الأساسية.

ولما كناقد ذكرنا أن مصطلحات التصنيف ينتمى كثير منها - وبخاصة تلك التى تتعلق بالمفاهيم الأساسية - إلى المدرسة التقليدية، فإننا نعطى هنا، وبشئ من

التفصيل، تعريف بليس، لأن بليس هو أكبر رجال هذه المدرسة وأكبر منظر فيها، فقد درس نظرية التصنيف كما لم يدرسها غيره.

يقول بليس:

يتألف القسم من كل الأشياء التى ترتبط، أو ارتبطت، أو يمكن أن ترتبط بواسطة التشابه، وتتباعد بواسطة الاختلاف، عن كل الأشياء الأخرى، فى الطباع أو الخواص أو العلاقات الجوهرية والمهمة والانتقائية التى تعرف بها.

ويجمع ما صدق Extension القسم كل الأشياء، الواقعية الحقيقية أو الذهنية المجردة، المعروفة والتى يمكن معرفتها، الحاضرة والماضية والمستقبلية، والتى يمكن أن تفهم من تعريفه.

ويمكن أن يوجد التشابه بين الأشياء المصنفة أو الاختلاف بين الأقسام فى:

١ ـ خاصية أو خاصة أو علاقة دالة واحدة؛

٢ ـ اثنين أو أكثر من هذه مجتمعة؛ أو

٣ ـ الطبيعة الكلية أو «جوهر الشئ».

أى أن التشابه أو التباين قد يكون جزئيا، أو إضافيا، أو جوهريا أو كاملا، وقد يكون باطنيا أو ظاهريا، وقد يكون كيفيا أو كميا.

والقسم هو جملة الأشياء المعرفة، هو جميع الأشياء فى حالتها الكلية كأشياء كاملة لا خواصها أو كيفياتها أو ما هياتها فقط، رغم أن الأشياء تتشابه؛ أو تتباين من خلال هذه الصفات أو الخواص أو الماهيات كما يعرف القسم بواسطتها.

والقسم كامل احتمالا من حيث أنه لايجمع أو يعم كل الأشياء الكائنة فحسب، ولكنه يشمل كل الأشياء الماضية والمستقبلية والمحتملة التى يمكن أن تعرف بتعريفه أو تسمى باسمه. وهو ليس كاملا فى حالته الراهنة لأنه ليس جامدا أو استاتيا Static، بل هو متطور نام فى ما صدقه ومفهوم هوتعريفه(٣٨)

ويلاحظ أننا قد استخدمنا هنا ـ نقلا عن بليس ـ عددا من المصطلحات: الماصدق Extension، المفهوم Intension، والتعريف والتباين، وهى مصطلحات

فلسفية ومنطقية، وهى ليست مصطلحات حديثة، بل إن مقابلاتها العربية التى أعطيناها رجعنا فيها إلى كتب التراث وإلى المعاجم العربية الفلسفية حتى ننقل المقابلات الصحيحة التى توصل إليها المناطقة القدماء وتقلها الفلاسفة المحدثون. وسوف نعطى شرحا موجزا لها بعد قليل.

هذه المصطلحات تفتح الباب أمام جماعة أخرى من المصطلحات نوردها فيما يلى حتى تكتمل المعالجة.

المحمولات أو الكليات الخمس Five Predicables

عرف التراث التصنيفى جماعة من خمس مصطلحات منطقية تعرف باسم المحمولات أو الكليات الخمس، وهى تعبر عن كل العلاقات الممكنة التى تتعلق بموضوع ما. وقد وضعها المنطقى اليونانى فورفوريوس Porphyry، ويمكن أن نعرفها على النحو الآتى:

الجنس Genus: سلسلة من الأشياء أو الأفكار (أو مصطلح يمثل هذه الأشياء) التى يمكن أن تقسم إلى جماعتين أو أكثر تسمى الأنواع Species.

النوع Species: هو إذن واحد من الجماعات التى يقسم الجنس إليها. واللفظ الإنجليزى مفرد وجمع Species.

الفصل difference: هو تلك الصفة التى تضاف إلى الجنس لتكوين الأنواع.

الخاصة Property: هى صفة مشتركة بين كل عضو من أعضاء الجنس، ولكنها لا تقتصر على ذلك الجنس وليست جوهرية. بالنسبة لتعريف ذلك الجنس: أى أنها توجد فى كل أفراد الجنس ولكنها يمكن أن توجد أيضا فى أفراد آخرين.

العرض Accident: هى صفة يمكن أن يمتلكها أولا يمتلكها أى فرد من أفراد الجنس. وامتلاكها عرض محض وليس له علاقة جوهرية بأى فرد من أفراد الجنس. ويستخدم العرض بكثرة كفصل.

وإن الأسس التى تتضمنها المحمولات تحكم كل التصنيف، لأن كل التقسيم (القسمة) division يستمر عن طريق إضافة الفصول إلى الأجناس[٣٩].

شجرة فورفوريوس Tree of Porphyry

إن المحمولات الثلاث الأولى تتضح ببساطة فى شجرة فورفوريوس المشهورة:

المادة

المادة | ماله جسم | ماليس له جسم

أى الجسم

العضوى | غير العضوى

أى الكائن الحى

الحاس | غير الحاس

أى الحيوان

العاقل | غير العاقل

أى الإنسان

سقراط | أفلاطون | چون براون | آخرون(٤٠).

المادة Substance هى الجنس، يضاف إليها الفصل: امتلاك الجسم أو الجسمية، فنحصل على النوع الجسم... وهكذا أسفل الشجرة حتى نصل إلى الرجل المفرد أو الفرد. ويمكن أن نرى أن: الجسم، والكائن الحى، والحيوان تعامل على أنها أجناس وعلى أنها أنواع، فالجسم مثلا هو نوع من المادة وهو جنس بالنسبة للكائن الحى(٤١).

والمادة، فى اللغة الفنية، هى القسم المفرد الذى يضم لكل، والذى يبدأ عنده التقسيم، ويطلق عليها الجوهر Summon genus. ويقال إن المصطلح المادة له ما صدق كبير ومفهوم صغير، فى حين أن چون براون له ما صدق صغير ومفهوم كبير.

ونعنى بذلك أن مجموع الأشياء أو الأفكار التى تغطيها كلمة مادة هى حصلية هائلة، ولكن الصفات التى يستدل منها عليها قليلة. ومن ناحية أخرى، فإن چون براون يغطى شخصا واحدا فقط، ولكن الصفات التى تفهم منه كثيرة ــ كل تلك الصفات التى تميز چون براون عن كل رجل آخر يعيش أو عاش، فضلا عن تلك الصفات التى تميز الإنسان عن الكائن الحى، والحيوان، إلخ.

ما صدق extension اللفظ هو مجموع الأشياء التى يغطيها ذلك المصطلح. ومفهوم اللفظ intension هو مجموع الصفات التى يعنيها هذا اللفظ، أو بمعنى آخر: الحد الأدنى من الصفات اللازمة لتعريف اللفظ. هناك إذن طريقتان للنظر إلى اللفظ. فى الماصدق ينظر إليه باعتباره اسم قسم Class name، «يغطى» شيئا معينا أو عددا من الأشياء. وفى المفهوم intension ننظر إليه من زاوية معناه أو صفاته، أو جملة الصفات التى تكون معناه.

ويستخدم مصطلحان آخران بشكل مترادف مع الماصدق، والمفهوم، وهما المشمول Denotation والمدلول Connotation على التوالى.

ويضرب فيليبس مثالا على ذلك لفظ «مكتبة». مفهوم أو مدلول لفظ مكتبة هى صفات مكتبة ما، أى: مكان تحفظ فيه الكتب، وتقرأ، وتستعار، إلخ، أما المشمول أو الماصدق، فهو الأشياء التى يغطيها اللفظ، أى كل المكتبات فى العالم، كل تلك المكتبات التى وجدت، والتى توجد، والتى سوف توجد. فإذا تناولنا لفظ «المكتبة العامة» فإن الصفات تزيد، حيث أن هناك خصائص Characteristics تختص بها المكتبات العامة لا تصدق على كل المكتبات ومع ذلك، فإن عدد الموجودات قد نقص. وكذلك مع اللفظ: مكتبة نيويورك العامة، أو مكتبة جلاسجو العامة، فإن المدلول يزيد كثيرا جدا عن مدلول «المكتبة» أو «المكتبة العامة» فى حين أن المشمول أو الماصدق قد تناقص حتى وصل إلى مكتبة واحدة يغطيها اللفظ[٤٢].

ويتبع هذا أنه فى أى جدول، يتم تكوينه عن طريق إضافة الفصول إلى الأجناس، يتبع هذا أن ترتيب سلم المراتب hierarchy يتزايد فى المفهوم تدريجيا ويتناقص فى الماصدق. فالجنس له دائما ماصدق أكبر من أنواعه، وكذلك فإن الأنواع يكون لها دائما مفهوم أكبر من جنسها ـ الجنس الذى تنتمى إليه[٤٣].

وقد أتى العرض السابق بمفاهيم ومصطلحات جديدة، منها سلم المراتب hierar-chy، وهو سلسلة من الأشياء تقسم حسب مراتبها. وهذا المصطلح ذو أهمية كبرى فى أنظمة التصنيف. وقد انتقلت أهميتة إلى فهارس البحث المباشر فى الوقت الراهن[٤٤].

كـذلك ورد مصطلح التقسـيم Division وخاصـية التقسـيم Characteristic of division. والمقصود التقسيم هنا هو التقسيم المنطقى ولعله قد اتضح مما ذكرناه عن الجنس والأنواع، فالتقسيم المنطقى هو عملية تمييز النوع من الجنس، أو تمييز النوع الفرعى من النوع، وذلك عن طريق إضافة خاصية Characteristic مميزة إلى تعريف القسم الأكبر. وبهده الطريقة تستقل الجماعات فى داخل القسم الأعم عن بعضها الآخر عن طريق امتلاكها لصفة لايشترك معها فيها القسم ككل.

والخاصية هى النقطة البؤرية (المركزية) فى عملية التقسيم، ولما كان إجراء التصنيف ينطوى على اكتشاف وتحقيق هوية فصول متتابعة، فإن هناك قواعد للتقسيم تحكم عملية التصنيف، وتسمى هذه القواعد بقواعد التصنيف المنطقى. وقد استعارها التصنيف من علم المنطق وهى ذات قيمة كبيرة لأنها تضبط عملية التقسيم - تكوين الأقسام. وقد عالجت المصادر المختلفة هذه القواعد فليرجع إليها من أراد التفصيل(٤٥).

يصنف Classifiy

الفعل يصنف له معنيان:

« ١ - تكوين أو تصور قسم ما، من كثرة الأشياء، وهذا يعنى ضمنا تشابه الأشياء بحيث تكون نواة قسم ما، وأن الأشياء الأخرى التى تُشبَّه على هذا النحو بعد ذلك سوف تعين لهذا القسم أو ترد إليه.

« ٢ - تنسيق الأقسام فى ترتيب ما، أوربط الأشياء فى نظام ما، وفقا لمبدأ أو تصـور أو عـرض أو مصلحة، وهـذا يعنى ضمنا أن الأشياء لاتصنف، وأن الأقسام لا تتكون فحسب، بل يعنى أيضا أن الأقسام نفسها ترتب وتقنن»(٤٦).

وبعد هذا العرض المفصل للمصطلحات والمفاهيم نأتى الآن إلى لفظ التصنيف.

التصنيف Classification

يعرف بالدوين فى: Dictionary of Philosophy التصنيف بأنه عملية جمع

الأشياء المتشابهة، وكذلك تعرفه دائرة المعارف البريطانية. وتعرفه دائرة معارف Colliers عن طريق تحديد الغرض منه بأنه «تبسيط تناول الوحدات (المواد) المنفردة، سواء كانت أشجارا، أم أشخاصا، أم كتبا، عن طريق تجميع تلك الأشياء التى لها صفات متشابهة».

كذلك ينقل نيدام Needham معنى كلمة التصنيف من:

Shorter Oxford of English Dictionary

وهو: «عدد من الأفراد (أشخاص أو أشياء) يمتلكون صفات مشتركة ويجمعون معا تحت اسم عام أو اسم القسم. نوع، صنف، شعبة»(٤٧).

وهناك عدد كبير من تعريفات لفظ التصنيف ذكرتها المصادر المختلفة ومنها مما ذكره سايرز. فقد أورد أربعة معان مقبولة للفظ التصنيف:

(أ) العملية الذهنية التى يتم خلالها إدراك التشابه أو الوحدة فى صورنا العقلية، ومن خلال هذا التشابه أو الوحدة يتم التأليف بين هذه الصور وتوضع مرتبطة مع بعضها. وهذا هو المعنى المنطقى والواقعى.

(ب) عملية ترتيب الأشياء الواقعية بحيث تمثل الترتيب المجرد فى (أ) وهذا هو التصنيف العملى.

(جـ) قائمة الألفاظ المكتوبة أو المطبوعة التى تمثل نظام تصنيف ما، وهذه تسمى خطة التصنيف Scheme.

(د) عملية وضع الأشياء أو الكتب فى أماكنها الصحيحة فى خطة التصنيف وهذا هو فن التصنيف Classifying أو التصنيف العملى(٤٨).

ومن الواضح هنا أن التصنيف العملى المقصود فى الفقرة (ب) هو غير التصنيف العملى المقصود فى الفقرة (د)، فالأول هو عملية ترتيب للأشياء الواقعية أما الأخير فهو تعيين أرقام التصنيف للكتب وفق خطة تصنيف معينة. ولذلك أسميناه: فن التصنيف، فى مقابل علم التصنيف.

ويعرف فيلبيس التصنيف بأنه «يصدق فى أحد معانيه على ترتيب الأفراد، أو المواد (الوحدات)، أى الأشياء والأفكار المفردة، فى جماعات تبعا لدرجة تشابهها، ثم ضم هذه الجماعات فى فئات أكبر. وتصل العملية إلى نهايتها حينما نصل إلى جماعة واحدة تضم الكل بحيث تشتمل على كل المفردات»(٤٩). أى أن التصنيف يجمع الأشياء المتشابهة ويفصل الأشياء غير المتشابهة.

والتعريفات التى ذكرناها فيما سبق تؤكد على معنى التشابه، إلا أن برود فيلد Broadfield يرفض هذا التأكيد على التشابه ويرى أن الاختلاف قد يكون ذا أهمية أكبر(٥٠).

وقد تفادى بليس الجدل حول هذه النقطة وأعْطَى تعريفا لعله أكثر التعريفات فائدة:

«التصنيف عبارة عن سلسلة أو نظام من الأشياء نسقت فى ترتيب ما، وفقا لمبدأ أو غرض أو تصور أو مصلحة ما، أو مزيج من هذه جميعا. ويصدق اللفظ على الترتيب، سواء ترتيب أسماء الأقسام، أو ترتيب الأشياء الحقيقية والتصورية التى تصنف على هذا النحو. كما أن لفظ التصنيف، هو من خلال الاشتقاق والاستعمال اسم لعملية تصنيف أو ترتيب الأقسام أو الأشياء بوصفها عملية أو طريقة»(٥١).

وقبل أن أترك هذا العرض لايفوتنى أن أذكر تعريفا لأحد أهم وأحدث المصادر فى الموضوع، وهما مارسيلا ونيوتن، حيث يحددان مفهوما كليا للهدف من التصنيف، كما يستخدمانه فى كتابهما بأنه:

«إنشاء نظام موضوعى ذى فائدة قصوى للباحثين عن المعلومات، وصيانة هذا النظام أو الترتيب أو المحافظة عليه، ويمكن أن نعرف عملية التصنيف كما مارسها عبر السنين: المكتبيون، والمؤسسات ذات الصلة والتى تمتلك خزانة معلومات فى شكل كتب وغيرها من المواد، يمكن أن نعرفه على النحو الآتى:

«الترتيب المقنن Systematic بالموضوع للكتب وغيرها من مصادر التعلم و/ أو

الترتيب المقنن المشابه لمداخل الفهرس أو الكشاف بالطريقة التى تكون أكثر إفادة لهؤلاء الذين يبحثون إما عن قطعة محددة من المعلومات أو عرض أكثر مصادر المعلومات احتمالا للبحث الفعال لموضوع من اختيارهم»(٥٢).

وهذا الأسلوب مصمم من أجل تسهيل الاستفادة من المعرفة المخزنة فى مجموعات المكتبة أو خدمة المعلومات. والوثائق تصنف حينما يحاول أى فرد أن يحدد مكان وثيقة ما ـ أو عدد من الوثائق ـ فى موضوع معين، فإن هوية أو ذاتية هذه الوثيقة التى تعالج الموضوع يمكن استرجاعها من النظام وهو فى هذه الحالة مجموعات المكتبة(٥٣).

ورغم أن الكتاب السابق هو خليفة جديد لكتاب سايرز التقليدى Manual إلا أنه ابتعد عن التعريفات التقليدية وعرف الموضوع تعريفا حديثا يمكن أن يصدق فقط على تصنيف الكتب والمعلومات.

ومن دراستى للموضوع لمدة طويلة وتدريسه لعدة عقود فى الجامعات العربية المختلفة، سوف أذكر هنا تعريفات التصنيف بطريقة أرجو أن تكون مفيدة لدراسة الموضوع.

١ ـ التصنيف كعملية عقلية

يمكن أن نعرف التصنيف كعملية عقلية بأنه تكوين التصورات Concepts أو الصور العقلية للأشياء. وهى عملية ذهنية أو عقلية mental process يقوم بها العقل البشرى باستمرار للربط بين الأشياء سواء كان أشياء مادية أو معنوية وبين الصور العقلية لهذه الأشياء.

وعن التصنيف بهذا المعنى، يذكر فيليبس أن:

«التصنيف هو أساسا عملية عقلية، هو طريقة للتفكير؛ فنحن نجمع أو تفصل تبعا لمفاهمينا أو أفكارنا عن الأشياء. ويطلق على العملية العقلية: الجمع أو الفصل عملية التجريد abstraction، وهى معين للذاكرة وقوة التعليل أو التسبيب. ولا يمكن تحقيق ذاتية أى شئ بدونها، بل يمكن فى الحقيقة أن نقول إن كل التفكير

والتعليل يمتلك عملية ما من التصنيف. فحينما ندرك أو نتعرف على، كلب أسود صغير، فإننا نميز الكلب كحيوان عن كل الثدييات الأخرى، ثم نميزه أيضاً من حيث الحجم واللون، وأن «الكرة مستديرة»، وأن «الدجاج يضع البيض» وأن البقر يعطى اللبن، وأن الطيور تطير، وأن الحذر ضرورى إذا أردنا أن نعبر ميدانا مزدحما، فنحن فى كل هذا نصنف بطريقة آلية»(٥٤).

وعن علاقة التصنيف بالعلم، يقول فيليبس:

«وفى تاريخ كل علم، يكون التصنيف أول طريقة تطبق أو توظف، وعلى هذا فإن كل علم هو فى أحد معانيه علم تصنيفى(٥٥).

«وقد قَدَّر چيڤونز (العالم المشهور) العلاقة بين العلم والتصنيف فى الكلمات التالية: العلم... هو اكتشاف الذاتية، والتصنيف هو أن نضع معا، سواء من حيث الفكر أو من حيث التجاور الفعلى فى المكان، تلك الأشياء التى اكتشفت الذاتية فيما بينها. ويتبع هذا، أن قيمة التصنيف مساوية أو مطابقة Co - extensive لقيمة العلم والتعليل العام. فنحن حينما نكون قسما فإننا نضغط الكثرة إلى الوحدة، ونكتشف الواحد فى الكثرة كما يقول أفلاطون»(٥٦).

٢ ـ التصنيف بالمعنى العام

أما التصنيف بالمعنى العام فهو جمع الأشياء المتشابهة وفصل الأشياء غير المتشابهة، ويتحدد التشابه أو الاختلاف بناء على امتلاك الأشياء ـ أو عدم امتلاكها ـ لصفة معينة تسمى الخاصية.

والخاصية Characteristic هى صفة جوهرية فى الشئ وهناك عدد من الصفات الجوهرية Essential التى تعطى للشئ هويته أو ذاتية أى تجعل الشئ هو هو وليس شيئا غيره، وهى فى نفس الوقت لا توجد فى غيره، مثل صفة النطق فى الإنسان.

ولكن هناك أيضا صفات أخرى توجد فى الأشياء، ويمكن أن تستخدم أساسا للتصنيف أحيانا. والمهم أن تكون الخاصية أساسية بالنسبة للغرض من التصنيف.

مثال ذلك: حينما يصنف عالم النبات Botanist النباتات المختلفة فإن الخصائص

التى يختارها أساسا للتقسيم لابدوأن تكون مختلفة عن الخصائص التى يحتاجها البستانى؛ وتلك التى يحتاجها عالم الحيوان تختلف عن تلك التى يحتاجها الطبيب البيطرى الذى يعمل فى حديقة للحيوان. وتقسيم الطلبة لأغراض الدراسة الأكاديمية يختلف عن تقسيمهم لأغراض تحقيق صحفى عن التقسيم الجغرافى للطلبة، أى المناطق التى جاءوا منها. والمهم أن تكون الصفة أو الخاصية المختارة أساسية بالنسبة للغرض من التصنيف.

«... والتصنيف بهذا المعنى العام نشاط نمارسه جميعا فى حياتنا اليومية: فلدينا خريطة عقلية ـ أو «تصنيف» ـ نربط فيها أو نفصل الأشياء، والأفكار، والانطباعات التى هى جميعا خبرتنا عن العالم. وتهدف نظم التصنيف إلى توفير بنية لتنظيم المواد بحيث يمكن أن نسترجع وحدة (أو مادة) ما وفقا لمظهر ما من مظاهر طبيعتها».

«ومع ذلك فيجب أن نلاحظ أن الأسس والمبادئ التى سوف نطبقها حينما نتناول كيفية تنظيم المعلومات واسترجاعها من الكتب والصحف والنشرات والتقارير وما إلى ذلك ـ تصدق أو تنطبق على الأشياء بصفة عامة»(٥٧).

التصنيف بهذا المعنى العام مفيد فى جميع مجالات الحياة، ولا يمكن أن تستغنى عنه، بل إن الحياة الحديثة مدينة لهذا التصنيف، إذ هو يعنى اكتشاف النظام فى الأشياء، أو رد الفوضى إلى نظام. بديهى أن الحياة لاتسير بدون التنظيم وأنه موجود فى جميع مجالات النشاط الإنسانى. وهو بهذه المثابة وسيلة موفرة للوقت والجهد، لأن الأشياء لو لم تكن مصنفة لاحتجنا أن نصنفها فى كل مرة نريد الاستفادة منها وهذا أمر مستحيل.

ويمكننا الأن أن نسحب التعريف على عالم المعرفة والموضوعات والمعلومات فنقول إنه جمع المعلومات المتشابهة وفصل المعلومات غير المتشابهة وذلك على أساس الصلة أو القرابة الموضوعية، لأن الصفة أو الخاصية الجوهرية للمعلومات هى المحتوى الفكرى أو الموضوع وليس أى بيان وصفى أو مادى أو شكلى آخر. فمن أجل هذا المحتوى الفكرى يؤلف المؤلفون الذين يريدون توصيل رسالة معلوماتية إلى الناس. ومن أجله أيضا ـ المحتوى ـ تقتنى المعلومات ومصادرها، بل من أجله نشأت المكتبات ومراكز المعلومات أصلا، وبالتالى، علم المكتبات والمعلومات كله.

٣ ـ تصنيف المعرفة Classification of Knowledge

هناك نوعان كبيران من التصنيف، هما:

١ ـ تصنيف المعرفة، ويقصد به تصانيف الفلاسفة والعلماء.

٢ ـ التصنيف الببليوجرافى أو تصنيف الكتب، وسوف نتناوله بعد.

أما الآن فإننا نتحدث عن كل من التصنيف الفلسفى والتصنيف العلمى.

التصنيف الفلسفى Philosophical هو عبارة عن تصور الفلاسفة لترتيب المعرفة وتقسيمها. وهو مجرد رياضة عقلية كان يمارسها الفيلسوف كجزء من فلسفته ولم يقصد بها أصحابها أبدا أن تستخدم فى المكتبات. ولو حدثت الاستفادة فيما بعد فهى شئ لم يرد فى ذهن أصحاب هذه التصانيف. وسوف نعود إلى هذه النقطة فى دراستنا لتاريخ التصنيف.

أما التصنيف العلمى Scientific فهو نوع من التصنيف وضعه العلماء للكائنات الحية وهو يعرف عندهم بتصانيف الأحياء Taxonomic classifications أو Taxonomy وهو يدرس الآن أساسا فى كليات العلوم وغيرها من الكليات التى تهتم بالأحياء.

هذا النوع من التصنيف لم يقصد به واضعوه أبدا أنه سوف يستخدم فى المكتبات، ولكن قيمته كانت علمية محضية، وكان الهدف منه خدمة العلوم نفسها. وهذا النوع من التصنيف نمط شائع فى العلوم الطبيعة Natural وقد ظهر إبان عصر تطور العلوم الطبيعة فى القرون: ١٦ ، ١٧ ، ١٨ . وقد ساهم فى تقدم تلك العلوم.

يقوم هذا النوع من التصنيف على تصنيف الكائنات الحية إلى رتب وأقسام وفقا للصفات التشريحية. وتسجل الصفات التى يمتلكها كل قسم أو طبقة أو رتبة. وحينما يجد العلماء: النبات أو الحيوان، كائنا جديدا يشرحونه وعن طريق مضاهاة صفاتة التشريحية بالصفات المسجلة لديهم للكائنات التى تم تشريحها من قبل كان يمكن معرفة إن كان الكائن الجديد ينتمى إلى أحد الأقسام الموجودة أم لا. فإن كانت الصفات التشريحية مختلفة يكون العالم قد توصل إلى اكتشاف جديد.

وفى عصر الاكتشافات العلمية والكشوف الجغرافية فى البيئات التى تمتلك وفرة فى الكائنات الحية مثل إفريقيا وأمريكا اللاتينية واستراليا وجنوب آسيا ـ فى هذه العصر أفاد هذا النوع من التصنيف ـ أفاد تلك العلوم فائدة كبيرة وأدى إلى الاسهام فى تطورها، نظرا لكثرة الموجودات فى كل يوم.

وقد كانت التصانيف العلمية مفصلة جدا وتضم آلاف المفردات وأدق التفاصيل طالما كانت هناك إمكانية للتقسيم. واستفادت هذه التصانيف العلمية استفادة كبيرة من قواعد التقسيم المنطقى التى ترسخت كما أسلفنا فى علم المنطق. هذه القواعد كانت مفيدة ومناسبة للتصانيف العلمية لأن النوع الوحيد من العلاقة التى كان يُحتَاجُ إليه هو التقسيم، أى التكثير من أعلى إلى أسفل ـ أى العلاقة الرتبية Hierarchical ـ علاقة الجنس ـ النوع، أو العام الخاص.

وقد تأثرت تلك التصانيف بتلك القواعد حتى لقد عد التصنيف أحيانا مرادفا للتقسيم. أما عن علاقة هذا النوع من التصنيف بالتصنيف الببليوجرافى فسوف نتناولها عند دراسة تاريخ التصنيف.

٤ ـ التصنيف الببليوجرافى Bibliographic (al)

هذا النوع من التصنيف مقابل للنوع السابق ويقصد به تصنيف الكتب والمكتبات خاصة. وقد أطلق على هذا النوع ـ إلى جانب: التصنيف الببليوجرافى مسميات أخرى ارتبطت بتطور أو آخر. ومن هذه المسميات:

تصنيف الكتب	Book classification
تصنيف المكتبات	Library "
التصنيف المكتبى	Bibliothecal "
التصنيف لأغراض التوثيق	Classification for Documentation
التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات	Classification for Informafion Retrieval

ولعل السبب فى أن التصنيف كان يسمى فى البداية تصنيف الكتب والمكتبات أن هذا التصنيف حينما نشأ كان الغلبة والسيادة للكتاب كوحدة ببليوجرافية، ولم تكن الأشكال الببليوجرافية الأخرى قد احتلت مكانتها فى عالم النشر والبحث، فلما أراد علماء المكتبات أن يميزوا بين هذا النوع من التصانيف والتصانيف الفلسفية والعلمية التى كانت سائدة ربطوه بالكتاب على اعتبار أنه الوحدة الببليوجرافية المقبولة آنذاك.

وحينما دخلت كلمة توثيق إلى مجالنا، وذلك للتعبير عن الأشكال الجديدة من المواد غير الكتب، دخلت الكلمة أيضا إلى التصنيف، فسمى: التصنيف لأغراض التوثيق: Classification for Documentation.

وأخيرا استخدم لفظ التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات، وذلك بعد أن دخل لفظ استرجاع المعلومات إلى المجال. وكان أول من استعمل: استرجاع المعلومات كالفن مورز فهو الذى أعطانا أقدم تعريف لهذا المصطلح، حيث عرفه (سنة ١٩٥٠) بأنه: بحث واسترجاع المعلومات مخصصة حسب موضوعاتها». وقد استخدمته عنوانا لكتابى: التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات، حيث استخدمت التسمية الأحدث فى ذلك الوقت[٥٨].

كذلك استخدمت جماعة البحث فى التصنيف فى بريطانيا المصطلح فى عنوان التقرير المهم الذى أصدرته فى ختام المرحلة الأولى من مراحل بحثها فى التصنيف[٥٩].

٥ ـ نظرية التصنيف Classification Theory

نظرية التصنيف هى المنهج الذى وضعه علماء التصنيف لكى تبنى على أساسه وتقوم أنظمة التصنيف. وحينما ظهر التصنيف العشرى لديوى فى طبعته الأولى سنة ١٨٧٦ لم تكن هناك نظرية للتصنيف. ولذلك يمكن القول إن نظم التصنيف بدأت أولا، ثم جاءت بعد ذلك نظرية التصنيف. ويطلق على نظرية التصنيف أيضا علم التصنيف فى مقابل فن التصنيف أو التصنيف العملى Classifiying وحينما ظهر

التصنيف العشرى انقسم العلماء بشأنه بين مؤيد ومعارض. وكان من أبرز نقاده عند ظهوره تشارلز كتر الذى ركز نقده لديوى على قضيتين رئيسيتين هما:

١ ـ الترتيب.

٢ ـ الرمز

ويتعلق الترتيب بترتيب الموضوعات فى جداول التصنيف. وقد دلّل كتر على أن الترتيب فى جداول ديوى غير علمى سواء فى مرتبة الأقسام الرئيسية أو فى التفاصيل بعد ذلك. كما أثبت كتر أن عدد الرموز غير كاف فهى تقتصر على عشرة، وذلك لأن ديوى اختار الرمز العشرى ومن ثم فقد أقحم فيه الموضوعات، وهذا يؤثر بدوره على ترتيب الموضوعات. والذى يهمنا الآن هو أن هذه الانتقادات وغيرها قد أفضت إلى ظهور نظرية التصنيف. وكان أول كتاب يتناول هذه النظرية هو كتاب ريتشاردسون Classification: tleoritical and practical والذى ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٠١. وقد بنى كتر نظاما جديدا للتصنيف بسبب عدم رضاه عن تصنيف ديوى وكذلك بنى ريتشاردسون نظاما استخدم فى المكتبة التى كان يعمل بها، وهى مكتبة جامعة برنستون. ولكن كلا من النظامين لم يستمرا، فقد مات كتر قبل أن يتم تصنيفه فمات معه. وأما نظاما ريتشاردسون فلم يطبع فى نسخ للتداول، وإنما اقتصر استخدامه على جامعة برنستون فقط.

ظهرت نظرية التصنيف إذن، وتركزت حول الأجزاء الرئيسية أو المكونات الرئيسية لنظام التصنيف، وهى:

١ ـ الجداول (أو القوائم) Schedules. وهى الموضوعات. وهذه الجداول هى المكون الرئيسى لنظام التصنيف. ولكنها لايمكن أن تعمل دون إضافتين رئيسيين:

(أ) الرمز: Notation.

(ب) الكشاف: Index.

وهما المكونان الآخران لنظام التصنيف. ويكون المكون الرئيسى الثانى إذن هو:

٢ ـ الرمز، وهو الأرقام التى تعطى للموضوعات لكل تثبت التسلسل وتكون

كلمة الدخل فى الفهرس المصنف، وترتب الرفوف على أساسها وتكون حلقة الوصل بين الفهرس المصنف، وغيره من الفهارس، وبين الرفوف، أى يستخدم كرقم طلب Call number. والمكون الثالث هو:

٣ ـ الكشاف الموضوعى الألفبائى Alphabeticd subject index: وهو ترتيب هجائى للموضوعات التى وردت فى الجداول وذلك لتسهيل الوصول إلى أماكن تلك الموضوعات فى الجداول، فهو جزء مكمل للجداول. كما أنه يجمع الموضوعات التى وردت فى أماكن متباعدة فى الجداول؛ أى وجهات النظر فى معالجة الموضوع الواحد.

وقد أضاف العلماء حديثا مكونا رابعا ليس من أجزاء نظام التصنيف ولكن وجوده ضرورى لاستمرار النظام وهو:

٤ ـ الهيئة أو المؤسسة أو التنظيم organization. ذلك أن نظام التصنيف لكى يستمر فلابد من وجود هيئة أو مؤسسة أو تنظيم يشرف على النظام ويدعمه ماليا وإداريا وبشريا، وإلا كان النظام عرضة للتوقف، فالأفراد يموتون، وأعمالهم عرضة للتوقف، وقد ثبت هذا من تاريخ الأنظمة، فالخطط التى وجدت مؤسسات ترعاها انتشرت واستمرت لأنها تقوم بتحديثها، وتلك التى لم تجد مثل هذه المؤسسة توقفت وماتت.

وقد تبلور البحث فى نظرية التصنيف، حول المكونات أو الأجزاء الرئيسية للتصنيف، وهى الجداول، والرمز، والكشاف. وكان المبحث الأول، وهو الجداول، هو الأكثر جدلية، وكان مدعاة لظهور مدارس للتصنيف تختلف آراؤها حول هذا الموضوع، وهى:

١ ـ المدرسة التقليدية أو العلمية، وكان أبرز رجالها كتر وريتشاروسون وسايرز وبليس.
وقد سيطرت على البحث والكتابة فى نظرية التصنيف طوال المرحلة الأولى من مراحل تطور نظرية التصنيف. وقد ربطت هذه المدرسة ربطا وثيقا بين تصنيف المعرفة متمثلا فى التصانيف الفلسفية والعلمية التى ظهرت على مر العصور وبين تصنيف الكتب، وسيطرت آراؤها مدة طويلة حتى أخذت تخلى مكانها

تدريجيا لآراء المدرسة الحديثة التى طور أفكارها ونظرياتها عالم التصنيف الهندى رانجاناثان.

وقد استفادت المدرسة التقليدية استفادة كبيرة من الأسس الفلسفية والنظرية للتصنيف ومن قواعد التقسيم المنطقى. وقد أعطينا فى هذا الفصل عددا لابأس به من المصطلحات التى تمثل مصطلحات الأسس الفلسفية والنظرية للتصنيف، والتى تعد مصطلحات أساسية فى الموضوع.

ولم يقتصر البحث بطبيعة الحال حول الجداول وحول تنظيم الموضوعات ولكنه تجاوزها إلى الرمز والكشاف، ولكن الجزء المتعلق بالجداول كان أكثر الأجزاء إثارة للجدل(٦٠).

٢ ـ المدرسة العملية، وهى التى طور أفكارها وندهام هلم فى مقالات كتبها سنة ١٩١١/ ١٩١٢(٦١). وقد تحمس له فيما بعد بعض علماء التصنيف وخاصة سافيج، ومتكالف، وفيلييس(٦٢).

وقد جاءت آراء المدرسة العملية مغايرة تماما لآراء المدرسة العلمية. ويرى هلم أن تصنيف الكتب وسيلة لغاية عملية هى ترتيب آحاد الكتب على الرفوف. أما تنظيم المعرفة فقد وضع لعرض آخر يختلف عن ذلك تماما هو تنظيم أفكارنا عن الأشياء فى حين يعنى تصنيف الكتب بالتجميع الآلى للكتب فى أقسام. ولذلك يعتقد هلم أن تصنيف الكتب ينبغى أن يبنى على الكتب نفسها لا على تقسيمات فلسفية نظرية. ولذلك انتقد هلم تصانيف المعرفة والتصانيف الفلسفية لأنها تسجل فى قوائمها تفاصيل أو مصطلحات قد لا يظهر عنها إنتاج فكرى مستقل على هيئة الكتاب أو المقال.

السند الأدبى

وقد تبلورت آراء هام فى نظرية السند الأدبى Literary warrant وهو يعنى عنده أمرين:

(أ) أن تصنيف الكتب ينبغى أن يعتمد على مجموعة من الكتب وليس على

تصنيف مجرد للمعرفة، فلا يسجل فى قوائم التصنيف إلا تلك الرؤوس التى يسندها إنتاج فكرى، أى تلك التى ظهر عنها وحدات فكرية مستقلة على هيئة الكتاب أو المقال، إلخ. وعلى ذلك فإن أية تفاصيل قد تكون موجودة فى المادة الموضوعية، ولكن لم تظهر عنها وحدات فكرية مستقلة، ليس لها فى نظر هام مكان فى خطة التصنيف.

(ب) تجاوز هلم هذا المفهوم البسيط للسند الأدبى إلى مفهوم أعقد، فهو يرى ضرورة تسجيل «تجميعات المعرفة» aggregates of Knowledge التى تظهر فى الانتاج الفكرى. فلو أن هناك إنتاجا فكريا ـ كتاب عن الصوت والضوء والحرارة معا، أو عن الصوت والكهرباء والضوء معا، أو عن الصوت والمغناطيسية والكهرباء معا، لوجب فى نظر هلم أن تسجل هذه التجميعات فى رؤوس تتضمنها كلها خطة التصنيف (٦٣).

٣ ـ المدرسة الحديثة: يعزى ظهور هذه المدرسة إلى عالم المكتبات وعالم التصنيف الهندى شيالى رامريتا رانجاناثان:

S. R. Ranganathan

الذى وضع نظرية جديدة للتصنيف لا تعتمد على حصر موضوعات المعرفة البشرية وتوفير أرقام تصنيف جاهزة للموضوعات المركبة كما تفعل الخطط الحاصرة من أمثال ديوى والكونجرس، ولكنها تعتمد على حصر العناصر التى تتألف منها الموضوعات. وعند التصنيف العملى يعاد ترتيب هذه العناصر باستخدام علامات الربط المناسبة. ومن ثم فإن عملية التصنيف العملى تتم فى كل مرة مع كل كتاب أو وثيقة.

التحليل الوجهى

والفكرة التى تمثل قلب نظريـة رانجاناثان هى فكرة التحليل الوجهى Facet analysis. ويعتمد إعداد نظام التصنيف وفق هذه النظرية على تكوين الأوجه، ثم حصر البؤرات، ثم ترتيب هذه البؤرات فيما بينها، ثم ترتيب الأوجه حسب صيغة

المقولات الخمس الجوهرية: Five fundamental categories (ش م ظ ن ز PMEST) وقد أشرنا إليها عند معالجة فكرة المقولة فى التراث التصنيفى.

والوجه Facet هو مجموع البؤرات الناتجة عن تطبيق خاصة معينة من خصائص التقسيم. وعلى ذلك فإن وجه اللغة Language Facet فى خطة التصنيف يندرج تحته كل اللغات الموجودة بالعالم. والبؤرة Focus (جمعها Foci) هى إحدى هذه اللغات. فاللغة العربية بؤرة فى وجه اللغة فى قسم اللغات. والشعر العربى بؤرة فى وجه الشكل الأدبى فى قسم الأدب وهكذا.

وقد بنى رانجاناثان تصنيف الكولون على أساس نظريته الجديدة وطبعه فى حياته ست طبعات (ط ٦ سنة ١٩٦٠) ثم صدرت الطبعة السابعة سنة ١٩٨٩. وقد لقيت أفكار رانجاناثان قبولا على المستوى الدولى وخاصة فى بريطانيا؛ حيث تأسست جماعة البحث فى التصنيف (تأسست ١٩٥٢). وسوف نعالج كل هذه القضايا والموضوعات فى حينها. أما هنا فقد اكتفينا بأهم المصطلحات الأساسية. وهناك بطبيعة الحال مصطلحات أخرى سوف ترد كجزء من هذه النظرية. وسوف نتناولها فى إطار تلك النظرية.

٤ ـ المدرسة العربية للتصنيف

حينما دخل علم المكتبات إلى الوطن العربى كان من القضايا الرئيسية التى شغلت المتخصصين فى هذا العلم توفير الركائز الفنية للازمة للعمل فى المكتبات العربية. وقد خصصت فصلا كاملا من فصول كتابنا هذا تناولت فيه تلك الركائز. والمدرسة العربية الإسلامية معنية بإعداد: الخطة العربية للتصنيف. وقد بدأت الجهود فى هذا الصدد منذ نيف وثلاثين سنة. وثم إعداد نظام مفصل لتصنيف الدين الإسلامى، ونظام لتصنيف التربية، كما تم إعداد الإطار العام لخطة التصنيف والذى ينبنى على النظرية الإسلامية فى تنظيم المعرفة.

وتتلخص هذه النظرية فى أن التصنيف انعكاس لفكر الأمة، وأن نظام التصنيف

الذى يصلح لأمة لايصلح لأمة أخرى خاصة إذا كانت تختلف عنها فى الشخصية الثقافية والفكرية. والفكر الإسلامى هو فكر دينى مشتق من الإسلام. ولذلك فإن خطة التصنيف العربية يجب أن تشتق من الفكر الإسلامى، وأن يصطبغ ترتيب الأقسام فى الخطة بالطريقة التى رتب المسلمون بها علومهم، وعلى هذا يجب أن تبدأ الخطة بعلوم الدين الإسلامى تليها اللغة العربية، فالجغرافيا والتاريخ، أى كل العلوم التى تكون شخصية الأمة وثقافتها وفكرها.

وكذلك فإن هذه الخطة يجب أن تنبع من احتياجات المكتبة العربية والإسلامية وأن ترتب العلوم والموضوعات المختلفة حسب درجة قربها أو بعدها من الثقافة الإسلامة والعربية. وقد جاءت الأفكار الرئيسية للخطة من دراسة تنظيم المعرفة عند المسلمين، ومن دراسة نظريات التصنيف ومدارسه ونظمه فى الخارج، وتم وضع الأساس الصحيح والمناسب لبناء الخطة، ثم أعد نظامان أحدهما لعلوم الدين الإسلامى، والآخر للتربية والتعليم كما سبق أن ذكرت(٦٤).

وفى ختام هذا العرض لمدارس التصنيف يمكن أن نقسم الخطط إلى ثلاثة أنواع: خطط حاصرة، وخطط شبه حاصرة، وخطط تحليلة تركيبة.

١ ـ الخطط الحاصرة Enumerative وتضم التصنيف العشرى لديوى وتصنيف مكتبة الكونجرس وتصنيف براون الموضوعى، وتصنيف كتر الواسع. وهى حاصرة بمعنى أنها تحصر أو تحاول أن تحصر كل موضوعات المعرفة البشرية فى قائمة واحدة وتعطى أرقام تصنيف جاهزة للموضوعات المركبة.

٢ ـ الخطط شبه الحاصرة Semi - enumerative وليس هناك فى الحقيقة إلا خطة عامة وحيدة من هذا النوع هى التصنيف العشرى العالمى، فهى تعتمد على ديوى، وهو خطة حاصرة، ولكنها أدخلت درجة أكبر من طرق التحليل والتركيب لتخصيص موضوعات الوثائق، ولكنها لم تصل إلى درجة التحليل والتركيب الكاملين. ولذلك نقول إنها خطة شبه حاصرة.

٣ ـ الخطط التحليلية التركيبية Analytico - Synthetic. ولا يوجد من هذا النوع إلا خطة عامة وحيدة هى تصنيف الكولون. وهى لا تحصر أو تحاول أن تحصر

موضوعات المعرفة البشرية. وقد أشرنا إلى طريقة الكولون عند حديثنا عن التحليل الوجهى منذ قليل.

وهناك عدد كبير من أنظمة التصنيف المتخصصة التى تسير على مبدأ التحليل الوجهى(٦٥).

٦ ـ نظام التصنيف أو خطة التصنيف

Classification System or Scheme

هناك نوعان من نظم التصنيف، وهما:

(أ) التصنيف العام أو الشامل General or Comprehensive

(ب) والتصنيف المتخصص Special

التصنيف العام أو الشامل

التصنيف العام أو الشامل كما يعبر شيرا: «يشمل داخل حدوده كل الوجود. وهذا التصنيف العام أو الشامل هو الذى سعى إليه الفلاسفة، ولكن للأغراض العملية ينبغى رفض هذا المثل الأعلى، لأن العدد الكبير من الخصائص والأغراض الموجودة فى الكون تتطلب إما أن يبسط هذا النوع من التصنيف تبسيطا زائدا عن الحد أو أن يقوم على أسس متنوعة للتصنيف لدرجة أن يستحيل إلى شئ لايمكن العمل به»(٦٦).

هذا هو تعريف التصنيف العام أو الشامل عند الفلاسفة، فإذا انتقلنا إلى تصنيف المكتبات فسوف نجد أن التصنيف العام نظام يضم بين دفتيه جميع فروع أو موضوعات المعرفة البشرية، ويسجل هذه الموضوعات فى ترتيب علمى Systematic مقنن أو منطقى ـ أى بحيث يأتى الموضوع الواحد مسبوقا ومتبوعا بالموضوعات ذات الصلة الوثيقة به.

وقد ظهرت تسع خطط عامة مشهورة هى:

١ ـ التصنيف العشرى لديوى (ت د ع) أو (ت ع)

Dewey Decimal Classification (DDC) or (DC)

٢ ـ التصنيف العشرى العالمى (ت ع ع)

Universal Decimul Classification

٣ ـ التصنيف الواسع لكتر (ت و)

Expansive Classification of Cutter (E C)

٤ ـ التصنيف الموضوعى لبراون (ت م)

Subject Classification of Brown (S C)

٥ ـ تصنيف مكتبة الكونجرس (ت م ك)

Library of Congress Classification (L C)

٦ ـ التصنيف الببليوجرافى لبليس (ت ب)

Bibliographic Cassfication of Bliss (B C)

٧ ـ تصنيف الكولون لرانجاناثان (ت ك)

Colon Cassification of Ranganathan (C C)

٨ ـ تصنيف فريمونت رايدر الذى ظهر فى ١٩٦١.

International Classification

٩ ـ التصنيف الذى اقترحه روبر م. لوزى Rolert M. Losee فى ١٩٩٢.

وسوف نعود إلى دراسة الأنظمة فيما بعد.

التصانيف المتخصصة Special

إذا كان التصنيف العام أو الشامل يضم جميع فروع المعرفة البشرية، فإن التصنيف المتخصص يضم فرعا واحدا فقط من فروع المعرفة سواء كان علما كبيرا أم فرعا صغيرا. وقد ظهرت أنظمة متخصصة كثيرة بقدر ما هناك من تخصصات لأنها تسد حاجات المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات إلى أنظمة تتناسب مع موضوعاتها ومجموعاتها. ولذلك فإن هذه الأنظمة المتخصصة موجودة فى كل المجالات.

ولا يفوتنا هنا أن نسجل تعريف شيرا للتصنيف المتخصص(٦٧):

«التصنيف المتخصص (الخاص) يتناول جزءا واحدا من الكون كله: علم ما، أو فن ما، أو موضوع متخصص ما، أو مجموعة مترابطة من الموضوعات. ولاتقتصر التصانيف المتخصصة على المواد التى تدخل فى مجالها فحسب، بل قد تقوم أيضا على أساس واحد أو عدد محدود من الخصائص الممكنة ـ علاقات المادة أو الوظيفة أو الأصل أو الزمان ـ المكان، إلخ. وبهذه الطريقة يمكن أن يكون هنالك كثرة من التصانيف ذات المشمول (الماصدق Extension) الواحد تتساوى فى ثباتها وفائدتها».

وسوف نعود إلى التصانيف المتخصصة فيما بعد كذلك.

٧ ـ التصنيف العملى Classifying

يمكن أن نطلق على التصنيف العملى: فن التصنيف فى مقابل علم التصنيف أى نظرية التصنيف، وهذا يجرنا إلى مصطلحين آخرين:

المصنف Classer or Classifier

وهو الشخص الذى يقوم بالتصنيف العملى اليومى فى المكتبة أو مركز المعلومات.

عالم التصنيف Classificatianist

وهو مصطلح اشتقه رانجاناثان من لفظ التصنيف حيث أضاف إليه اللاحقة ist التى تدل على العالم، كما فى Chemist، و economist، وgeologist، وهو يريد بذلك أن يجعل التصنيف علما كسائر العلوم. وسوف نرى فيما بعد أنه اشتق كثيرا من مصطلحاته أو استعارها من العلوم المختلفة، مثل لفظ Facet، Focus وغيرهما. وقد كان رانجاناثان نفسه أستاذا للرياضيات قبل أن يصبح عالم تصنيف ومكتبات.

وعالم التصنيف هو الشخص الذى يضع نظرية للتصنيف، مثل بليس ورانجاناثان وريتشاردسون، أو يسهم فى دراسة نظرية التصنيف، مثل سايرز ومعظم رجال المدرسة

البريطانية من أمثال ڤيكرى وملز وبالمر وفوسكت، وغيرهم. وقد أعد هؤلاء أيضا نظما متخصصة للتصنيف. وينفرد ملز بأنه وعدد من رفاقه فى جماعة تصنيف بليس Bliss Classification Group قد قاموا ويقومون باعداد الطبعة الجديدة من تصنيف بليس التى صدرت أول مجلداتها سنة ١٩٧٦[٦٨].

ويمكن أن نعرف التصنيف العملى الآن بأنه:

فن تعيين أرقام التصنيف لآحاد الكتب وفق خطة تصنيف معينة.

وهذا العمل هو هدف رئيسى من أهداف تعليم التصنيف فى معاهد المكتبات فى الدول المختلفة. وهو يختلف فى الخطط الحاصرة عنه فى الخطط التحليلية التركيبية[٦٩].

المراجع والهوامش

(١) إن المراجع الأساسية للمدرسة التقليدية هى كتابات أصحابها وهم بصفة أساسية كل من ريتشاردسون وبليس وسايرز، وكذلك الكتب الأخرى التى سارت على نهجهم، والكتب التى لا تشاركهم آراءهم ولكنها سجلت فى النظرية العامة للتصنيف ذلك الجزء الذى يتناول الأسس الفلسفية والنظرية للتصنيف. ونورد فيما يلى أهم مصادر دراسة هذه المدرسة، وقد اقتصرت على عدد محدود إيثارا للاختصار.

- Richardson, E. C. Classification: Theoritical and practical.

الطبعة الأولى لهذا العمل صدرت فى سنة ١٩٠١، والثالثة والأخيرة فى سنة ١٩٣٠ وقد أعيد طبعه ١٩٦٤.

- Bliss, Henry E. The Organizatiom of Knowledge and the System of the Sciences. - New york: Henry Holt, 1929.

أما كتابه التالى عن تنظيم المعرفة والمعالجة الموضوعية للكتب فهو يهتم بدراسة تصانيف الكتب من أمثال ديوى، كما أن معالجته للنظرية هنا مطبقة على نظرية تصنيف الكتب.

Broadfield, A. The Philosophy of classificatiom.- London: Grafton, 1946.

الطبعة الأول منه صدرت سنة ١٩٢٦، والثانية ١٩٤٤، الثالثة ١٩٥٥ ثم نقحها هى نفسها سنة ١٩٥٩. ثم أصدر ملتباى طبعتين من الكتاب ١٩٦٧، ١٩٧٥.

- Phillips, H. Primer of Book Classification .- 5 th ed. - London:

Association of Assistant Librarins, 1961.

- چيسى شيرا، الفهرس المصنف: أسسه وتطبيقاته/ تأليف جيسى شيرا، مرجريت إيجان؛ ترجمة عبد الوهاب أبو النور ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦.

(٢) هذه كلها أسماء لعلم واحد هو علم الكلام. وقد سمى علم الكلام لأن أشهر المسائل الكلامية فيه كانت حول القرآن الكريم: كلام الله، هل هو قديم أم مخلوق. وبسبب هذه القضية فتن المعتزلة الذين وصلوا إلى السلطة أيام الخليفة المأمون ثم المعتصم والواثق ـ فتنوا كبار علماء أهل السنة ومنهم الأمام أحمد ابن حنبل، حتى شاء الله لهذه الفتنة أن تنتهى أيام المتوكل، ثم انتصر أهل السنة على المعتزلة أيام أبى الحسن الأشعرى.

وسمى علم التوحيد باعتبار أن موضوعه هو توحيد الله عز وجل؛ وعلم أصول الدين، باعتبار أن العقائد هى الأصول، والفقه هو الفروع، وكذلك سمى علم العقائد لأن موضوعه هو العقائد الإيمانية.

(٣) درست هذه الموضوعات فى أكثر من مكان:

(أ) مقدمة التحقيق لكتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم لمؤلفه أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زادة وقد اشتملت المقدمة على مبحث عن التصنيف عند العرب وكانت هذه أول مرة أدرس فيها هذا الموضوع.

(ب) فى كتاب التصنيف البيليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى، وهو رسالة الدكتوراه التى نوقشت عام ١٩٧٢. والفصل الثالث فيها بصفة خاصة.

(جـ) فى البحث الذى قدمته للمؤتمر الثانى للاعداد البيليوجرافى للكتاب العربى، الذى عقد فى بغداد سنة ١٩٧٧. وهو بعنوان: الخطة العربية للتصنيف. الأسس والإطار العام. وقد صدر ضمن أعمال المؤتمر. كما وضعته مع غيره من الأبحاث التى نوقشت فى مؤتمرى الرياض وبغداد فى كتاب الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين، ١٩٧٨. وأخير صدر فى كتاب مستقل سنة ١٩٩٦ بعنوان: الخطة العربية للتصنيف: الإطار

العام للخطة ونظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة.

(٤) سوف تنشر كتب هذه السلسلة تباعا إن شاء الله بعد هذا الكتاب، وسوف ندرس فيها الموضوعات المشار إليها كلا فى موضعه.

(٥) الجوهرى، إسماعيل بن حماد. ـ تاج اللغة وصحاح العربية. ـ ط٣. ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤. مادة صنف.

(٦) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. ـ بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٨٨. مادة صنف.

(٧) الفيروز آبادى، أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد. القاموس المحيط. ـ بيروت: دار إحياء التراث، ١٤١٢هـ. مادة صنف.

(٨) الزبيدى، محمد مرتضى الحسينى. تاج العروس من جواهر القاموس. ـ الكويت: وزارة الاعلام، ١٩٨٤. مادة صنف.

(٩) محمد فريد وجدى. دائرة معارف القرن الرابع عشر العشرين. ـ ط٣. ـ بيروت: دار المعرفة، ١٩٦٧ ـ ١٩٧١. مادة صنف.

(١٠) يوسف خياط. الصحاح فى اللغة والعلوم/ إعداد يوسف خياط، نديم مرعشلى. ـ بيروت: دار الحضارة العربية، ١٩٧٤. ص ٦٣٢.

(١١) وهو الباب السادس من المقدمة: فى العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض فى ذلك كله من الأحوال. طبعة المطبعة التجارية، ص ص ٤٢٩ ـ ٥٨٨. وقد جاء تصنيفه للعلوم فى الفصل الرابع على وجه الاجمال، ثم تناولها بالتفصيل فى الفصول التالية. وانظر دراستنا لتصنيف ابن خلدون فى:... نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة، مصدر سابق، ص فى ٨٨ ـ ٩٣. وقد سبق الفهرست لابن النديم فى استخدام لفظ أصناف العلوم فقد جاء فى مقدمته: هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والبربر والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلمها فى أصناف العلوم وأخبار مصنفيها...

(١٢) سورة الذاريات: ٤٩

(١٣) سورة يس: ٣٦.

(١٤) من ذلك مثلا ماورد فى المصدر التالى. محمد على الصابونى ـ صفوة التفاسير. ـ القاهرة: دار التراث، ١٩٩٣. ـ، جـ٣، ص٣٠٠، وغيرها. وقد ورد اللفظ سواء بالمفرد أو المثنى أو الجمع فى ستة عشر سورة من القرآن الكريم؛ وهى: الحج: ٥؛ الشعراء: ٧؛ لقمان: ١٠؛ ق: ٧؛ الرحمن: ٥٢؛ هود: ٤٠؛ الرعد: ٣؛ المؤمنون: ٢٧؛ الذاريات: ٤٩؛ الأنعام: ١٤٣؛ يس: ٣٦؛ الزمر: ٦؛ ص: ٥٨؛ الزخرف: ١٢؛ طه: ٣؛ الواقعة: ٧. هكذا فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. وقد أعطيت فى المتن مثالين فقط منعا للاطالة.

(١٥) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى/ ترتيب وتنظيم أ. ى. ونسنك. ـ استانبول: دار الدعوة، ١٩٨٦ ج٣. مادة صنف.

(١٦) التصنيف البيليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى: دراسة فى منهج إعداد نظم التصنيف مع تطبيقه فى إعداد تصنيف للدين الإسلامى. ـ القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٣.

(١٧) السيوطى، عبد الرحمن بن أبى بكر. تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى/ تأليف عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى؛ تحقيق وتعليق عبد الوهاب عبد اللطيف. ـ ط٢. ـ القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦. جـ١، ص٥٣؛ ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوى. علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح/ تأليف أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى؛ نشر وتصحيح وتعليق محمد راغب الطباخ. ـ حلب: المطبعة العلمية، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣١م المقدمة، ص ٦.

(١٨) السيوطى، المصدر السابق، جـ١، ص٤٠؛ على رجب الصالحى. رسالة تحقيق مبادئ العلوم الأحد عشر. ـ القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٠٧. ص ص ٩٢ ـ ٩٣؛ محمد أبو زهو. الحديث والمحدثون، ص ٤٨٩.

(١٩) طاش كبرى زادة، عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى. مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم/ تأليف عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى؛ تحقيق كامل كامل بكرى، عبد الوهاب أبو النور. ـ القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨. ٤جـ. جـ١، ص٣٢٤.

(٢٠) فلاسفة الإسلام هو لفظ أطلق على الفلاسفة المسلمين من أتباع فلسفة يونان، وهم لايمثلون الفكر الإسلامى الحق. ومن أمثالهم الكندى والفارابى وابن سيناء وابن رشد. ولمزيد من التفصيل عن فلاسفة الإسلام، انظر كتابنا: ... تنظيم المعرفة: مصدر سابق، ص ٦٧ ـ ٧٦.

(٢١) طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة، نفس المصدر.

(22) Farradane, J. E. L. Fundamental fallacies amd new needs in classification In: Sayers Memorial volume. London: Library Association, 1961 pp. 120 - 132)

وقد كانت أول مرة كتب فيها فرادان عن هذه الفكرة سنة ١٩٥٠ فى مجلة:

Library Association Record

وتكفينا الاشارة الحالية.

(٢٣) من هذه المصادر: محمد أبو عليان. اللؤلؤ المنظوم فى مبادئ العلوم. ـ القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٩٠٧. ص ص ٩٤ ـ ٢٦٤. ومنها: التهانوى، محمد أعلى بن على المولوى. كشاف اصطلاحات الفنون. ـ كلكتا (الهند): الجمعية الأسيوية للنبغال، ١٨٦٢. ٢جـ. وللاطلاع على أفكارهم فى هذه المسائل يرجى الرجوع إلى: التصنيف البيليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى، مصدر سابق، ص ص ٩٢ ـ ١٠٣. ولابأس هنا من أن أورد نموذجا لما ذكروه فى هذا الصدد:

«ومن تقاليد المتقدمين أنهم كانوا يذكرون فى أوائل كتبهم ما يسمونه بالرؤوس الثمانية، وهى مقدمات الشروع فى العلم، وهى: الغرض، والمنفعة، والسمة (الاسم) والمؤلف، ومن أى علم هو ليطلب مايليق به، وفى أى مرتبة هو ليقدم عما يجب

ويتأخر عما يجب، والقسمة (أقسامه) ليطلب فى كل باب ماليق به، والأنحاء التعليمية، وهى التكثير من فوق، والتحليل وهو عكسه، والتحديد أى فعل الحد، والبرهان أى الطريق إلى الوقوف على الحق والعمل به». التصنيف الببليوجرافى، ص ٩٣ ـ ٩٤. نقلا عن كل من التهانوى والصالحى ومحمد أبو عليان.

(٢٤) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. ... نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة، مصدر سابق، الفصل الثانى وهو عن الأقسام الرئيسية، وخاصة ص ص ٢٦ ـ ٣٠.

(٢٥) من المعروف أن الفهرست لابن النديم هو أول ببليوجرافية عربية شاملة وقد رتب مادته كما ذكرت على عشر مقالات جمع تحتها كل المؤلفات والترجمات.

(٢٦) لمزيد من التفصيل، انظر: الفهرس المصنف، ص ص ٦٣ ـ ٦٤.

(٢٧) الفهرس المصنف، ص ٦٥ ـ ٦٦. ويطلق المناطقة العرب على لفظ Categories: أحد لفظين: مقولات، وكما سبق أن ذكرت؛ وقاطيغورياس وهو المقابل الصوتى أو النقل الحرفى للكلمة اليونانية. والمقابلات العربية التى ذكرتها لمقولات أرسطو العشر مأخوذة من كتب المناطقة العرب ونقلها منهم أيضا مفاتيح العلوم للخوارزمى، كما نقلتها المصادر الفلسفية الحديثة (العربية). وفيما يلى تعريف المقولات:

لفظ «قاطيغورياس» أى محمولات، أو بتعريف أدق المقولات، معنى كلى يمكن أن يدخل محمولا فى قضية. والمقولات عشر، وهى قسمة شاملة كاملة تقابل جميع الأجوبة تقال عن جميع الأسئلة التى يمكن أن تثار بصدد شئ ما. وهذه الأسئلة عشرة يجاب عنها بعشرة محمولات.

وقد قارنت المقابلات العربية لمقولات أرسطو، والتى استمددتها من كتب المناطقة العرب، وكتب مصطلحات العلوم، وخاصة مفاتيح الخوارزمى، قارنتها بالمقابلات التى وردت فى المعاجم الحديثة للفلسفة، وخاصة يوسف كرم، ووجدتها متشابهة مع بعض الاختلاف. وفى القائمة التى سجلتها فى المتن، سجلت مقابلات الخوارزمى

ويوسف كرم، وإذا اختلفا سجلت الخوارزمى، وأضفت يوسف كرم بين قوسين.

(٢٨) شيرا، مصدر سابق، ص ص ٦٦ ـ ٦٧.

(٢٩) أبو النور: التصنيف الببليوجرافى، مصدر سابق، ص ص ١٣ ـ ١٥.

(٣٠) المصدر السابق، ص ٤٩.

(31) Grolier, Eric de. A study of genenal categories applicalle to classification and coding in documentation Paris: Unesco, 1962. p. 15 - 16.

(٣٢) شيرا، الفهرس المصنف، مصدر سابق، ٦٩.

(33) Sayers, W. C. B. Manual of Classification. - 2nd ed. - 1944. p 80.

(٣٤) المصدر السابق.

(٣٥) انظر للعلاقة بين اللغة ولغات التكشيف: التحليل الموضوعى فى فهارس البحث المباشر تأليف راو ألورى، د. ألاسد يركب، چون بول؛ ترجمة عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨.

الفصلان الثاني والثالث.

(٣٦) شيرا، مصدر سابق، ص ص ٧٠ ـ ٧٢.

شيرا، المصدر السابق

(37) Bliss, 1929 pp. 134 - 135' (38) Bliss, op. cit., p 132-3

(39) Phillips, primer of book classification. - 5 thed. - London: Association of Assistant Librarians, 1961. pp 13 - 14.

(40) IBID.

(41) IBID.

(42) Phillips, op. cit., p. 15.

(43) IBID.

(٤٤) ألورى، التحليل الموضوعى فى فهارس البحث المباشر، مصدر سابق، ص ص ١٩٢ ـ ١٩٧.

(٤٥) من المصادر مثلا:

(أ) شيرا، الفهرس المصنف، ص ص ٨٧ ـ ٨٨.

(ب) Phillips, op. cit., pp. 18 - 20.

(٤٦) شيرا، مصدر سابق، ص ٧٦؛ نقلا عن

Bliss, 1929, p 143.

(47) Needham. Organizing Knowledge in libraries. - 2 nd ed., 1974. p. 107.

(48) Sayers, Manual, 1944., p. 79.

(49) Phillips, primer, 1961., p. 9.

(٥٠) شيرا، مصدر سابق، ص ٧٧.

(٥١) المصدر السابق.

(52) Marcella, Rita. A new manual of classification/ by Rita Marcella, Newton. - London: 1994. p. 3.

(53) IBID.

(54) Phillips, primer, 1961, pp. 9 - 10.

(٥٥) يمكن أن نقارن هذا بما جاء فى كتب مبادئ العلوم وكتب موضوعات العلوم، مثلا فى إحصاء العلوم للفارابى، وعند صاحب مفتاح السعادة، فالرجا الرجوع إلى الجزء الخاص بالتصنيف عند المسلمين، وكذلك ما ذكرته عن الرؤوس الثانية والانحاء التعلمية فى هامش رقم (٢٣).

(56) Jevons, J. S. Principles of science, 1874. vol 2, p. 345. Cited in Phillips, op. cit., p 9 - 10.

(57) Marcella, 1994, p. 3.

(٥٨) التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات، ١٩٩٦. ص ٢٢. ولمعرفة التطورات

التى طرأت على أسماء علم المكتبات والمعلومات انظر دراستنا عن التوثيق والبحث التربوى فى كتابنا: دراسات فى علوم المكتبات والتوثيق والببليوجرافيا. ص ص ٥٩ ـ ١٠٦.

(59) Classificatiom Research Group. "The need for a faceted classification as the basis of all methods of imformation retrieval". Library Association Record, vol. 57. No. 7. July 1955. pp. 262 - 268

(٦٠) أشرنا إلى بعض أهم مصادر دراسة المدرسة التقليدية فى هامش (١).

(61) Hulme, E.W. Principles of book classification. - London: Library Association, 1950.

وهذه إصدارة ثانية لمجموعة المقالات التى نشرها لأول مرة فى سنة ١٩١١/ ١٩١٢ فى.

Library Association Record

(٦٢) لعل أكثر المحمسين لآراء هلم ثلاثة: سافيج، متكالف، وفيليبس. وقد أشرت إلى كتاب فيليبس أكثر من مرة، وأشير الآن إلى عملى سافيج ومتكالف:

- Savage, ErnestA. Manual of book classification and display for public libraries. - London: Allin & Unwinn, 1949.

- Metcalfe, John. Information indexing and subject cataloging: Alphabetical, Coordinate, Mechanical. - New York: The scarecrow Press, 1957.

- Subject Classifying and indexing of libraries and literature. - New York: The Scarecrow Press, 1959.

وقد كان متكالف أشدهم حماسا لكايزر وهلم.

(٦٣) يقال دائما إن تصنيف مكتبة الكونجرس انعكاس لآراء هلم، حيث أن تصنيف مكتبة الكونجرس هو: تصنيف للكتب، بمعنى أن قد اشتق أقسامه

وتفريعاته من الكتب نفسها وليس من أى تصور نظرى للمعرفة، وإن كان قد تأثر بكتر واستمد منه. والحقيقة أن العكس هو الصحيح، فإن هانسون ومارتل اللذين أعدا تصنيف مكتبة الكنوجرس قد بدآ جهودهما عند انتقال المكتبة إلى مبناها الجديد سنة ١٨٩٥. أى أن أفكارهما عن تصنيف الكتب سبقت هلم كثيرا، حيث بدأ هلم كتابة مقالاته فى ١٩١١.

ويلاحظ أن المعنى الأول للسند الأدبى والمذكور فى فقرة (أ) أكثر فائدة من المعنى الثانى وتستفيد منه خطط التصنيف. فعلى سبيل المثال لايسجل التصنيف العشرى فى جداوله رأس موضوع جديدا إلا إذا كان يمثله عشرون كتابا على الأقل فى مكتبة الكونجرس.

(٦٤) أهم مصادر دراسة الخطة العربية للتصنيف فكرا وتطبيقا هى:

(أ) دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف الببليوجرافى لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف. ـ القاهرة: كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٦٧. ـ رسالة الماجستير.

(ب) التصنيف الببليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى. ـ القاهرة: كلية الآداب جامعة القاهرة. ١٩٧٢. رسالة الدكتوراة. وقد صدرت عن: دار الثقافة للطباعة النشر، ١٩٧٣.

(ج) الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين: الرياض وبغداد. ـ الرياض: دار العلوم، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

وهذا العمل يضم الأبحاث التى قدمت إلى مؤتمرى الإعداد الببليوجرافى للكتاب العربى، وهى سبعة أبحاث.

(د) مستقبل الخطة العربية للتصنيف. وهو أحد الأعمال التى صدرت ضمن كتابنا: دراسات فى علوم المكتبات والتوثيق والببليوجرافيا. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦. ص ص ١٠٧ ـ ١٣٨.

وهناك مصادر أخرى ولكن نكتفى بالمصادر السابقة منعا للاطالة.

(٦٥) أعدت جماعة البحث فى التصنيف فى بريطانيا Classification Reserach Group أثناء المرحلة الثانية من عملها عددا كبيرا من نظم التصنيف المتخصصة؛ فعلى سبيل المثال أعد فيكرى تصنيفا لعلم التربة، وملز تصنيفا للادارة، وفوسكت تصنيفا للتربية، وباربارا كايل للعلوم الاجتماعة، وملز وكليفردون معا أعد تصنيفا لعلم الملاحة الجوية استخدم مشروع الأسليب كرا نفيلد، وأعدا مع غيره تصنيفا لعلم المكتبات والمعلومات، وكوتس للموسيقى. وهكذا وهكذا، الكثير. وانظر لبعض التفاصيل فى هذا: الفصل الأول من كتابنا: التصنيف الببليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى. أما عن منهج التحليل الوجهى مفصلا، فانظره فى الفصل الثانى من الكتاب نفسه.

(٦٦) شيرا، الفهرس المصنف، ص ٧٧.

(٦٧) المصدر السابق، ص ٧٨.

(٦٨) حينما زرت لندن فى سنة ١٩٧٦، كتب حريصا على أن أحضر اجتماعا لجماعة البحث فى التصنيف. وقد رتب لى الأخ الصديق د. حشمت قاسم هذا الأمر وحضرت لهم اجتماعا فى جمعية المكتبات (البريطانية) وقد لقيت ملز بعد الاجتماع، وكان هو رئيس الجماعة فى ذلك الوقت بعد أن هجرها فيكرى. وقد أخبرنى أن أول مجلد من تصنيف بلبيس الجديد سوف يصدر فى أكتوبر سنة ١٩٧٦، وأعطانى نسخة من الإطار العام للتصنيف.. وقد صدرت عدة مجلدات من بليس ولكنه لم يتم إلى الآن.

(٦٩) انظر فى هذا كتابنا: التصنيف العملى والتكشيف. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦.

تم الكتاب الأول

بحمد الله

الناشر
عالم الكتب
٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة